آ – الكتب المخطوطة :

١ – بلغ عدد المخطوطات التي دخلت الدار خلال العام المنصرم (٦٦) مخطوطة .

٢ – بلغ عدد الأفلام المصورة لمخطوطات دار الكتب الظاهرية (٢٥٧) فلماً .

ب – الكتب المطبوعة :

١ – بلغ عدد الكتب التي دخلت الدار (١٤٢٥) كتاباً منها :

آ – (٤٩٢) كتاباً مشترى .

ب – (٧٤٩) كتاباً مهدى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج – الدوريات :

هناك (٤٩٥) عدداً من مجلات مختلفة سجلت في سجلات الدار .

د – الرواد :

بلغ عدد قراء دار الكتب الظاهرية ١٨٩٣٣ مطالعاً .

يرجى التفضل بالاطلاع وأخذ العلم .

١٩٦٩/٤/٢٧

مدير دار الكتب الظاهرية
الدكتور عزة حسن

بيان في مشروعات

دورة المجمع لعام ١٩٦٩ — ١٩٧٠

أرحب بالسادة الزملاء أعضاء المجمع أطيب ترحيب وأتمنى لهم في دورتهم الجديدة نشاطاً موفوراً وجهداً مشكوراً ، كما أتمنى لهم دوام الصحة والعافية ، وآمل أن تكون العطلة الصيفية وما كان فيها من استجمام وراحة حافزاً على الجهد وباعثاً على الدأب في كل مجال من مجالات العمل المجمعي الذي يجتمع مجلسكم الموقر من أجله .

أيها الاخوة الزملاء ، إننا نبدأ في جلستنا هذه مرحلة جديدة ، بعد انقضاء خمسين سنة على تأسيس مجمعنا هذا ، ولقد كانت المرحلة التي مرت بنا مرحلة إنشاء وتأسيس ، وفترة وضعت فيها القواعد العلمية والركائز التي يستند إليها هذا الصرح ، أما المرحلة الجديدة فهي مرحلة نشاط جديد ، يرمي إلى رفع مستوى المجمع وإعلاء شأنه في كل هدف من أهدافه وكل غاية من غاياته العلمية المقدسة .

وأول ما نفتتح به عهد المجمع الجديد هذه المناسبة الكبرى التي هي أسبوع العلم العاشر الذي سيقع في الأيام الأولى من شهر تشرين الثاني من هذا العام ١٩٦٩ وسيشترك المجمع في هذا العيد الكبير ليحتفل بمرور خمسين عاماً على إنشائه ، وقد خصصت له أيام خاصة يتحدث بها المجمعيون عن تاريخ المجمع ونشاطه والخدمات التي أسداها للغة العربية وثقافتها وآدابها وصراحة على ما قامت به هذه المؤسسة من خدمات كبرى وقد دعا المجمع إلى المشاركة في هـــذا الاحتفال رئيسي ونائبي الرئيسين والأمينين العامين لمجمعي القاهرة وبغداد والأمين العام لمكتب التعريب في الرباط .

المشروعات :

إن لدى المجمع في هذه الدورة الجديدة مشروعات كثيرة نرجو أن يتحقق جلها إن لم تساعد الظروف على تحقيقها كلها ومن أهمها :

١ — ملء الشواغر بانتخاب الأعضاء العاملين والمراسلين في المجمع .

٢ — وألفت نظر السادة الزملاء في هذه المادة إلى ضرورة السعي لتعديل ملاك المجمع ودار الكتب الظاهرية فإن كثرة الأعمال أصبحت تتطلب هذا التعديل ، كما أن وضع المجمع قد أصبح يقضي بتعديل بعض المراتب والدرجات في المديريات المنبثقة عن هذه المؤسسة العلمية الجليلة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المطبوعات :

١ — سيعمد المجمع إلى إكمال المطبوعات التي بوشر بها سابقاً وهي :

آ — فهرس المجلدة العاشرة من تاريخ ابن عساكر وضع الآنسة ملك هنانو .

ب — فهرس مخطوطات قسم الطب للأستاذ سامي حمارنة .

ج — كتاب «ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب» تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

د — فهرس مخطوطات علوم الحديث من وضع الأستاذ ناصر الدين الألباني .

هـ — طبع الجزء الثاني من كتاب التلخيص في أسماء الأشياء للعسكري . تحقيق الدكتور عزة حسن .

٢ ـ المباشرة بطبع الكتب الآتية :

آ ـ ديوان الشاعر ابن أحمر تحقيق الدكتور محمد عطوان الأستاذ في الجامعة الأردنية .

ب ـ ديوان عرقلة الكلبي تحقيق أحمد الجندي .

ج ـ طبع ديوان ابن القيسراني تحقيق السيدة أسماء الحمصي .

د ـ طبع ديوان الغزي تحقيق الدكتور شكري فيصل .

هـ ـ طبع رسائل الصابي تحقيق الدكتور سامي الدهان .

و ـ طبع « الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز » للشيخ عبد الغني النابلسي وتحقيق الأستاذ عارف النكدي .

ز ـ طبع فهرس مخطوطات علم الهيئة والفلك عند العرب وضع الأستاذ ابراهيم الخوري .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ح ـ طبع فهرس مجلة المجمع (الجزء الرابع) من الجزء ٣١ ـ ٤٠ وضع الأستاذ عمر رضا كحالة .

ط ـ طبع فهرس مخطوطات قسم الأدب واللغة في دار الكتب وضع السيدة أسماء الحمصي .

ي ـ طبع القسم الثاني من الجزء الثاني من تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق الآنسة ملك هنانو .

ك ـ طبع المجلد (٤٥) من مجلة المجمع .

٣ ـ وقد قرر المجمع إعادة طبع أكبر عدد من مطبوعاته ومن أعداد مجلته التي نفدت وباشر طبع المجلد الأول من المجلة .

أما المشروعات التي تتعلق بدار الكتب الظاهرية خاصة فأهمها :

آ — السعي إلى إنجاز المرحلة الثانية من توسيع بنـــاء دار الكتب لتصبح وافية بالغرض الذي أنشئت من أجله .

ب — تصوير ما بقي من مخطوطات دار الكتب .

الوفيات :

فجع المجمع بوفاة عضو بارز من أعضائه المراسلين وهو الدكتـور عبد الرحمن الكيالي رحمه الله .

هذا ما أمكن الإشارة إليه في بياننا الجديد لدورة عام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ من أعمال ومشروعات راجياً أن تتوفر الأسباب لتحقيقها .

مجمع اللغة العربية
الأمين العام
جعفر الحسني

إهداء كتب

١ — نفذ ورثة المرحوم الرئيس الأمير مصطفى الشهابي وصية مورثهم ، وسلموا المجمع جميع ما أوصى به المرحوم من كتب وأثاث ومخلفات وتم تسلمها ، وهي الآن قيد التسجيل والإحصاء .

٢ — كذلك ونفذ ورثة المرحوم الشيخ حامد التقي وصيته ، وسلموا المجمع خزانة كتب المرحوم مورثهم ، وذلك بمساعي الأستاذ الزميل الشيخ محمد بهجة البيطار .

٣ — وأهدى الأستاذ خالد خليل مكتبة المرحوم والده الدكتور خليل خالد ، فلأولئك جميعاً شكر المجمع وتقديره .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوفيات

ويذكر المجمع بالأسف والرحمة الأعضاء المجمعيين الراحلين ممن وافتهم منيتهم هذا العام وهم المغفور لهم : الأستاذ الكبير ساطع الحصري من العراق والأستاذ حسن حسني عبد الوهاب من تونس ، والأستاذ منير القاضي من العراق رحمهم الله رحمة واسعة وأجزل ثوابهم .

الكتب المهداة إلى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

خلال عام ١٩٦٩

	العدد
١ ــ أنشودة لينتنراد ترجمة محمد جديد وميشيل كيلو	١
٢ ــ الفكر الألماني من لوثر إلى نيتشه تيسير شيخ الأرض والدكتور أسعد درقاوي	١
٣ ــ العالم الثالث ترجمة حسام الخطيب وهيفاء هاشم	٢
٤ ــ دستور ألمانيا الديموقراطية	١
٥ ــ سعدي الشيرازي (البستان) ترجمه شعراً محمد الفراتي	٢
٦ ــ من دفتر الصامت محمد عفيفي مطر	٢
٧ ــ جرائم الحرب في فيتنام برتراند رسل محمود فلاحة	١
٨ ــ تاريخ خليفة بن خياط (القسم الثاني)	١
٩ ــ الحياة الجديدة ذكرى شوقي (عدد ممتاز)	١
١٠ ــ ديوجين مصباح الفكر (العدد السابع)	١
١١ ــ ميمونه عبد الله ساجي	١
١٢ ــ مخطوطات عربية في مكتبة صوفيا البلغارية (المجمع العلمي العراقي)	١
١٣ ــ داود باشا ونهاية المماليك في العراق (المجمع العلمي العراقي)	١
١٤ ــ مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ١٦	١
١٥ ــ في الأدب العربي الحديث يوسف عز الدين	١
١٦ ــ فهارس مجلة المجمع العلمي العراقي	١

	العدد
١٧ — مع الربيع عبد السلام عيون السود	١
١٨ — الأرض والسماء ترجمة أدهم السمان	١
١٩ — بيت الإنسانية أكبر عمار خانم ترجمة	١
٢٠ — الفن الإسلامي جورج ماسيه عفيف بهنسي	١
٢١ — افلاطون طيماوس ترجمة فؤاد بربارة	١
٢٢ — دروس في الكيمياء الفيزيائية (الجزء الأول)	١
٢٣ — مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية (العدد ١٩)	١
٢٤ — ديوان قيس بن الخطيم ناصر الدين الأسد	١
٢٥ — ديوان الطرماح عزة حسن	١
٢٦ — القيان والغناء في العصر الجاهلي ناصر الدين الأسد	١
٢٧ — محاضرات في الشعر الحديث ناصر الدين الأسد	١
٢٨ — محاضرات عن خليل بيدس	١
٢٩ — التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد	١
٣٠ — الكيمياء العامة (الجزء الأول والثاني) التعليم العالي	١
٣١ — مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية	١
٣٢ — درر الفوائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة	١
٣٣ — مناقشات مع الدكتور مصطفى جواد رؤوف جمال الدين	١
٣٤ — الاجراءات الادارية للخطيب	١
٣٥ — الأدب العربي المعاصر في سورية لسامي الكيالي	١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

	العدد
٣٦ — الأعلام العربية للسامرائي	١
٣٧ — المعجم العربي حسين نصار (جزآن)	١
٣٨ — أمراء البيان	١
٣٩ — حكاية الأيام الثلاثة	١
٤٠ — مجموعة القواعد القانونية التي قررتها محكمة النقض في قضايا العمل	١
٤١ — العمل العلمي في البلاد المتدنئة شيث سليمان	١
٤٢ — الاسلام والثقافة العربية أنور الجندي	١
٤٣ — امارة بهدينان العباسية محفوظ محمد عمر	١
٤٤ — نصف العيش الدكتور عادل البكري	١
٤٥ — ألوان من الجزائر (شعر) محمد الأخضر عبد القادر السباعي	١
٤٦ — مالك حداد رصيف الأزهار	١
٤٧ — البحرية الجزائرية	١
٤٨ — تاريخ الجزائر في القديم والحديث مبارك محمد الهلالي (٣ أجزاء)	١
٤٩ — عيون البصائر محمد البشير الابراهيمي	١
٥٠ — الفوائد المهمة وجيه الجباوي	١
٥١ — التنين عماد حاتم	٢
٥٢ — يا مال الشام سهام ترجمان	١
٥٣ — قول على قول حسن سعيد الكرمي	١
٥٤ — نساء متفوقات سلمى الحفار الكزبري	١

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

	العدد
٥٥ — عينان من اشبيلية سلمى الحفار الكزبري	١
٥٦ — الكيمياء الفيزيائية (الجزء الأول ، المجلد الثالث)	١
٥٧ — رسائل في النحو واللغة	١
٥٨ — سورية الثورة في عامها السادس وزارة الاعلام السورية	٣
٥٩ — تاريخ فن الحرب ستروكوف	٢
٦٠ — رسائل في النحو واللغة الدكتور مصطفى جواد والأستاذ يعقوب مسكوني	١
٦١ — مدخل إلى فلسفة التاريخ عند هيجل ترجمة أنطون حمصي	١
٦٢ — ليبق فراحي دائماً جان جيونو ترجمة سعيد القضماني	١
٦٣ — رباب الكاظمي - دراسة وشعر عبد الرحيم محمد علي	١
٦٤ — الكيمياء العامة (الجزء الثاني) كلية العلوم بجامعة دمشق	١
٦٥ — بطاركة الشرق أغناطيوس يعقوب الثالث	١
٦٦ — الغابة المنسية أحمد مخيمر	١
٦٧ — النبوّة سعدي لين	١
٦٨ — اللمعة الدمشقية (الجزء ٧) محمد جمال الدين مكي العاملي	١
٦٩ — الفيزياء النظرية (الجزء الأول) وزارة التعليم العالي	١
٧٠ — معجم تج العروس (الجزء ٥) الزبيدي	١
٧١ — من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث ابراهيم الراوي	١
٧٢ — عبر وعبرات جواد المرابط	١

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

	العدد
٧٣ – معجم الهندسة الميكانيكية روسي عربي كيفورك مينارجيان	١
٧٤ – المعجم الفني 〃 〃 〃 〃 〃 〃	١
٧٥ – الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق فاضل الخالدي	١
٧٦ – العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٧ أجزاء) أبو الطيب الفاسي	١
٧٧ – المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية تأليف محمد بن أحمد العقيلي (قدّم الكتاب الأستاذ حمد الجاسر) .	١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهرس المجلد الرابع والأربعين

الجزء الأول والثاني

صفحة		
٣	المجمع بعد نصف قرن من تأسيسه	الدكتور حسني سبح . .
١٤	خمسون عاماً	الأستاذ شفيق جبري . .
١٥	سابق البربري : شاعر من العرب عاش في الشام .	الأستاذ عبد الله كنون . .
١٩	العربية بين الفصحى والعامية	الأستاذ عارف النكدي . .
٦١	الألفاظ اللاتينية في السريانية والعربية . . .	دراسة بقلم أغناطيوس يعقوب الثالث
٧٤	المجمع العلمي العربي بمناسبة بلوغ المجمع خمسين عاماً	الأستاذ محمد بهجة البيطار . .
٩١	عيد المؤسسين : محمد كرد علي وخليل مردم . .	الدكتور سامي الدهان . .
١١٣	صفحة من تاريخ [illegible]	الدكتور جميل صليبا . . .
١٢٧	النظم القرآني	الأستاذ محمد المبارك . . .
١٥٥	المجمعيون في خمسين عاماً	
	القسم الأول ـ الأعضاء المؤسسون :	
	١ ـ الأستاذ الرئيس محمد كرد علي	
	٢ ـ الشيخ أمين سويد	
	٣ ـ الأستاذ أنيس سلوم	
	٤ ـ الشيخ سعيد الكرمي	الدكتور عدنان الخطيب . .
	٥ ـ الشيخ عبد القادر المغربي	
	٦ ـ [illegible]	
	٧ ـ [illegible]	
	٨ ـ [illegible]	
	٩ ـ الأستاذ [illegible]	
٢٢٦	[illegible]	الأستاذ خير الدين الزركلي .
٢٦٦	الشعر بين الطبيعة الفنية والروحية . . .	الدكتور عبد الرحمن الكيالي .
٢٨٩	العوامل [illegible] في التطور اللغوي	الأستاذ أنيس المقدسي . .
٣٠٩	الجهاد ومصطلحاته العربية	الدكتور صبحي الصالح . .
٣٢٣	تطور النهضة الثقافية في بلاد الشام والمجمع العلمي العربي	الأستاذ أحمد [illegible] . .
٣٤٣	[illegible] بين الشرق والغرب	الدكتور عمر فروخ . .
٣٥٥	بين الكلاسيكية في الأدب العربي الحديث والأدب الغربي	الدكتور عبد الكريم جرمانوس
٣٦٤	لمحة من التاريخ [illegible]	الأستاذ علي [illegible] حسين .
٣٧٠	[illegible] بدمشق	الأستاذ محمد أبو الفرج العش .
٣٨٢	ذكريات ... المجمع العلمي العربي والأستاذ محمد كرد علي	الأستاذ أحمد [illegible] . .
٣٩٧	نظرة في مجمع اللغة العربية في دمشق . . .	الأستاذ عباس العزاوي . .

آراء وأنباء

٤٠٠	أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق في سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م . .
٤٠٣	أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون . . . .
٤٠٨	[illegible] مجمع اللغة العربية بدمشق للدورة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨م . . .
٤١٣	[illegible] من الاشتراك في [illegible] في [illegible] الأستاذ مصطفى الشهابي
٤٢١	مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق خلال خمسين عاماً [منذ إنشائه حتى سنة ١٩٦٨م]

الجزء الثالث

صفحة

٤٣٩ نجوى الصباح . . . . الأستاذ شفيق جبري . .
٤٤٩ عيد العروبة والأستاذ ساطع الحصري . . . الدكتور عدنان الخطيب .
٤٦٤ نظرة حول وزنين في ملء أجواف أسماء الإنسان (٣) الدكتور صلاح الدين الكواكبي .
٤٧٩ صفحات من تاريخ الاستشراق (٥) . . الدكتور كامل عياد . .
٤٨٨ غرائب الروايات في كتب الحديث (الجزء الثاني) (٥) الدكتور مصطفى جواد . .
٥٠٥ شعر الوقوف على الأطلال (١) . . . الدكتور عزة حسن . .
٥١٩ أبو علي القالي وكتابه الأمالي . . . . الدكتور عمر الدقاق . .
٥٣٨ ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة (٥) . الدكتور علي جواد الطاهر .
٥٥٤ كتاب « المرصعين » . . . . . . الأستاذ عبد الغني . .
٥٦٩ وصف الطبيعة في شعر الصنوبري (١) . . الأستاذ نزار أحمد طرقان .
٥٧٧ مشكلة اللغة في الحياة . . . . . الدكتور أسعد . .
٥٨١ جمع الشتات من . . . . . (٤) . الدكتور عارف . .
٥٩٦ كلمة أخرى في تاريخ . . . . . الأستاذ عبد أحمد . .

التعريف والنقد

٦٠٣ كتاب (الأبيون) . . . . الدكتور كامل عياد . .
٦٠٦ الفقر والفن . . . . } الدكتور صلاح الدين الكواكبي
٦١٣ نظرة في معجم الحضارة والنقد والفرائد . .
٦١٩ سيرة . . . . } الأستاذ عارف النكدي . .
٦٢٢ مشكلة زنوبيا . . . .
٦٢٥ كتاب الفلوات الجاهلة . . . . . الدكتور عزة حسن . .

آراء وأنباء

٦٣٩ تأبين المرحوم الأمير مصطفى الشهابي في القاهرة . . . .
٦٤٠ كلمة الدكتور حسني سبح في الحفلة التي أقيمت لاستقبال الأستاذ وجيه السمان .
٦٤٤ كلمة المهندس الأستاذ وجيه السمان في حفلة استقباله عن سلفه المرحوم فارس الخوري
٦٥٤ أنباء علمية . . . .

صفحة

الجزء الرابع

٦٨٥ تطور اللغة في العصر العباسي . . . . . الأستاذ شفيق جبري
٧٠٠ الاصطلاحات الفلسفية (٣٣) . . . . . الدكتور جميل صليبا
٧١٠ الثقافة الإسلامية بالمغرب بين المرابطين والموحدين . الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور
٧٢٥ [illegible] (٥) الدكتور صلاح الدين الكواكبي
٧٣٩ صفحات من تاريخ الاستشراق (٦) . . الدكتور محمد كامل عياد
٨٠٠ [illegible] (الجزء الثاني) (٥) الدكتور مصطفى جواد
٨١٣ [illegible] (٥) . . . الدكتور عزة حسن
٨٢٤ شيء من اللحن في العربية . . . . الدكتور إبراهيم السامرائي
٨٣٥ [illegible] (٥) . . . . الدكتور مازن المبارك
٨٤٧ دراسات في العربية و[illegible] . . . الدكتور شكري فيصل
٨٦٦ [illegible] كاتب وشاعر . . . . . الأستاذ أحمد [illegible]
٨٨٠ الكلمات التركية في اللهجات العربية الحديثة (٤) الأستاذ ف. عبد الرحيم

التعريف والنقد

٨٨٣ [illegible] . . . . . . } الأستاذ شفيق جبري
٨٨٥ [illegible] . . . . . . }
٨٨٧ [illegible] . . . . . الأستاذ ظافر القاسمي
٨٩٤ دراسات في فقه اللغة . . . . . الدكتور عزة حسن
٨٩٧ [illegible] ([illegible]) . . الدكتور [illegible]
٩١٢ الشعر العربي . . . . . . } الأستاذ سعيد الأفغاني
٩٢٠ الأعلام [illegible] . . . . . . }
٩٢٧ [illegible] . . . . . . الأستاذ [illegible]
٩٣٠ [illegible] تاريخ الأدب [illegible] . . . . }
٩٣٢ [illegible] الدراسات [illegible] . . } الأستاذ عمر رضا كحالة
٩٣٤ [illegible] . . . . . . }
٩٣٥ [illegible] . . . . . }
٩٣٦ ديوان [illegible] . . . . . . }
٩٣٧ ديوان [illegible] . . . } الأستاذ أحمد [illegible]
٩٣٩ [illegible] (الجزء الثاني) . }
٩٤٠ ديوان [illegible] . . . . }

تابع فهرس الجزء الرابع

آراء وأنباء

آراء وأنباء	صفحة
الرسوم ... (٩٠١) بإشراف الأستاذ عبد القادر حاتم ...	٩٤٩
خطاب الدكتور عدنان الخطيب في حفل استقبال الأستاذ عبد القادر حاتم	٩٤٣
خطاب الأستاذ عبد القادر حاتم في حفل استقباله	٩٥٢
ظاهرة في المعجم العربي جديرة بالدراسة (١) ... الدكتور عدنان الخطيب	٩٥٥
الرياضيات والكائنات ... الدكتور مصطفى جواد	٩٥٩
[illegible]	٩٩٠
التقرير السنوي (الدورة ١٩٦٧ — ١٩٦٨ م)	٩٩٣
بيان في ... (١٩٦٦ — ١٩٦٧ م)	١٠٠٦
إهداء كتب للمكتبة	١٠٠٨
الكتب المهداة إلى مكتبة المجمع خلال عام ١٩٦٦ م	١٠٠٦

الجزء الرابع — المجلد الرابع والأربعون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تشرين الأول « اكتوبر » سنة ١٩٦٩ م — رجب سنة ١٣٨٩ هـ

تطوّر اللغة في العصر العباسي (١)

ARCHIVE

أرى قبل الشروع في الكلام على تطور اللغة في عصر بني العبّاس أن نتّفق على معنى التطور وهذه اللفظة من الألفاظ التي أحدثها عصرنا ، ومعناها على ما أعتقد تتابع الصيغ أو الأشكال التي انتقلت الألفاظ بموجبها من وجهٍ إلى وجه ، فإذا كان هذا هو معنى تطور اللغة فاللغة قد انتقلت على ترادف السنين من شكل إلى شكل ، ولا يزال هذا الانتقال يستمرّ في عصرنا ، وإذا كنّا نعجب من الوقوف على مظاهر تطورها فقد يكون عجبنا أشدّ من دلالة هذه المظاهر على نموّ اللغة ، على استعدادها للحياة

---

(١) ألقى الأستاذ شفيق جبري عضو مجمع اللغة العربية بدمشق خمس محاضرات في جامعة الكويت في شهر آذار الماضي ، وهذا هو القسم الأول من المحاضرة الأولى : تطوّر اللغة في العصر العباسي .

مهما بياغتها من الأمور ، لقد جاءت ببراهين قاطعة على أنها أهل للحياة ، فلم تمنعها الموانع من تتبع مجرى هذه الحياة في كل عصرٍ من عصورها ، في الجاهلية والإسلام ، في زمن بني أميّة وبني العبّاس ، حتى في عصرنا هذا الذي نعيش فيه ، وهذا موطن من مواطن افتخارنا بلغة العرب .

وإني لأرجو أن لا تكون دراستنا لتطوّر اللغة في زمن بني العبّاس أو في أيّ زمنٍ مجرَّد دراسة لانتقال الألفاظ من وجهٍ إلى وجــــه ، أو لإحياء ألفاظ وموت ألفاظ ، أو لغير ذلك من الأساليب التي تدلّ على تطور اللغة ، فما الذي يمنعنا من أن نرى وراء هذا التطور تطوّر أمةٍ بأجمعها ، إني لا أستطيع أن أقرأ مثلاً فصول الموسيقى في كتاب مفاتيح العلوم الذي سأشير إليه ، ولا أن أطلع على ما احتوته هذه الفصول من آلات الموسيقى عند العرب كالصنّج والطنبور والرباب والمِعْزفة والعود وغير ذلك من الآلات ، ولا أستطيع أن أقف على ما عرّفه العرب من ألفاظ النغمات والألحان والإيقاعات والنقرات ، إني لا أستطيع أن أقف على هذا كله وعلى أمثاله من الأمور الداخلة في الموسيقى إلاّ تصورت الأمة التي مالت إلى هذا الفن وتصوّرت بعدها قصور الخلفاء الذين شغفوا بهذا الفن شغفاً لا تحضرني عبارة لوصفه أو لوصف ما أدّى إليه هذا الشغف من الإفراط في إكرام المغنين والقيان مما جاء ذكره في كتاب الأغاني ، إني لا أستطيع أن أقف على هذا كلّه إلاّ تصوّرت حضارة العصر الذي استفاضت فيه الموسيقى وغيرها من الفنون والعلوم ، فلست أدرس تطوّر اللغة للاطلاع على تغيّرات صيغها وأشكالها وأكتفي بهذا الاطلاع ، وإنما أدرس هذا التطوّر لأن وراءه حضارة أفصحت عنها اللغة وتطوّرها .

فلنشرع بعد هذه المقدمة في موضوعنا .

ARCHIVE

في رأي «دوزي» صاحب المعجم المشهور أن لغة العرب ، وهو يعني بذلك لغة الشعر القديم والقرآن والسنّة لم يطل عهدها أكثر من قرنين على التقريب ، ثم ماذا حدث بعد ذلك ، لقد طرأ على اللغة من آخر القرن الأول الهجري تغير عظيم ، إلى أي شيء أدّى هذا التغير ، لقد أدّى إلى غناها ونموّها ، وهذه نتيجة لا مندوحة عنها ، إنها نتيجة الانتصارات السريعة الخارقة التي انتصرها العرب بعد الرسول ﷺ ، لقد خالط العرب بعد تلك الانتصارات شعوباً شتّى غلبوا عليها ، فتفوهت تلك الشعوب بلسان الفاتحين وإن كانت تلحن في كلامها ، لقد كان لتلك المخالطة أثر في العرب أنفسهم فاختلّ النحو على ألسنتهم واستعملوا ألفاظاً قلبوا وجوه معانيها واقتبسوا كثيراً من التعابير من لغات الأمم المغلوبة ، أهل الشام والفرس والقبط والبربر والإسبان والترك .

على أن مخالطة الأعاجم لم تكن السبب الأوحد ولا كانت السبب الأعظم في فساد اللغة ، فقد وجد الفاتحون أنفسهم في حالة حديثة لا عهد لهم بمثلها ، فسواء أكانوا أهل بدو أم كانوا أهل حضر يقيمون بمدن صغيرة ويعيشون عيشة بسيطة ، إنهم نقلوا فجأة من عالم إلى عالم ، نقلوا إلى عالم كل شيء فيه كان جديداً بالنسبة إليهم ، نقلوا إلى مدن كبيرة يشيع فيها البذخ والترف وتستفيض فيها حضارات قديمة ، حضارات الرومان والفرس ، ومما زاد في شرفهم أنهم نشطوا لدراسة الفنون والعلوم التي لم يكن لهم عهد بها ، فحدث بعد هذا أن انقلبت أفكارهم وأخلاقهم كلّ منقلب ، فأصاب اللغة ما أصابهم ، فقد انتقلت من بيئة البداوة إلى بيئة الحضارة المصقولة ، فافتقرت من جهة وغنيت من جهة ثانية ، كيف افتقرت ، لقد سقط كثير من فيض الألفاظ التي كانت تضايق لغة الأدب ، سقط ما يقرب من ثلث اللغة ، سقطت الألفاظ التي كانت تعبّر عن حالات بدوية ، ولم يكن كثير

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

منها يستعمل استعمالاً عاماً في أي عصر من العصور ، ولئن سقطت تلك الألفاظ لقد اعتاضت عنها اللغة ألفاظاً جديدة تعبّر عن أشياء وعن أفكار كانت مجهولة ، فقلب العرب بفضل عبقرية لغتهم معاني ألفاظ من وجه إلى وجه .

لقد حدث هذا الانقلاب في كل الأقاليم التي غلب عليها العرب ، ولكن الانقلاب كان على درجات متفاوتة ، ومما أعان على التعجيل في خلق اللغات المختلفة ترامي أطراف الدولة ، فكل ناحية من هذه الأطراف كان لها لغة خاصة .

ولم يسع المحافظين من رجال اللغة أن يشهدوا مثل هذا الأمر دون الاعتراض ، لم يسع المحافظين على صفاء اللغة من رجال النحو والشرع والفقه أن يغمضوا عن مثل هذا الأمر ، فكأنهم لم يحيطوا بطبيعة الأشياء ، ولا أدركوا أن كل شيء في هذا العالم عرضة للتغيير ، ولا سيما اللغات التي تتغيَّر بتغيُّر الأفكار ، إنها مرتبطة بالجماعات التي تنطق بها وبالكتّاب الذين يستخدمونها ، وفي رأي « دوزي » ان أولئك الرجال ، رجال اللغة كانوا يريدون أن يجعلوا لغتهم جامدة لا تتحرك ، فهم أعداء كل توليد ، على أن « دوزي » قد اعترف بأن مجهودات علماء اللغـــة لم تكن باطلة ، فبفضلهم وبفضل دراسة القرآن لم تتشعب العربية ، فلم تتولد عنها لغات ثانية كما تولد عن اللغة اللاتينية ، إلا أنهم مع هذا كله لم يستطيعوا أن يسدّوا طبيعة مجرى الأمور ، فقد كان من الكتّاب من يستعمل اللغة العامّة ، وقد ضرب « دوزي » مثلاً لذلك الرحّالة المقدسي الذي عاش في القرن العاشر الميلادي ، فقد اضطر من أجل المحافظة على ما يسمّونه : اللون المحلّي إلى أن يستخدم في وصف كل إقليم من الأقاليم التي زارها لغة ذلك الإقليم .

فالذي يهمنا من كل ما جاء في هذه المقدمة الصادقة في أكثر محتوياتها إنما هو قول صاحبها : كل شيء في هذا العالم عرضة للتغيير ، ولا سيَّما اللغات التي تتغير بتغير الأفكار .

فانتظر في هذه التغيرات ، مظاهر تطوّر لغتنا مختلفة ، فإمّا أن تتغير معاني ألفاظها القديمة ، فتنتقل هذه المعاني من أفق إلى أفق وإمّا أن تحدث ألفاظ جديدة بأسلوب من الأساليب ، بالتعريب والتوليد مثلاً ، وإمّا أن تموت ألفاظ لم تبق حاجة إليها .

نبدأ بالمظهر الأول ، بالتغير الخطير ، وأعني به مجيء الإسلام وما أفضى إليه هذا المجيء من تطور اللغة ، فلنستعن بإمام من أئمة اللغة ، فلنسمع ما قاله ابن فارس في فقه اللغة :

« كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت ، فعفّى الآخر الأوّل ، فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق ، وإن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق ، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمّي المؤمن بالإطلاق مؤمناً ، وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء الشرع من أوصافه ما جاء ، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلاّ الغطاء والستر ، فأمّا المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروا ، وكان الأصل من نافقاء اليَرْبوع ، ولم يعرفوا في الفسق إلاّ قولهم : فسقت الرُّطَبة إذا خرجت من قشرها ، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى ،

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما جاء في الشرع الصلاة وأصله في لغتهم الدعاء ، وكذلك الصيام وأصله عندهم الإمساك ، ثم زادت الشريعة النيَّة وحظرت الأكل والمباشرة وغيرهما من شرائع الصوم ، وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم غير القصد ، ثم زادت الشريعة ما زادت من شرائط الحج وشعائره ، وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها إلاّ من ناحية النماء ، وزاد الشرع فيها ما زاد ، وعلى هذا سائر أبواب الفقه ، فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول فيه اسمان : لغوي وشرعي ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء به الإسلام وكذلك سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر ، كل ذلك له اسمان : لغوي وصناعي .»

ما الذي نستنتجه من كلام ابن فارس ؟ إننا نستنتج من هذا الكلام أن الإسلام لمَّا جاء جاء بأفكار جديدة لا عهد للعرب بها ، ولا بدَّ لهذه الأفكار من ألفاظ تعرب عنها ، فإذا لم تكن الألفاظ بقيت الأفكار مطويَّة في ذهن صاحبها ، إلاَّ أن هذه الأفكار لم تكن مطوية في الذهن ، فقد وجدت لها ألفاظاً تفصح عنها وتثبتها في الأذهان ، كيف وجدت هذه الألفاظ ، إنها لم تخترع اختراعاً ، فلم تعرَّب ولم تولَّد ، وإنما نقلت معاني ألفاظ قديمة من وجه قديم إلى وجه حديث ، فعبَّرت عن الدين الجديد هذه الألفاظ المنقولة ، عبَّرت عن كل ما يشتمل عليه هذا الدين من صلاةٍ وصوم وزكاة وحجٍّ وغير ذلك من الأفكار الإسلامية .

ولم تتغير معاني الألفاظ الإسلامية وحدها وإنما تغيَّرت أيضاً معاني أسماء الأيام ، فالسبت في الجاهلية : شيار ، والأحد : أول ، والاثنين : أهون وأوهد ، والثلاثاء : جبُار ، والأربعاء : دُبار ، والخميس : مؤنس ، والجمعة : عَروبة .

وكما تغيَّرت معاني أسماء الأيام فقد تغيَّرت معاني أسماء الشهور ، فالمحرَّم في الجاهلية : المؤتمر ، وصفر : ناجر ، وربيع الأول : خَوَّان ، وربيع

الآخر : وَبْصان ، وجمادى الأولى : الحَنين ، وجمادى الآخرة : رُبَّى ، ورجب : الأصم ، وشعبان : العاذل ، ورمضان : نَاتِق ، وشوّال : وعْل ، وذو القعدة : وَرْنَة ، وذو الحجة : بُرَك .

وهذا باب طويل لم ندخل منه إلاّ للدلالة على تطوّر اللغة ، فالمهمّ أن نعرف أن اللغة لا تثبت على حال من الأحوال ، فاذا عرضت أفكار جديدة تستلزم أسماءً جديدة وجب على اللغة أن تضع لما يستحدث من المسمّيات أسماء مستحدثة ، على نحو ما هو معروف في الألفاظ الإسلامية ، وإذا عجزت اللغة عن إحداث أسماء لمسمّيات بقيت المسمّيات في أذهان أصحابها ميتة لا يجدون سبيلاً إلى التعبير عنها ، وتعرف مرونة اللغة بهذا التصرف الذي يتصرف علماؤها في الاهتداء إلى التعبير عن الأفكار الحديثة .

وإذا كنّا نشير إلى تطور اللغة بنقل معاني الألفاظ عن مواضع إلى مواضع ، فلا بأس بأن نذكر في هذا المقام أن من الألفاظ ما وضع في الأصل خاصاً ثم استعمل عاماً ، أي من الألفاظ ما ينقل من معناه الخاص إلى معنى عام من ذلك مثلاً : الورْد إتيان الماء ثم صار إتيان كل شيء ورْداً ، والقَرَب : طلب الماء ثم صار يقال قَرَب لكل طلب والنُّجْعة أصلها : طلب الغيث ثم صار كل طلب انتجاعاً ، والأمثلة كثيرة .

وعلى خلاف الأمر فقد يوضع اللفظ عاماً ويستعمل خاصاً ، فالبغض عام والفِرْك فيما بين الزوجين خاص والتشهي عام والوَحَم للحُبْلى خاص .

غير أن هذا الباب يدخل في أبواب اللغـــة وقد مررنا به مروراً ، فلنستمر في موضوعنا .

.ولم يكن تطور اللغة في الألفاظ الإسلامية وحدّها ، وإنما كان هذا شأنها في العلوم التي حدثت بعد الإسلام كالنحو والعروض والشعر ، فاذا رجعنا إلى النحو مثلاً وجدنا فيه ألفاظاً نقلت معانيها من مواضع إلى مواضع ، لنرجع مرّة ثانية إلى ابن فارس ، قال : وزعم قوم أن العرب العاربة لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعاً ولا نصباً ولا همزاً ، والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعْرَاب ، قيل له : أتهمز إسرائيل ، فقال : إني إذن لرجل سَوْء : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلاّ الضغط والعصر ، وقيل لآخر : أتجرّ فلسطين ، فقال : إني إذن لقوي !

على أي شيء يدلنّا كلام ابن فارس ، انه يدلنّا على أنّ بعض الألفاظ كانت لها معان محدّدة فلما استحدث العرب علم النحو اضطروا إلى استحداث ألفاظ لكل باب من أبوابه كالهمز والجرّ والرفع والنصب وغيرها ، فنقلوا معاني ألفاظ من مواضع إلى مواضع ، واصطلحوا على المعاني المنقولة ، والخلاصة ان كثيراً من الألفاظ نقلت من أصلها اللغوي إلى أصل جديد طبقاً لتطور ، مثل الألفاظ الإسلامية أو ألفاظ النحو والعروض كالمديد والطويل وغيرها .

وقد نجد مثل هذا التصرف في فنون الحضارة وعلومها التي حدثت بعد الإسلام ، وما أظن أنَّا نستطيع أن ندرك ما عملته اللغة بعد ظهور الإسلام ولا سيّما في عصر بني العبّاس إلاّ إذا أطلعنا على الألفاظ التي وضعها العلماء لعلومهم ، فإذا تعدّينا صدر الإسلام ووصلنا إلى عصر بني العبّاس وقفنا على ألفاظ في الفنون والعلوم لايحصيها الإحصاء ، وإذا دلتنا هذه

الألفاظ على شيء فإنها تدلنا قبل كل شيء على مرونة اللغة كما قلت فضلاً عن استعدادها للإفصاح عمّا يفاجئها من الأفكار والمذاهب، إلا أن الكلام المجرّد لا يوضح الفكرة التي نعنيها، فلا بدّ من الاستشهاد حتى نرى بأعيننا قوة لغتنا، وإني أعتقد أنّ كتاب: مفاتيح العلوم للخوارزمي يوضّح لنا أكمل توضيح ما نريد، وأرى أن الإشارة إلى فقرة مما ورد في مقدمة الكتاب تعلمنا بمحتويات هذا الكتاب الجامع لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، المتضمن ما بين كل طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات التي خلت منها أو من جلّها الكتب الحاصرة لعلم اللغة.

فهذه الإشارة تبيّن لنا الأفق البعيد الذي اشتمل عليه كتاب مفاتيح العلوم، وأريد بهذا الأفق الألفاظ التي اصطلح عليها العلماء في علومهم.

وقد أحب المؤلف أن يستشهد في مقدمته بثلاثة ألفاظ من باب ضرب المثل فقال:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومثال هذه المواضعات لفظة الرّجْعة فانها عند أصحاب اللغة المرّة الواحدة من الرجوع لا يكادون يعرفون غيرها، وهي عند الفقهاء الرجوع في الطلاق الذي ليس ببائن، وعند المتكلمين ما يزعمه بعض الشيعة من رجوع الإمام بعد موته أو غيبته، إلى غير معاني هذه اللفظة عند الكتاب والمنجّمين.

ولفظة الفك فإنها عند أصحاب اللغة والفقهاء مصدر فك الأسير أو الرهن أو الرّقبة، وأحد الفكين وهما اللّحْيان، وعند أصحاب العروض إخراج جنس من الشعر من جنس آخر تجمعها دائرة، وعند الكتّاب تصحيح اسم المرتزق في الجريدة بعد أن كان وضع عنها.

ولفظة الوتد عند اللغويين والمفسّرين أحد أوتاد البيت أو الجبل من قوله تعالى : « والجبالَ أوتادا » ، وعند أصحاب العَروض ثلاثة أحرف اثنان متحركان وثالث ساكن ، وعند المنجّمين أحد الأوتاد الأربعة التي هي الطالع والغارب ووسط السماء ووتد الأرض .

إلاّ أن هذا الاستشهاد المختصر لايشفي الغليل ، فهو لا شيء إذا قيس بالألفاظ المستحدثة التي تضمَّنها كتاب مفاتيح العلوم ، على أنه لا سبيل إلى الإتيان على ذكر كل هذه الألفاظ ، وحسبنا أن نعرف أن المؤلف جعل كتابه مقالتين : إحداهما لعلوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية ، والثانية لعلوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم .

وإذا رجعنا إلى فهرست أبواب الكتاب وفصوله وجدناه طويلاً ، ولذلك فإننا نكتفي بذكر بعض العلوم التي أشار إليها المؤلف وذكر ألفاظها المستحدثة التي لكل واحدٍ منها معنيان : معنى لغوي في الأصل ، ومعنى اصطلح عليه علماء كل علم .

لقد أشار الخوارزمي في كتابه إلى أبواب كثيرة ، إلى الفقه ، وعلم الأصول ، وعلم الكلام ، كما أشار إلى النحو والعروض والفلسفة والمنطق والايضاح والخطابة والشعر والطب والتشريح والحساب والهندسة والجبر والمقابلة والفلك والموسيقى وجرّ الأثقال والكيمياء ، وإلى أبواب كثيرة غير التي ذكرتها .

فكيف تكون حالة العلوم في زمن بني العبّاس لولا اجتهاد العلماء في التصرف في اللغة ومفرداتها ، كيف تكون حالة هذه العلوم لو عجزت اللغة عن

وضع ألفاظ لها تدرك بها أسرارها ، كيف تستفيض هذه العلوم في عصر ظهورها وكيف نصل إلينا بعد ظهورها لولا هذه الألفاظ المستحدثة التي وضّحتها وفصّلتها ، ولماذا لا أقول صوّرتها للعقول تصويراً .

إني لا أرى سبيلاً إلى ذكر ألفاظ كل علم على حدة ، فهذا أمر لا يستوعبه إلا معجم ، لقد ألفنا ألفاظ النحو والعَروض والشرع والفقه فلا حاجة بنا إلى تكرارها ، ولكن ما عسانا أن نقول في ألفاظ الجبر والهندسة مثلاً ، فالهندسة كلمة فارسية وأصلها : اندازه ، أي المقادير ، قال الخليل : المهندس الذي يقدّر مجاري القُنِيّ ومواضعها حيث تحتفر ، وهو مشتق من الهندزة وهي فارسية ، فصُيِّرت الزاي سيناً في الإعراب ، لأنه ليس بعد الدال زاي في كلام العرب ، فلما دخلت الهندسة في علوم العرب وأصلها باليونانية : جومطريا ، لم تألف أذواق العرب هذه اللفظة فوضعوا لها اسماً وسمّوها : هندسة ، فلم يقفوا عند عقبة تعترضهم ، ثم دخلوا في تفاصيل هذا العلم فوضعوا ألفاظ الخطوط والبسائط والمجسّمات ، وقسموا كل خط أقساماً فقالوا : مستقيم ومقوّس ومنحن وقالوا : خطوط متوازية وخطوط متلاقية ثم قالوا : زوايا مسطّحة ومجسّمة ، ثم قالوا : زاوية قائمة ومنفرجة وحادّة ، ثم قالوا : المحيط والقوس والأضلاع ثم قالوا : القاعدة والقطر والعمود والقوس والسهم .

وهذا باب لا نهاية له إذا تبسّطنا فيه ، ولكننا لم نجد لنا مندوحة عن ذكر بعض الألفاظ المستحدثة حتى نعرف تطور اللغة في زمن بني العبّاس ، وإذا قابلنا بين هذا العصر الذي ظهرت فيه العلوم ووضعت لهذه العلوم الألفاظ التي تحتاج إليها وبين عصر الجاهلية أو عصر صدر الإسلام استطعنا

أن ندرك تطور اللغة الإدراك كلّه ، واستطعنا أن نحيط بعظمة هذه اللغة ، فاللغة الغنيّة ، اللغة العظيمة هي التي لا تعجز عن استيعاب ما يدخلها من العلوم والمذاهب والأفكار ، هي التي تستطيع أن تضع لهذه العلوم ولهذه المذاهب ولهذه الأفكار ما يلزمها من الألفاظ وهذا ما فعلته اللغة في زمن بني العباس ، وهذا الدليل الواضح على تطوّرها .

واذا كنّا نُعنى بتطور اللغة على أيّام بني العبّاس فاننا لا نستغني عن الرجوع إلى كتاب الأغاني الذي وردت فيه ألفاظ كثيرة تدلّ على المراكب والملابس والمآكل وغير ذلك مما أحدثته حضارة العصر ، فقد استفادوا من ألفاظ موضوعة وتصرفوا فيها بعض التصرف فأطلقوها على مسمَّيات مما اقتضته الحاجة ، وإني لا أتوسّع في الاستشهاد ، وإنما أقتصر على أمثلة بسيطة ، من هذا القبيل مثلاً لفظة الرطلية ، ولا شك في أن معناها الإناء الذي يسع رطلاً من النبيذ ونحوه ، وهكذا نجد أنهم اشتقوا من لفظة الرطل لفظة الرطلية التى تسع هذا الرطل وهي أدق من الإناء أو الوعاء ، فالإناء عام والرطلية خاصة ، والتخصيص من شروط الدقة في مفردات اللغة .

ومن هذا الشكل لفظة العرسيات ، وهم يريدون بذلك الطعام الذي يصنع في الأعراس ، فكلما استفحلت عندهم مذاهب الحضارة واتسعت الحياة الاجتماعية استطاعوا أن يخلقوا لهذه الحياة ما يناسبها من الألفاظ الدالة عليها .

وقد استشهد المرحوم الأستاذ أحمد أمين بلفظة : ندّر الرجل وتندّر إذا جاء بالنادرة وندّر بفلان وتنادر عليه إذا جعله موضع نادرته . وهذه المادّة من مستحدثات اللغة في العصر العبّاسي ، وردت في كتاب الأغاني .

وقد ذهبوا مذاهب أبعد فاشتقوا من الأسماء صيغاً تدلّ على التشبه بأصحاب هذه الأسماء ، سواء أكانت أعلاماً أم كانت أسماء مدنٍ أو حيوان ، من قبائل العرب قبيلة اسمها اللهازم وردت في شعر الفرزدق ، فقالوا : تلهزم فلان إذا دخل في هذه القبيلة أو تشبّه بأهلها وكذلك اشتقوا من اسم معبد المغني فعلاً فقالوا : هذا صوت تمبد فيه ابن سريج ، أي تشبه بمعبد في الغناء ، ووضعوا لفظة البرمكة المشتقة من بَرْمك جدّ يحيى بن خالد البرمكي .

أمّا البلدان فقالوا : تبغدد فلان إذا انتسب إلى بغداد أو تشبه بأهلها . وأمّا الحيوان فقد نجد في الأغاني فعل : تقنفذ ، إذا تشبه بالقنفذ في مشيته .

(للبحث تتمة) شفيق جبري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العرف

في الفرنسية Coutume

في الانكليزية Custom

العرف العادة ، وهو قسمان : العرف العام ، والعرف الخاص .

أما العرف العام فهو مجموع العوائد والتقاليد العامة المنتشرة في المجتمع ، وأما العرف الخاص فهو مجموع ما يتعوده الفرد من أنماط السلوك .

والفرق بين العرف والعادة عند القدماء أن استعمال العادة في الأفعال ، والعرف في الأقوال . الا أن المحدثين يفرقون بينهما بطريق آخر فيقولون : العرف خارجي والعادة داخلية وخارجية معاً . لذلك قال بعضهم : العرف لا يثبت الا بالتكرار ، على حين أن العادة قد تثبت بمرة .

العرفان

في الفرنسية Gnose

في الانكليزية Gnosis

في اللاتينية Gnosis

العرفان هو العلم بأسرار الحقائق الدينية ، وهو أرقى من العلم الذي يحصل لعامة المؤمنين ، أو لأهل الظاهر من رجال الدين .

والعارف (Gnostique) هو الذي لا يقنع بظاهر الحقيقة الدينية بل يغوص على معناها لمعرفة سرها . كالعارفين من اليهود والأفلوطينين والمسيحيين وغيرهم وهم خمس فرق : (١) الفلسطينيون (٢) والسريانيون (٣) والمصريون (٤) والاسيويون (٥) وأنصار الأفلاطونية الحديثة الذين أخذوا بنظرية التوفيق بين العقائد المختلفة .

ويطلق اسم العرفانية او الغنوصية (Gnosticisme) على المذهب الذي انتشر في القرنين الثاني والثالث للميلاد وامتد بطريق الافلاطونية الحديثة إلى فلاسفة الإسلام ، وخلاصته أن العقل البشري قادر على معرفة الحقائق الإلهية وان الحقيقة واحدة وإن اختلف تعليمها ، وإن الموجودات فاضت عن الواحد ولها مراتب مختلفة أعلاها مرتبة العقول المفارقة ، وأدناها مرتبة المادة ، وهي مقر الشر و العدم . أما النفس التي هبطت إلى هذا العالم فانه لا خلاص لها إلا بالمعرفة ، بل الخلاص بالمعرفة أفضل من الخلاص بالإيمان والأعمال الصالحة . ومع أن بعض العرفانيين يقولون بالاثنينية ويمزجون تعليمهم بشيء من الوهم والخيال ، فان العرفانية المسيحية تقول إن الخلاص لا يتم إلا بطريق الحكمة . وللناس في نظرها ثلاث مراتب : أولاها مرتبة العارفين وخلاصهم بالحكمة ، وثانيتها مرتبة المؤمنين وخلاصهم بالإيمان ، وثالثتها مرتبة الجهال وهم هالكون لا محالة . وكل مذهب يزعم أنه يمكن تفسير حقائق الوجود تفسيراً عقلانياً ، فهو مذهب عرفاني وضده المذهب اللاعرفاني (Agnosticisme) وهو القول بأن العقل البشري عاجز عن إدراك الحقائق الإلهية .

ويطلق اصطلاح علم العرفان (Gnoséologie) على نظرية المعرفة (Théorie de la connaissance) ويرادفه لفظ الابستمولوجيا (Epistémologie) ومعناه فلسفة العلوم . والفرق بين اللفظين أن الأول يبحث في منشأ المعرفة

وطبيعتها وقيمتها وحدودها بحثاً نظرياً محضاً ، على حين أن الثاني يبحث في موضوعات العلوم وطرقها وقوانينها ومبادئها بحثاً انتقادياً وتحليلياً مبنياً على الواقع والتجربة .

العشق

(راجع لفظ الحب)

العشق إفراط المحبة ، وله في اصطلاح الحكماء معنيان .

الأول هو العشق الغريزي أو الجذب الطبيعي المحرك لجميع الموجودات ، فان في كل واحد منها عشقاً غريزياً لكماله كعشق الأجسام الكيماوية بعضها لبعض ، أو عشق الحيوان للغذاء ، أو عشق الفتيان للوجوه الحسان . قال ابن سينا : « من أدرك خيراً فانه بطباعه يعشقه ، وكل واحد من الموجودات يعشق الخير المطلق عشقاً غريزياً » (رساله العشق) .

والثاني هو العشق الإلهي أو المحبة الخالصة التي يدعو اليها الصوفية ويصفونها بقولهم : ان الجوهر الإلهي في الإنسان إذا صفا من كدورة المادة اشتاق إلى شبهه ، ورأى بعين عقله الخير الأول المحض فأسرع إليه ، وحينئذ يفيض عليه نور ذلك الخير فيتحد به ويشعر بلذة لاتشبهها لذة ، وهذه المرتبة أعلى مراتب الوصول وهي لاتقبل الزيادة والنقصان ، فيها ينكر العارف معروفه والعاشق معشوقه ، فلا يبقى هنالك عارف ولا معروف ولا عاشق ولا معشوق ، بل عشق واحد مطلق هو الذات الحق الذي لايدخل تحت رسم ولا اسم ولا نعت ولا وصف .

وعشق الذات هو الإفراط في حب الذات ويسمى في اصطلاحنا بالنرجسية (Narcissisme) . راجع هذا اللفظ .

العصاب

في الفرنسية Névrose
في الانكليزية Neurosis

يطلق لفظ العصاب على الخلل العقلي الناشيء عن اضطراب الوظائف النفسية كالفكرة المتسلطة (Idée fixe) ، ومرض الشك ، وفقدان الذاكرة والخوف ، والتحذير ، واضطراب الكلام ، أو اضطراب الغريزة . وليس لهذا العصاب سبب عضوي معروف وان كان متصلاً بحياة المريض النفسية والاجتماعية ، وهو مصحوب بألم شديد ويخلل في التوازن العقلي ، إلاّ أنه لايغير شخصية صاحبه ولا يفقده هويته ووحدته .

وقد بين بعض العلماء أن هذا العصاب ينشأ عن صراع داخلي بين القوى النفسية ، وبين بعضهم الآخر أنه ينشأ عن اضطراب أو توقف في تطور الوظائف (راجع كتاب بيير جانه Les névroses : Pierre Janet) ويطلق اصطلاح عصاب القلق (Névrose d'angoisse) عند (فرويد) على شعور المرء بالضيق النفساني المحض الذي ليس له سبب واضح . وقد سمي هذا العصاب بالحصر النفساني أو الجزع أو الكرب ، وهو وإن كان مصحوباً بالخوف من الوقوع في المكاره إلا أنه ليس نتيجة هذا الخوف .

العضلي (الحس)

في الفرنسية Sens musculaire
في الانكليزية Muscle sens, Muscular sens

الحس العضلي هو الحاسة التي تدرك الاحساسات الناشئة عن تقلص

العضلات أو ارتخائها . وهو يختلف عن الحس المفصلي (Sens articulaire) الذي ينشأ عن أطراف الأعصاب المتصلة بحركات المفاصل .

(راجع الحس الحركي Sens Kinésthèsique) .

العضو

في الفرنسية	Organe
في الانكليزية	Organ
في اللاتينية	Organun

العضو جزء من الجسم الحي كالقلب والدماغ والمعدة والكبد .. الخ . ولكل عضو من أعضاء الجسم وظيفة معينة يقوم بها ، تقول : أعضاء الحس وأعضاء الحركة ، ويرادفه لفظ الجهاز ، وهو قسم من جسم الإنسان يعمل لغاية معلومة كجهاز التنفس ، وجهاز الهضم ، وكل جهاز يؤدي عملاً يسمى آلة .

ويطلق لفظ العضو أيضاً على الرجل المشترك في هيئة أو شركة أو جماعة ونحو ذلك ، تقول : عضو المجمع العلمي ، وعضو المجلس البلدي الخ ..

العضوي

في الفرنسية	Organique
في الانكليزية	Organic

العضوي هو المنسوب إلى العضو ، ويطلق على كل جسم مركب من أجزاء ذات وظائف متميزة ومتناسقة تقول : الكل العضوي ، أي الكل المفتّى وتقول أيضاً : الوظائف العضوية والكيمياء العضوية .

والعضوي ضد الميكانيكي أو الآلي ويطلق على كل نمو ناشيء عن تأثير قوة مركزية داخلية تعمل لغاية معينة فإذا كان نمو الجسم ناشئاً عن اجتماع الأسباب الداخلية والخارجية الفاعلة ولم تكن هذه الأسباب خاضعة لقوة مركزية توجهها إلى غاية معينة لم يكن ذلك النمو عضوياً .

والكائن العضوي (Organisme) هو الكائن الحي .

والمذهب العضوي (Organicisme) ضد المذهب الحيوي (Vitalisme) وهو القول أن الحياة تنشأ عن التنظيم والتمضية ، أي عن تكون الأعضاء واتصافها ببعض الصفات الحيوية الخاصة . ذلك هو المعنى الذي أخذ به (سيسه - Saisset) في قوله إن لبعض الأجسام خواص زائدة على الخواص الفيزيائية والكيماوية وهي اتصافها بالتقلص والتهيج والإحساس ، وإن الحياة تنشأ عن تكون الأعضاء المتصفة بهذه الصفات ، والمذهب العضوي في علم الاجتماع هو القول إن المجتمع كائن حي وإن علم الاجتماع قسم من علم الحياة .

العِظَم والعَظَمَة

في الفرنسية	Grandeur
في الانكليزية	Greatness
وهو مشتق من اللفظ اللاتيني	Grandis

العظمة صفة العظيم وهي مادية أو معنوية . أما المادية فهي من الجسم ما ضخم منه ويرادفها العظم ، تقول : عظم الجبل ، وعظم البحر ، وأما المعنوية فهي الكبرياء والجبروت والنخوة والزهو ، تقول : عظمة الملك ، وعظمة الفكر وحب العظمة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والعظم في الرياضيات يسمى مقداراً وهو كل ما يزيد وينقص ، ويرادفه الكم وهو متصل أو منفصل .

والفرق بين العظمة والجلال أن العظمة تستعمل في الأجسام وغيرها على حين أن الجلال لا يستعمل إلا في غير الأجسام .

وعظمة الله وجوبه الذاتي أي استقلاله واستغناؤه عن غيره ، أما كبرياؤه فهي ألوهيته أي استغناؤه عما سواه واحتياج ما سواه إليه .

والعظيم نقيض الحقير كما أن الكبير نقيض الصغير . فقد يكون الشيء كبيراً ولا يكون عظيماً ، أو يكون صغيراً ولا يكون حقيراً ، لأن العظيم هو العظيم بصفاته المعنوية لا بصفاته المادية .

والفرق بين العظيم والكثير أن العظيم يستعمل في الأجزاء المتصلة والأجزاء المنفصلة ، على حين أن الكثير لا يستعمل إلا في الأجزاء المنفصلة . والدليل على ذلك أن الجبل وهو متصل الأجزاء ينعت بالعظيم ولا ينعت بالكثير ، وان المال وهو منفصل الأجزاء ينعت بالعظيم والكثير معاً .

وقد يستعمل العظيم في الخير والشر تقول إن الله ذو فضل عظيم وإن الشرك لظلم عظيم .

والأعظام عند الرياضيين أقسام الكم المتصل كالخط والسطح والجسم والمكان والزمان ، وإذا نسبت بعضها إلى بعض يقال لها مقادير .

وجنون العظمة (Folie des grandeurs , Mégalomanie) حالة نفسية شاذة مصحوبة بفقدان الجهد المادي والمعنوي تدفع صاحبها إلى المبالغة في طموحه ومطامعه ، حتى يتوهم أنه ملك أو نبي أو إله ، أو أنه أعظم الناس ثروة أو قوة أو مرتبة .

(راجع لفظ المقدار) .

العفّـــة

في الفرنسية	Tempérance
في الانكليزية	Temperance
في اللاتينية	Temperantia

العفة هيئة للقوة الشهوانية متوسطة بين الشره الذي هو إفراط هـذه القوة والخمود الذي هو تفريطها . قال مسكويه : « وأعني بالشره الانهاك في اللذات والخروج فيها عما ينبغي ، وأعني بخمود الشهوة السكون عن الحركة نحو اللذة الجميلة التي يحتاج إليها البدن في ضروراته ، وهي ما ترخص فيه الشريعة والعقل » (تهذيب الأخلاق ، ص : ٢٧ من طبعة بيروت ١٩٦٦ ، تحقيق قسطنطين زريق) والعفة إحدى الفضائل الأربع الرئيسية التي ذكرها أفلاطون ، وهي الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة .

والفضائل التي تحت العفة كثيرة ، منها الحياء ، والدعة والصـــبر ، والسخاء ، والحرية ، والقناعة ، والدماثة ، والانتظام ، والمسالمة ، والوقار ، والورع . وكل فضيلة من هذه الفضائل فهي وسط بين رزيلتين ، فالحيـاء وسط بين الوقاحة والخرق ، والسخاء وسط بين التبذير والبخل والقناعة هي الاعتدال في الأكل والشرب والزينة الخ . . وكل من جاوز حـد الاعتدال في مأكله ومشربه أو في فعله وسلوكه ، أو في إرضاء رغبـاته وشهواته لم يكن عفيفاً .

العقـاب

في الفرنسية	Peine , chatiment
في الانكليزية	Pain
في اللاتينية	Pœna

العقاب مايلحق الإنسان بعد الذنب من المحنة في الآخرة ، فاذا خرج المؤمن من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب ، وإذا خرج من غير توبة عن ذنب ارتكبه استحق العقاب .

والعقوبة مايلحق الإنسان من المحنة بعد الذنب في الدنيا ، ولها في قانون العقوبات درجات متفاوتة أشدها عقوبة الإعدام وأخفها عقوبة الحبس أو الغرامة .

ARCHIVE

والفرق بين العقاب والعذاب أن العقاب جزاء الشر ، على حين أن العذاب هو الألم الشديد جزاءً كان أو لا . تقول : السفر قطعة من العذاب وكل ما شق على النفس فهو عذاب أي شعور بالألم . وهو مادي أو معنوي .

(راجع لفظ الألم) .

العقـد

في الفرنسية	Contrat
في الانكليزية	Contract
في اللاتينية	Contractus

العقد العهد ، إلا أن العهد إلزام مطلق والعقد إلزام على سبيل الاحكام . وهو اتفاق بين طرفين أو أكثر يلتزم كل منهم بمقتضاه تنفيذ ما اتفقوا عليه .

وعقد العمل (Contrat du travail) عقد يلتزم شخص بموجبه أن يعمل في خدمة شخص آخر لقاء أجر .

والعقد الاجتماعي (Contrat social) اتفاق افتراضي بين أفراد المجتمع يوجب على كل منهم وهو في الحالة الطبيعية أن يعهد إلى حكم « الإدارة العامة » في جميع ما لديه من قدرات خاصة تنتظم بها حياة الكل . قال روسو : « إن الإنسان يربح بالعقد الاجتماعي حريته المدنية،وإن خسر به حريته الطبيعية» . (J. J. Rousseau , Contrat social , I , VIII) .

العقدة

في الفرنسية	Complexe
في الانكليزية	Complex
في اللاتينية	Complexus

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العقدة مشكلة تعترض حياة الشخص فينشأ عنها اضطراب في النفس . وهي جملة من التصورات المشحونة بالانفعال الشديد تنمو على هامش الشعور الواضح حتى تبلغ درجة السيطرة عليه .

والعقد في علم التحليل النفسي كثيرة منها عقدة النقص أو الصفة ، وتسمّى مركب النقص (Conplexe d'enfériorité) وعقدة اوديب (Conplexe d'Oedipe) وعقدة الكترا (Conplexe d'Electre) . وغيرها .

أما عقدة النقص فهي موقف عاطفي يسيطر على المرء من جراء شعوره بضعفه العضوي أو الجنسي ، فيحمله ذلك في كثير من الأحيان على كبت عواطفه ، ويولد فيه حالة عصبية تختلف شدتها باختلاف الظروف المحيطة به والوسائل المتوافرة لديه .

وأما عقدة (اوديب) فهي ميل جنسي مظهره عشق الولد لأمه ، وقد أطلق عليها هـذا الاسم نسبة إلى (اوديب) الذي قتل أباه وتزوج أمه . وتتألف هذه العقدة من جملة من التصورات والعواطف المتضاربة شعورية كانت أو غـير شعورية تتجلى في ميل الولد إلى أمه وغيرته عليها من والده .

وأما عقدة (الكترا) فهي ضد عقدة (اوديب) وتتميز بميل جنسي مظهره عشق الفتاة لأبيها . وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى (الكترا) التي أرادت أن تنتقم من أمها لتهيئتها أسباب قتل أبيها (آغاممنون) ومن صفات هـذه العقدة انها مصحوبة بتعلق الفتاة عن وعي أو غير وعي بوالدها ، وبكرهها لأمها ، وباضطراب تصوراتها وعواطفها من جراء شعورها بالإثم .

وعقدة (الكترا) عند البنات نظير عقدة (اوديب) عـند البنين (راجع فرويد S. Freud , über Psychoanalye , 7 - 30) وبونغ Yung . L'homme à la découverte .

العقل

في الفرنسية Raison , intelligence , intellect
في الانكليزية Reason, understanding intelligence intellectual powers
في اللاتينية Ratio, intelligentia intellectus

العقل في اللغة هو الحجر والنهي ، وقد سمي بذلك تشبيهاً بعقل الناقة ، لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع العقال الناقة من الشرود . والجمهور يطلق العقل على ثلاثة أوجه (راجع معيار العلم للغزالي ص ١٦٢ .)

الأول يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته ويكون حده أنه هيئة محمودة للانسان في كلامه واختياره وحركاته وسكناته .

والثاني يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية فيكون حده أنه معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها الأغراض من المصالح .

والثالث يراد به صحة الفطرة الأولى في الإنسان فيكون حده أنه قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها .

أما الكندي (رسالة في ماهية العقل والإبانة عنه ، ورسالة في حدود الأشياء ورسومها) والفارابي (مقالة في معاني العقل) وابن سينا (رسالة الحدود) وغيرهم من الفلاسفة فانهم يطلقون العقل على المعاني التالية ، وهي :

١ — أول هذه المعاني هو القول إن العقل « جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها » (الكندي ، رسالة في حدود الأشياء ورسومها) وهذا الجوهر « ليس مركباً من قوة قابلة للفساد » (ابن سينا ، الإشارات ص ١٧٨) وإنما هو « مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله » (تعريفات الجرجاني) وهذا القول بجوهرية العقل مع نفي العرضية عنه موجود في أكثر كتب الفلاسفة ، فالفارابي عندما يتحدث عن القوة التي تدرك المعقولات يقول إنها « جوهر بسيط مقارن للمادة ، يبقى بعد موت البدن ، وهو جوهر أحدي ، وهو الإنسان على الحقيقة » (عيون المسائل ، ص ٦٤) . وابن سينا لايتحدث عن القوة العاقلة إلا ليطلق عليها اسم الجوهر ، وهو يسمي الجوهر المتبرئ من المواد من كل جهة عقلاً ، وهو النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله : أنا .

٢ — والمعنى الثاني للعقل هو القول إنه قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني وتأليف القضايا والأقيسة . والفرق بينه وبين الحس أن

الحس لايستطيع أن يجرد الصورة من المادة على حين أن العقل يستطيع أن يأخذ الصورة مجردة عن المادة ولواحقها من كل وجه . وله عند فلاسفة الإسلام عدة مراتب : أولاها مرتبة العقل الهيولاني (Intelligence matérielle) وهو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات ، وثانيتها العقل بالملكة (Intelligence · Habitude) وهو العلم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات ، وثالثتها العقل بالفعل (Intelligence en acte) وهو القدرة على استنباط النظريات من الضروريات ورابعتها العقل المستفاد (Intelligence acquise) ، وهو أن تكون النظريات حاضرة عند العقل لاتغيب عنه ، وفوق العقل الإنساني عقل مفارق وهو العقل الفعال (Intelligence active) الذي تفيض منه الصور على عالم الكون والفساد ، فتكون موجودة فيه من حيث هي فاعلة ، أما في عالم الكون والفساد فهي لاتوجد إلا من جهة الانفعال . وهذا الفرق بين الفعل والانفعال يذكرنا بقول (أرسطو) ان العقل الفاعل (Intellect agent) هو العقل الذي يجرد المعاني أو الصور الكلية من لواحقها الحسية الجزئية على حين العقل المنفعل (Intellect passif) هو الذي ترتسم فيه هذه الصور المجردة .

٣ — والمعنى الثالث للعقل هو القول إنه « قوة الإصابة في الحكم » أي تمييز الحق من الباطل والخير من الشر والحسن من القبيح (ديكارت ، مقالة الطريقة القسم الأول ص ١ من ترجمتنا) وهذا التمييز لايحصل عن قياس وفكر بل يحصل مباشرة بالفطرة والطبع . فكأن العقل كما قال (الرازي) غريزة يلزمها العلم بالأمور الكلية والبديهية . وقد أشار (ديكارت) إلى هذا المعنى بقوله : ان القاعدة الأولى لطريقته هي أن لايتلقى على الإطلاق شيئاً على أنه حق مالم يتبين ببداهة العقل أنه كذلك .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

فالعقل بهذا المعنى مضاد للحمق ، لأن الحمق قلة العقل وفساده ووضع الشيء في غير موضعه مع العلم بقبحه وهو مضاد أيضاً للهوى لأن الهوى ينسع المرء من الإصابة في الحكم على حين أن العقل يمنع النفس من العدول عن سواء السبيل وينهاها عن اتباع هواها .

٤ — والمعنى الرابع للعقل هو القول إنه قوة طبيعية للنفس متهيئة لتحصيل المعرفة العلمية ، وهذه المعرفة مختلفة عن المعرفة الدينية المستندة إلى الوحي والإيمان .

قال ابن خلدون : « ان العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلاً وتعليماً هي على صنفين : صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكره ، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه . والأول هو العلوم الحكمية والفلسفية ، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر ، والثاني هو العلوم النقلية الوضعية ، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل إلا في الحاق الفروع من مسائلها بالأصول » (المقدمة ، ص ٤٣٥) ومعنى ذلك أن موضوع الدين معرفة الحقائق التي أوحى بها الله ، أما موضوع العلم فهو معرفة الحقائق التي يستطيع الإنسان أن يحصلها بعقله الطبيعي دون معونة خارجية . ولهذا العقل الطبيعي في نظر ابن خلدون ثلاث درجات أولاها درجة العقل التمييزي وثانيتها درجة العقل التجريبي ، وثالثتها درجة العقل النظري .

٥ — والمعنى الخامس للعقل هو القول إنه مجموع المبادي القبلية (A priori) المنظمة للمعرفة كمبدأ عدم التناقض ، ومبدأ السببية ومبدأ الغائية . وتتميز هذه المبادىء بضرورتها وكليتها وبعدم تعلقها بالتجربة . قال ليبنز : « يتميز الإنسان عن الحيوان بادراكه للحقائق الضرورية والأبدية ،

فهي التي تولد فيه العقل والعلم وتسمو به إلى معرفة ذاته ومعرفة الله ، (Monodologie - 29) . وقد انتشر هذا المعنى في الفلسفة الحديثة بتأثير (كانت) حتى أصبح الفلاسفة يقولون إن إدراك العقل للعالم لايتم بما يحصل له من مدركات تجريبية فحسب ، بل يتم بما لديه من معاني فطرية . فاذا قال الفلاسفة التجريبيون : لايوجد في العقل شيء لم يوجد قبل في الحس والتجربة صحح الفلاسفة العقليون هذا القول باضافة قيد واحد عليه وهو قولهم : إلا العقل نفسه . ومعنى ذلك أن جملة المبادىء والمعاني الأولية التي يكشف عنها الفكر موجودة في العقل قبل الحس ، وأن العقل الغريزي ليس صفحة بيضاء لم تنقش بنقش ، وإنما هو ذو رسوم فطرية تنظم معطيات التجربة . وبعض المعاني الكلية كمعنى الكامل والمطلق واللانهائي ملازمة للعقل لاتفارقه ، وبعضها الآخر كمعنى الزمان والمكان والعلة والغاية والوحدة حاصلة للعقل بواسطة الفكر . والفرق بين العقل والفكر أن العقل هو مجموع المبادىء الضرورية والمعاني الكلية التي تنظم المعرفة على حين أن الفكر هـــو حركة النفس في المعقولات من المطالب إلى المبادىء تارة ، ومن المبادىء إلى المطالب أخرى . أما الفرق بين العقل والاستدلال فهو أن العقل نور يدرك المبادىء الضرورية بذاته إدراكاً حدسياً مباشراً على حين أن الاستدلال هو النظر في شروط انطباق هذه المبادىء على موضوعات الفكر لاستخراج النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة .

٦ — والمعنى السادس للعقل هو القول انه الملكة التي يحصل بها للنفس علم مباشر بالحقائق المطلقة . وإذا قلنا بوحدة العقل وموضوعه دل العقل حينئذ على المطلق نفسه . فكأن هذا العقل شيء مستقل عنا ، ونحن نتلقاه من الخارج كما نستنشق الهواء المحيط بنا ، وكل واحد منا كما يقول

(بوسويه) يشعر بأن في داخله عقلاً محدوداً ، لا يصحح أحكامه إلا باستلهام عقل كلي ثابت لايتغير ، فأين يوجد هذا العقل الكلي ، انه الله الذي أتطلّع إليه ، إنه الوجود ، اللانهائي الكامل الذي يتجلّى لنفسي مباشرة . فكأن هذا العقل الذي أشار إليه (بوسويه) شبيه بالعقل الفعال الذي تكلم عليه الفارابي وابن سينا ، فالله عقل ، وليس عقل الإنسان سوى عقل مستفاد تفيض عليه المعقولات من العقل الإلهي . ومع أن (كانت) قد أعلن أن معرفة هذا العقل المطلق ممتنعة فأن خلفاءه ولا سيا (شيلينغ) يقولون بامكان معرفته ، وهكذا يتدرجون إلى القول بعقل مستقل عن الفكر أي بحدس شبيه بإلهام الشاعر ، يكافح الشك أو الباطل أو الضلال الذي يظهر على مسرح الفكر كأن هنالك فوق الفكر منطقة نورانية أو منطقة سلام دائم يقبض فيها العقل على الحقائق المطلقة دون الاستعانة بالفكر . وقد خلق الله هذا العقل لإدراك هذه الحقائق ، كما خلق العين لإدراك الألوان والأشكال والأذن لإدراك الأصوات . (راجع كتاب فكتور كوزان (Victor Cousin Du vrai, du beau, et du bien, 3e leçon, 161.

٧ — ويطلق لفظ العقل أيضاً على مجموع الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل المعرفة كالإدراك الحسي ، والتـداعي ، والذاكرة والتخيل ، والحكم والشعور والاستدراك ويقابله في اللغة الفرنسية لفظ (Intelligence) وهو ملكة الفهم وضده الحـدس والغريزة . أما ملكة الفهم السريع فتسمى ذكاء .

٨ — العقل المحض والعقل العملي (Raison pure et raison pratique) يطلق (كانت) هذين الاصطلاحين على كل ماهو قبلي في الفكر أي على الملكة التمالية التي تتضمّن مبادىء المعرفة القبلية المستقلة عن التجربة . فاذا نظرت إلى العقل من جهة اشتماله على المبادىء القبلية للمدركات العلمية كان

نظرياً أو تأملياً ، واذا نظرت اليه من جهة اشتماله على المبادىء القبلية لقواعد الأخلاق كان عملياً . وإذا كان العقل النظري محضاً تارة ومبنياً على التجربة أخرى فان العقل العملي لايمكن أن يكون إلا محضاً . والعقل عند (كانت) معنى أخص وهو إطلاقه على ملكة الفكر المتعالية التي بها تدرك المعاني التالية كمعاني النفس والله والعالم ، وهو بهذا المعنى ليس مضاداً للتجربة وإنما هو مضاد لملكة الفهم ، وله ناحية عملية خاصة وهي أن موضوعات الأخلاق (Postulats de la morale) . كالقول بالحرية وخلود النفس ووجود الله متعلقه به .

٩ – العقل المؤلِّف والعقل المؤلَّف (Raison constituante et raison constituée)

العقل المؤلِّف عند (لالاند) هو الملكة التي يستطيع بها كل إنسان أن يؤلف من إدراك العلاقات مبادىء كلية وضرورية ، وهي واحدة عند جميع الناس . أما العقل المؤلَّف عنده فهو مجموع المبادىء والقواعد التي يُعتمد عليها في الاستدلال ، وهي تتغير بتغير الزمان والأفراد ، إلا أنها تتجه مع ذلك إلى الوحدة ، فكأن العقل المؤلِّف هو العاقل ، وكأن العقل المؤلَّف هو المعقول .

١٠ – والعقلي (Rationnel) هو المنسوب إلى العقل ، تقول : المبادىء العقلية والعلوم العقلية . قال (هيجل) كل عقلي فهو موجود بالفعل ، وكل موجود بالفعل فهو عقلي .

والعقلي أيضاً هو المنطقي ، تقول : يجب أن يصبح العلم الرياضي نقطة الابتداء في كل تربية عقلية (أي منطقية) ، وتقول علم الميكانيك العقلي أي

النظري ، وهو العلم الذي يستنبط جميع مسائله من معاني القوة والكتلة والقصور الذاتي وغيرها .

والحياة العقلية (Vie intellectuelle) في علم النفس مقابلة للحياة الانفعالية (Vie affective) والحياة الفاعلة (Vie active) والقيم العقلية مقابلة للقيم الأخلاقية أو الفنية .

١١ — والعاقل (Raisonnable) هو الناطق أي المتصف بالعقل وكل من قال في الانسان انه عاقل عنى بذلك أن عقله يميزه من الحيوان .

والعاقل أيضاً هو الذي يفكر تفكيراً صحيحاً ويحكم على الأشيـــاء حكماً صادقاً ويعمل عملاً صالحـاً ، فلا يسمّى عاقلاً حتى يكون خيراً ، بخلاف الجاهل الذي يستعمل فكره في فعل الشر ، فلا يسمى عاقلاً وإنمـا يسمى داهياً أو ماكراً .

والعاقل أيضاً هو الذي يعرف كيف يكبح جماح نفسه ويعرض عن كل ما يجاوز نطاق قدرته ويوقعه في المهالك ، ولذلك قيل : دولة الجاهل من الممكنات ، ودولة العاقل من الواجبات .

والعاقل أخيراً هو الذي يتقيد بالذوق والعرف العـــام ، أو بأحكام القيم المقبولة في زمانه ، ويرادفه المعتدل والمتزن .

١٢ — والمعقول (Intelligible) ضد المحسوس ، وهو المعنى الكلي ، والمعقولية (Rationalité ou intelligibilité) صفة المعقول كمعقولية بعض المبادئ التي نستخرجها من الارتباط الضروري بين التطورات . ولما كانت المحسوسات منبع الكثير من الخطأ والضلال وكان حاكم العقل يكذب حاكم الحس كانت المعرفة اليقينية مؤلفة من المعقولات لا من المحسوسات ، والمعقول في بعض المذاهب الفلسفية مرادف للوجود الحقيقي ، تقول : عالم المعقولات وعالم المثل ، وتقول أيضاً : معقول الحيوانية ، ومعقول الانسانية ومعقول الحرية ، وهي معان

كلية لها في نظر بعض الفلاسفة ثلاثة أنماط من الوجود : وجودها متكثرة في المحسوسات ، ووجودها في العقل البشري بعد الكثرة ، ووجودها في عالم المعقولات قبل الكثرة .

١٣ — ومبدأ المعقولية الكلية (Principe de l'universelle intelligibilité) اصطلاح أطلقه (فويه) في كتابه « فلسفة افلاطون » على الايمان بمعقولية الأشياء وهو القول إن كل موجود فهو مؤلف من قوانين العقل الأساسية . فاذا شك المرء في شيء لم يشك فيه لذاته بل شك في قدرته هو على معرفة ذلك الشيء . وإذا قلت إن كل شيء معقول أردت بهذه المعقولية ان لكل شيء صورة عقلية تفسره .

١٤ — العقلانية أو المذهب العقلي (Rationalisme) .

المذهب العقلي هو القول بأولية العقل ويطلق على عدة معان :

آ — الأول هو القول إن كل موجود فله علة في وجوده بحيث لايحدث في العالم شيء إلا وله مرجح معقول .

ب — والثاني هو القول إن المعرفة تنشأ عن المبادىء العقلية القبلية والضرورية لا عن التجارب الحسية ، لأن هذه التجارب لاتفيد علماً كلياً والمذهب العقلي بهذا المعنى ضد المذهب التجريبي (Empirisme) الذي يزعم أن كل ما في العقل فهو متولد من الإحساس والتجربة .

ج — والثالث هو القول إن وجود العقل شرط في إمكان التجربة فلا تكون التجربة ممكنة إلاّ إذا كان هنالك مبادىء عقلية تنظم معطيات الحس . مثال ذلك ان المثل عند (افلاطون) والمعاني النظرية عند (ديكارت) والصور القبلية (Formes a priori) عند (كانت) متقدمة على التجربة . فاذا عددت هذه المثل وتلك المعاني والصور شرطاً ضرورياً وكافياً لحصول

المعرفة كانت العقلانية مطلقة ، وإذا عددتها شرطاً ضرورياً فقط كانت العقلانية نسبية .

د ـ والرابع هو الإيمان بالعقل وبقدرته على إدراك الحقيقة وسبب ذلك في نظر العقليين أن قوانين العقل مطابقة لقوانين الأشياء الخارجية وأن كل موجود معقول ، وكل معقول موجود . فاذا صح عندهم أن العقل قادر على الاحاطة بكل شيء دون عون خارجي يأتيه من القلب أو الغريزة أو الدين كان مذهبهم مضاداً لمذهب الايمانيين (Fidéistes) ومذهب المتصوفين .

هـ ـ والعقلانية عند بعض علماء الدين هي القول ان العقائد الايمانية مطابقة لأحكام العقل . ولهذه العقلانية ثلاثة أوجه : الأول هو القول ان العقل شرط ضروري كاف لمعرفة الحقائق الدينية ، والثاني هو الإعراض عن جميع العقائد التي لا يمكن إثباتها بالمبادىء العقلية ، والثالث هو الدفاع « عن العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية » (مقدمة ابن خلدون ص : ٤٦٦)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العقيدة

في الفرنسية	Dogme
في الانكليزية	Dogma
في اللاتينية	Dogma

العقيدة هي الحكم الذي لا يُقبل الشك فيه لدى معتقده ، ويرادفهما الاعتقاد والمعتقد . وتطلق في الفلسفة على الرأي المعترف به بين أفراد مذهب واحد كالعقيدة الرواقية والعقيدة الركسية . وتطلق في الدين على

ما يؤمن به الانسان ويعتقده كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل والعقاب والثواب وغيرها .

والاعتقادية أو الوثوقية أو التوكيدية (Dogmatisme) مذهب الذين يؤمنون بقدرة العقل على الوصول إلى اليقين وهي ضد الريبية (Scepticisme) وضد الانتقادية (Criticisme) .

وقد يطلق لفظ الوثوقي أو التوكيدي تهكماً على من يتعصّب لرأي يسلم به دون تمحيص ، ويحاول فرضه على غيره دون برهان .

العكس

في الفرنسية	Conversion
في الانكليزية	Conversion
في اللاتينية	Conversio

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العكس استدلال مباشر يقوم على تصيير الموضوع محمولاً والمحمول موضوعاً مع بقاء السلب والإيجاب بحاله ، والصدق والكذب بحاله ، وله قسمان :

الأول هو العكس المستوي أو التام كما في الكلية السالبة والجزئية الموجبة فإن كل واحدة منها تنعكس مثل نفسها . فإذا قلت : لا شيء من (آ) (ب) صدق : لا شيء من (ب) (آ) ، وكذلك إذا قلت بعض (آ) (ب) صدق بعض (ب) (آ) .

والثاني هو العكس الجزئي أو العكس بالعرض كما في الكلية الموجبة التي تنعكس جزئية موجبة . فاذا قلت كل (آ) (ب) صدق بعض (ب) (آ) .

أما الجزئية السالبة فلا تنعكس ، فليس إذا صدق قولنا ليس كل إنسان كاتباً يجب أن يصدق ليس بعض الكاتب بانسان .

وللفظ (Conversion) في الفرنسية والانكليزية معنيان آخران الأول هو الرجعة وهي الحركة المضادة لحركة الصدور في الفلسفة الافلاطونية الحديثة ، لأن الصدور هو فيض العقل والنفس والعالم تتالياً ، ثم فيض الموجودات الفردية عن الواحد أو الخير أما الرجعة فهي عودة هذه الأشياء إلى مبدئها الأصلي . والثاني هو تحول الانسان من مبدأ سياسي أو خلقي إلى آخر أو اعتناقه ديانة غير ديانته .

العلاقة

في الفرنسية	Rapport . relation
في الانكليزية	Relation
في اللاتينية	Relatio

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العلاقة بالفتح الارتباط ، وبالكسر ما يعلق به السيف ونحوه . فالمفتوح يستعمل في الأمور الذهنية ، والمكسور في الأمور الخارجية المحسوسة .

وتطلق العلاقة في اصطلاح المنطقيين على ما بسببه يستصحب شيء شيئاً آخر . كعلاقة المقدم بالتالي في القضايا الشرطية المتصلة ، مثل قولنا في اللزوميات إذا كانت الشمس طالعة فالنهار موجود .

وللعلاقة في الفلسفة الحديثة معنيان ، أحدهما عام ، والآخر خاص .

فالعلاقة بالمعنى العام تطلق على كل ارتباط بين موضوعين أو أكثر من موضوعات الفكر بحيث يدرك العقـــل علاقة أحدهما بالآخر بفعل واحد

لا ينقسم ، كعلاقة التشابه أو التباين أو المعية أو التعاقب أو العلية أو الثنائية أو التضايف .

والعلاقة بالمعنى الخاص هي التناسب بين كميتين أو أكثر . مثال ذلك أن علاقة (ب : ج) أو $\frac{ب}{ج}$ هي قياس كمية (ب) بنسبتها إلى كمية (ج) أو هي خارج قسمة (ب) على (ج) ، ولذلك قيل إن العلاقة هي التناسب بين الأشياء أو المقياس المشترك بينها .

والعلاقة في علم البيان المناسبة بين المعنى الأصلي والمعنى المراد في المجاز والكناية والعلائق ما يتعلق به الإنسان من أسباب الدنيا وشواغلها . قال الغزالي : « وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى ، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور ، والانابة إلى دار الخلود ، والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، وإن ذلك لا يتم إلا بالاعراض عن الجاه والمال ، والهرب من الشواغل والعلائق . ثم لاحظت نفسي فاذا أنا منغمس في العلائق ، وقد أحدقت بي من الجوانب ، ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس فاذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة » (المنقذ من الضلال ص ١٠٣ من طبعتنا ، الطبعة السابعة بيروت ١٩٦٧) .

وقد تكون علاقة الإنسان بالإنسان علاقة صداقة أو عداوة أو علاقة اشتراك في مسكن أو مهنة أو طائفة أو ديانة أو وطن الخ .. وأعلى هذه العلائق كلها العلائق الانسانية المجردة .

(راجع : النسبة ، والإضافة)

العلّة

في الفرنسية	Cause
في الانكليزية	Cause
في اللاتينية	Causa

العلة في اللغة معنى يحل بالمحل فيتغير به حال ذلك المحل بلا اختيار . ومنه سمي المرض علة لأنه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف . وكل وصف حل بمحل وتغير به حاله معاً فهو علة ، وصار المحل معلولاً له ، كالجرح مع المجروح وغير ذلك ، وعبارة أخرى كل أمر يصدر عنه أمر آخر بالاستقلال أو بانضمام الغير إليه فهو علة لذلك الأمر ، والأمر معلول له ، فيتعقل كل واحد منها بالقياس إلى تعقل الآخر » (كليات أبي البقاء) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والعلة عند الأصوليين ما يجب به الحكم .

والعلة عند الحكماء ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثراً فيه (تعريفات الجرجاني) فعلة الشيء ما يتوقف عليه ذلك الشيء إما في ماهيته كالمادة والصورة أو في وجوده كالغاية والفاعل .

والعلة ترادف السبب إلا أنها قد تغايره فيراد بالعلة المؤثر وبالسبب مايفضي إلى الشيء في الجملة أو ما يكون باعثاً عليه . وقد قال بعضهم : السبب ما يتوصل به إلى الحكم من غير أن يثبت به ، أما العلة فهي ما يثبت به الحكم . ومعظم الفلاسفة الإسلاميين كالكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد يفضلون استعمال لفظ العلة على لفظ السبب إلا الغزالي وعلماء الكلام فانهم يستعملون لفظ السبب للدلالة على العلة .

والعلل عند (أرسطو) أربعة أقسام : (١) العلة المادية (Cause materielle) وهي ما لا يلزم عن وجودها بالفعل حصول الشيء بالفعل ، بل ربما كان بالقوة كالخشب والحديد بالنسبة إلى السرير ، (٢) والعلة الصورية (Cause formelle) وهي مايجب عن وجودهابالفعل وجود الشيء بالفعل كالشكل والتأليف للسرير . (٣) والعلة الفاعلة (Cause efficiente) وهي ما تكون مؤثرة في المعلول موجدة له كالنجار الذي يصنع السرير . (٤) والعلة الغائية (Cause finale) وهي ما يكون الشيء لأجلها كالجلوس على السرير ، فهو الغاية التي من أجلها وجد .

وقد أخذ فلاسفة الاسلام وفلاسفة القرون الوسطى في أوربة بهذه النظرية الأرسطية وقدموا العلة الغائية على سائر العلل . مثال ذلك قول ابن سينا : والغاية تتأخر في حصول الوجود عن المعلول إلا أنها تتقدم سائر العلل في الشيئية ، ومن البين أن الشيئية غير الوجود في الأعيان، فان المعنى له وجود في الأعيان ووجود في النفس وأمر مشترك ، فذلك المشترك هو الشيئية ، والغاية بما هي شيء ، فانها تتقدم سائر العلل ، وهي علة العلل في أنها علل .. وبما هي موجودة في الأعيان قد تتأخر .. وذلك لأن العلل إنما تصير عللاً بالفعل لأجل الغاية ، وليست هي لأجل شيء آخر ، وهي توجد أولاً نوعاً من الوجود فتصير العلل عللاً بالفعل ، ويشبه أن يكون الحاصل عن الخير هو أن الفاعل الأول والمحرك الأول في كل شيء هو الغاية » (النجاة ص ٣٤٥) .

والعلة الأولى (Prima causa) هي العلة التي لا علة لها ، أو علة العلل ، أو العلة النهائية ، وتطلق عند الحكماء على الله وحده .

والعلة الثانية (Cause seconde) هي العلة التي لا فعل لها إلا بتأثير العلة الأولى وهي قريبة (Prochaine) أو بعيدة (Eloignée) .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وفرقوا بين العلة الأساسية (Cause principale) والعلة الاداتية (Cause instrumentale) والعلة المباشرة (Cause directe) والعلة غير المباشرة (Cause indirecte) ، والعلة التامة والعلة الناقصة والعلة المعدة . أما العلة الأساسية فهي العلة التي تنفرد بالتأثير في الشيء ، وأما العلة الأداتية فهي الآلة التي سيتم بها وجود الشيء ، وأما العلة المباشرة فهي التي تحدث الشيء بلا وسط ، وأما العلة غير المباشرة فهي التي تحدث الشيء بوسط ، وأما العلة التامة وتسمى بالمستقلة فهي تمام ما يتوقف عليه الشيء في ماهيته ووجوده أو في وجوده فقط ، وأما العلة الناقصة فهي بخلاف ذلك . وأما العلة المعدة فهي التي يتوقف عليها وجود المعلول من غير أن يجب وجودها مع وجوده .

وقد وسع (ديكارت) معنى العلة الأرسطي فأطلقه على العلاقات الطبيعية والعلاقات المنطقية معاً . وهذا متفق مع روح مذهبه الذي يعد العلاقات المنطقية أساساً للعلاقات الطبيعية . فاذا قلت إن (آ) علة (ب) أردت بذلك أن وجود (آ) يستلزم وجود (ب) اضطراراً . ومعنى ذلك أن العلاقات السببية شبيه بالقياسات الاقترانية التي يكون فيها وجود المقدم شرطاً لوجود التالي .

أما مالبرانش فانه يطلق معنى العلة التامة على الشيء الذي يؤثر في غيره من دون أن يفقد شيئاً من طبيعته أو من قدرته على التأثير ، وهذه العلة التامة مختلفة عن العلة الظرفية (Cause occasionnelle) التي لا تفرض بين الأشياء أي ارتباط ضروري بل تقول بالحصول عنده لا بالحصول به ، على النحو الذي ذهب إليه (الغزالي) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأما (كانت) فان العلة عنده تدل على تركيب خاص قوامه أن شيئاً مثل (آ) يوجب أن يصدر عنه وفقاً لقاعدة معينة شيء آخر ، مثل (ب) مختلف عنه تماماً ، ومعنى ذلك أن علاقة العلة بالمعلول ليست تركيباً تجريبياً ، وإنما هي تركيب عقلي ، وهي لا تكتفي بملاحظة حدوث المعلول بعد العلة ، بل تتضمن وجوب هذا الحدوث وضرورته .

وأما (استوارت ميل) فانه يطلق لفظ العلة على الظاهرة أو الظواهر المتقدمة التي تكون الظاهرة المسماة بالمعلول تالية لها دائمـــاً . وهذا المعنى وإن كان حالة خاصة من مفهوم العلـة عنـد (كانت) إلا أنه يختلف عنه بإهمال ما في تعاقب الظواهر من ارتباط منطقي أو ضروري . وهو بهذا المعنى قريب بعض الشيء من مفهوم العلـــة الظرفيـــة المتضمن معنى الحدوث عنده .

والعلة مطلقاً متقدمة على المعلول تقدماً ذاتياً ، إلا أنها من جهة ما هي موجودة بالفعل مقارنة للمعلول في الزمان .

العلم

في الفرنسية	Science
في الانكليزية	Science
في اللاتينيـة	Scientia

العلم هو الإدراك مطلقاً تصوراً كان أو تصديقاً ، يقينياً كان أو غير يقيني وقد يطلق على التعقل ، أو على المعرفة إطلاقاً ، أو على إدراك الكلي مفهوماً كان أو حكماً ، أو على الاعتقاد الجازم المطابق للواقـع ، أو على إدراك الشيء على ما هو به ، أو على إدراك حقائق الأشياء وعللها ، أو على إدراك المسائل عن دليل ، أو على الملكة الحاصلة من إدراك تلك المسائل .

والفرق بين العلم والمعرفة أن العلم يقال على إدراك الكلي والمركب على حين أن المعرفة تقال على إدراك الجزئي أو البسيط . وقد يقال إن مفهوم العلم أخص من مفهوم المعرفة لأن المعرفة قسمان معرفة عامية (Connaissance vulgaire) مشتملة على آراء وأحكام عفوية تكسبنا إياها التجربة ، ومعرفة علميـــة (Connaissance scientifique) تبحث عن علل الأشيـاء وتكشف عن قوانينها الطبيعية الثابتة وإذا علمنا أنه لا علم إلا بالكليات أدركنا أن غاية العلم هي الكشف عن العلاقات الضرورية بين ظواهر الأشياء ، وهي غاية نظرية ، بخلاف المعرفة العامية التي تتقيد بالنتائج العملية ولا يبلغ العلم نهايته إلا بتأليف المعاني وتنسيقها ونظمها وتنضيدها في قوانين جامعة .

ومعنى ذلك كله أن من شرط العلم أن يتضمن درجة كافية من الوحدة والتعميم ، وأن يكون بحيث يستطيع الناس أن يتفقوا في الحكم على مسائله لا بالاستناد إلى أذواقهم ومصالحهم الضرورية ، بل بالاستناد إلى ما بين هذه المسائل من علاقات موضوعية يكشفون عنها بالتدريج ويحققونها ويثبتونهـا بطرق محدودة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكل علم موضوع ومنهج يميزانه من غيره ، إلا أن الفلاسفة يصنفون العلوم المختلفة ويرتبونها صنفاً صنفاً ، ليبينوا ما بين موضوعاتها ومناهجها من تشابه ووحدة .

ولنذكر الآن بعض هذه التصنيفات على سبيل المثال .

١ — من تصنيفات العلوم في الفلسفة القديمة تصنيف آرسطو الذي زعم أن عقولنا تطلب العلم الاطلاع أو الإبداع أو الانتفاع ، وأن العلوم تنقسم بحسب هذه الغايات الثلاث إلى علوم نظرية (كالرياضيات والطبيعيـات) وعلوم شعرية (كالبلاغة والشعر والجدل) وعلوم عملية [كالأخـلاق والاقتصاد والسياسة] . ومنهـا تصنيف ابن سينا الذي زعم أن العلوم

نظرية وعملية ، وكل قسم من هذين القسمين ينقسم عنده إلى ثلاثة أقسام ، فأقسام العلوم النظرية هي العلم الطبيعي والعلم الرياضي والعلم الإلهي ، وأقسام العلوم العملية هي علم الأخلاق ، وتدبير المنزل ، وتدبير المدينة . ومنها تصنيف ابن خلدون الذي زعم أن العلوم صنفان الأول هو العلوم العقلية وهي طبيعية للانسان من حيث هو ذو فكر ، وتسمى بالعلوم الحكمية وتشتمل على أربعة علوم المنطق ، والعلم الرياضي ، والعلم الطبيعي ، والعلم الإلهي ، والثاني هو العلوم النقلية المستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ، وتشمل التفسير والقراآت والحديث وعلم الفقه وعلم الفرائض وعلم أصول الفقه وعلم الكلام وغيرها .

٢ — ومن تصنيفات العلوم في الفلسفة الحديثة تصنيف (بيكون) وتصنيف (آمبر) وتصنيف (أوغوست كومت) .

الأول مبني على الملكات العقلية الضرورية لتحصيل العلم ، وهي ثلاث ملكات : العقل وهو أساس العلوم الفلسفية ، والخيال وهو أساس العلوم الشعرية ، والذاكرة وهي أساس العلوم التاريخية .

والثاني تصنيف العلوم بحسب موضوعاتها وهي قسمان ، العلوم الكونية وموضوعها المادة ، والعلوم المعنوية وموضوعها الفكر ، ولكل من هذين القسمين الكبيرين فروع مختلفة .

والثالث تصنيف العلوم بحسب موضوعاتها ، وهي ستة علوم أساسية : علم الرياضيات ، وعلم الفلك ، وعلم الفيزياء ، وعلم الكيمياء ، وعلم الحياة ، وعلم الاجتماع ، وقد رتبت العلوم على هذا النحو عملاً بالمبادىء التالية : وهي مبدأ ازدياد التعقيد وتناقص التعميم ، ومبدأ التعلق والاستقلال النسبيين ، ومبدأ النشوء التاريخي ، ومبدأ التعليم . (راجع كتابنا في المنطق ص ١٣٦ — ١٤٠) .

العلوم التطبيقية (Sciences appliquées) — هي العلوم التي تطبق قوانين العلم النظري لبلوغ غايات معينة كعلم الطب وعلم الكهرباء الصناعية وعلم الاقتصاد الزراعي فهي علوم تطبيقية تستمد مبادئها من العلوم النظرية المقابلة لها ، فعلم الطب فرع من علم الحياة ، وعلم الكهرباء الصناعية فرع من علم الفيزياء .

العلوم الإنسانية (Sciences humaines) اصطلاح حديث يطلق على العلوم المسماة بالعلوم المعنوية أو الأخلاقية ، وهي تبحث في أحوال الناس وسلوكهم أفراداً وجماعات . وليس كل علم يمت إلى حياة الإنسان بسبب ، علماً إنسانياً ، لأن علم تشريح بدن الإنسان مثلاً ليس قسماً من العلوم الإنسانية وإنما هو قسم من العلوم الحيوية أو الطبيعية .

العلم الأوسط (Science moyenne) — العلم الإلهي في نظر مولينا (Molina) ثلاثة أقسام وهي العلم بالممكنات ، والعلم بالحوادث الحاضرة ، والعلم بالحوادث الشرطية . أما العلم بالممكنات فهو علم المعقولات ، وأما العلم بالحوادث الحاضرة فهو العلم بالمحسوسات ، وبين هذين العلمين علم شرطي يبحث فيما يمكن أن يحدث من الأشياء عند تحقق بعض الشروط ، ويسمى هذا العلم الشرطي بالعلم الأوسط .

والعلوم القاعدية (Sciences normatives) هي العلوم المؤلفة من أحكام انشائية أي أحكام قيم خاضعة للنقد كعلم الجمال ، وعلم الأخلاق ، وعلم المنطق وغيرها .

والعلوم الخفية (Sciences occultes) هي علم السحر ، والطلسمات ، والنجوم والكيمياء والسيمياء ، وعلم أسرار الحروف ، وعلم استحضار الأرواح وغيرها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والعلمي (Scientifique) هو المنسوب إلى العلم تقول المعرفة العلمية والروح العلمية (Esprit scientifique) ويطلق هذا الاصطلاح الأخير على العقل المنظم الواضح الذي لا يقبل بصدق حكم إلا بعد تحقيقه ، والتدقيق فيه ، وإقامة البرهان عليه .

وفي وسعك إطلاق اسم العلم على علم بعينه أو على مجموع العلوم ، فاذا قلت إن تقدم المجتمع الإنساني رهن بتقدم العلم عنيت بذلك مجموع العلوم ، وإذا قلت إن العلم قد برهن على أن كل نجم ثابت فهو شمس دل لفظ العلم هنا على علم معين وهو علم الفلك .

والعلم في الاصطلاح الحديث ضد الأدب ويطلق على العلوم الصحيحة (Sciences exactes) كالرياضيات والفلك وعلى العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء والبيولوجيا ، وهذا الاصطلاح الذي تبنته أنظمة الجامعات بانقسامها إلى كليات علمية وكليات أدبية لا يخلو من الاضطراب ، لأن بعض الدراسات الإنسانية التي تتم في كليات الآداب كعلم النفس وعلم الاجتماع تريد أن تتصف بصفات العلم الصحيح . وإذا كانت لم تبلغ هذه الغاية حتى الآن ، فمرد ذلك إلى حداثة نشأتها . . وقد فرق حكماؤنا في الماضي بين العلم الحصولي والعلم الحضوري . فالحصولي هو حصول صورة الشيء عند المدرك ويسمى انطباعياً والحضوري هو حضور الأشياء أنفسها عند العالم كعلمنا بذواتنا وبالأمور القائمة بها . ومن هذا القبيل علمه تعالى بذاته وبسائر الموجودات .

وفرقوا أيضاً بين العلم الفعلي الذي لا يؤخذ عن الغير ، والعلم الانفعالي الذي يؤخذ عن الغير .

وفرقوا أخيراً بين العلم الضروري وهو ما يحصل من غير فكر وكسب ، والعلم الاكتسابي وهو عقلي وعملي ، فالعقلي هو مايحصل بالتأمل والنظر ويسمى بالعلم النظري ، والعملي هو ما يحصل بالعمل والتجربة .

العمل

في الفرنسية	Action
في الانكليزية	Action
في اللاتينية	Actio

العمل هو الفعل والمهنة والصنعة تقول عمل عملاً فعل فعلاً عن قصد. والفرق بين العمل والفعل (Acte) أن العمل أخص والفعل أعم ، لأن الفعل قد ينسب إلى الجمادات كما في قولنا فعل الطبيعة أو فعل الحرارة ، أما العمل فلا يطلق إلا على الفعل الذي يكون من العاقل بفكر وروية وقصد . وهو يحتاج إلى امتداد الزمان أما الفعل فقد يتم دفعة من غير بطء . ولهذا قرن العمل بالعلم حتى قال بعضهم إنه مقلوب عنه تنبيهاً إلى أنه من مقتضاه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد يطلق العمل على كل فعل حادث على الفاعل نفسه دون تأثير خارجي فيعم بهذا المعنى أفعال القلوب والجوارح ، أو يطلق على التأثير الذي يحدثه الفاعل في غيره ، فاذا نسب العمل إلى الفاعل كان فعلاً ، وإذا نسب إلى القابل كان انفعالاً . ومعنى ذلك أن الفعل والانفعال اسمان لعلاقة واحدة وإن اختلف معناهما باختلاف نسبتها .

وقد يراد بالعمل الفعل المهني أو الصناعي كقول ابن خلدون : « الأعمال أصل المكاسب » (المقدمة ص ١٥٠) وقوله : « والعمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب » (المقدمة ص ٢٨٧) ، وقوله : « المكاسب إنما هي قيم الأعمال ، فاذا كثرت الأعمال كثرت قيمها » (المقدمة ص ٣٦٠) وقوله : « فلا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه » (المقدمة ص ٣٨١) .

وإذا أطلق العمل على النشاط الإنساني دل على الجهد المنوي أو الأدبي الذي يبذله الفاعل للتغلب على أنانيته .

والفرق بين العمل والفكر أن العمل يدل على النشاط العفوي من جهة ما هو مجموعة من الملكات ، أو على كل ما يحيط بالفكر من عناصر فاعلة تتقدمه أو تهيئه أو تصحبه أو تجاوزه ، إلاّ أن العمل متصل بالفكر وان اختلف عنه . قال ابن خلدون : « أول العمل آخر الفكرة ، وأول الفكرة آخر العمل . فلا يتم فعل للانسان في الخارج إلا بالفكر في هذه المرتبات لتوقف بعضها على بعض ثم يشرع في فعلها ، وأول هذا الفكر هو المسبب الآخر ، وهو آخرها في العمل ، وأولها في العمل هو المسبب الأول ، وهو آخرها في الفكر ، ولأجل العثور على هذا الترتيب يحصل الانتظام في الأفعال البشرية » (المقدمة ، ص ٨٣٩ من طبعة بيروت) ويطلق العمل في علم الميكانيك على حاصل ضرب الطاقة في الزمان ، وفي علم النفس على كل نشاط تلقائي أو مكتسب ذهني أو جسمي ، وفي علم الأخلاق على كل فعل يهدف إلى غاية ويصدر عن إرادة ، وفي علم الاقتصاد على كل مجهود يبذله الانسان لتحصيل منفعة ، وفي الفن المسرحي على الحادثة التي تدور عليها القصة . والأعمال الأربعة في علم الحساب هي الجمع والطرح والضرب والقسمة .

ومن المبادىء المتعارفة بين العلماء مبدأ الاقتصاد في العمل وهو أن الطبيعة لاتتبع في أفعالها إلاّ أقصر الطرق وأقربها ، وهي لاتفعل شيئاً عبثاً بل تريد أن تحصل على أكبر النتائج بأقل جهد . قال ابن خلدون : « ان الطبيعة لاتترك أقرب الطرق في أفعالها وترتكب الأعوص والأبعد » (المقدمة ص ٥٢٩) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والعملي هو المنسوب إلى العمل وهو ضد النظري . مثال ذلك قول ابن سينا : إن العلم قسمان نظري وعملي ، وقد سمي النظري نظرياً لأن غايته القصوى هي النظر وسمي العملي عملياً لأن غايته هي العمل (ابن سينا) .

وجملة القول إن معنى العمل قريب من معنى الفعل والتأثير والشغل والجهد ، وله ناحيتان إحداهما نسبته إلى الفاعل من جهة شعوره الداخلي بالجهد ، والثانية نسبته إلى الحركات الخارجية من جهة ما هي مظاهر لذلك الجهد . وإذا نسبته مجازاً إلى أفعال الطبيعة كعمل الماء في النار أو عمل الحرارة في الأجسام ، تخيلت أنه أشبه شيء بجهد يبذله الشيء للتأثير في غيره . ذلك معنى قولهم : إن لكل شيء في الطبيعة عملاً ، وإن ما لا يعمل لا بقاء له . وذلك أيضاً معنى قول (فاوست) في البدء كان العمل . وفي هذا القول الأخير إشارة إلى أزلية الصيرورة من جهة ما هي حالة للأشياء ناشئة عن أسباب كامنة فيها ، كما أن فيه تنبيهاً إلى تقدم اللاعقلي على العقلي وإلى اتصاف جميع الكائنات بأحوال تتضمن بذل جهد شبيه بالجهد الذي تشعر به في داخلنا .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفلسفة العمل (Philosophie de l'action) مقابلة لفلسفة النظر . والمقصود بالعمل في هذه الفلسفة ، كل نشاط انساني مشتمل على الفكر والإرادة والتحقيق الفعلي وكل فلسفة تقدم العمل على النظر ، أو تربط أحدها بالآخر كالبرغماتية والاداتية أو الذرائعية فهي فلسفة عملية .

وتطلق فلسفة العمل أيضاً على فلسفة (موريس بلوندل) المشتملة على توضيح علاقتين إحداهما علاقة النظر بالعمل ، والأخرى علاقة العلم بالإيمان والفلسفة بالدين .

(راجع كتاب موريس بلوندل ، Maurice Blondel : L'action 1893) .

العموم

في الفرنسية Généralité

في الانكليزية Generality

العموم ضد الخصوص ، وهو صفة المعنى العام من حيث شموله لجميع الأفراد . قال ابن سينا : « لو كانت الحيوانية توجب أن لا يقال عليها عموم أو خصوص لم يكن حيوان خاص أو حيوان عام » (الشفاء ، ص ٤٨٧ — ٤٨٨) .

وللعموم عندنا معنيان أحدهما مجرد والآخر مشخص .

فالعموم بالمعنى المجرد صفة العام من حيث شموله لجميع الأفراد المستغرقة فيه ، وهو مساوق لمعنى الضرورة ، لأن ضرورة المفهوم ملازمة لعمومه ، كما أن عمومه ملازم لضرورته . ولا يختلفان إلا في أن معنى الضرورة يتضمن معنى العموم على حين أن معنى العموم يقتضي وجود الضرورة ولا يتضمنها .

والعموم بالمعنى المشخص أو العيني يشمل جميع الأفراد في صف معين أو أكبر عدد منهم كقولنا عموم التلاميذ أو عموم السكان .

العمى

في الفرنسية Cécité

في الانكليزية Blindness

العمى في اللغة عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً ، فالحجر مثلاً لا يتصف بالعمى لأنه ليس من شأنه أن يبصر . وقد يطلق العمى على غير المبصرات فيقال عمى العقل وعمى القلب .

فالمصاب بعمى العقل (Cécité mentale) لا يفقد بصره بل يفقد معرفة الأشياء المدركة بالحس ، وإن كانت مألوفة لديه .

والمصاب بالعمى اللفظي (Cécité verbale) يرى الكلمات المكتوبة ويقرؤها ولكنه لا يفهم معانيها .

والمصاب بالعمى الخلقي (Cécité morale) لا يفرق بين الخير والشر .

وعمى الألوان (Achromatopsie) قسمان كلي وجزئي . فالكلـــي (Cécité chromatique) هو العجز عن إدراك لون بعينه أو عن تمييز ذلك اللون من غيره .

ويطلق على العجز عن إدراك الفرق بين الأحمر والأخضر اسم الدالتونية (Daltonisme) نسبة إلى ج . دلتون (J. Dalton) الذي كان أول من أشار إلى هذه الظاهرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العناية

في الفرنسية	Providence
في الانكليزية	Providence
في اللاتينية	Providentia

العناية هي علم الله بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن النظام وأكمله . وهي عند الحكماء مبدأ لفيضـــان الموجودات من حيث جملتها على أحسن الوجوه وأكملها . قال ابن سينا : « العنـاية هي كون الأول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير . وعلة لذاته للخير والكمال بحسب الإمكان وراضياً به على النحو المذكور فيعقل نظام الخير على

الوجه الأبلغ في الامكان فيفيض ما يعقله نظاماً ما وخيراً على الوجه الأبلغ الذي يعقله فيضاناً على أتم تأدية إلى النظام بحسب الامكان » (النجاة ، ص ٤٦٦) .

والفرق بين العناية والقضاء والقدر أن القضاء هو وجود جميع الوجودات في العالم العقلي مجتمعة ومجملة على سبيل الإبداع ، على حين أن القدر هو وجودها الخارجي في الأعيان مفصلة واحداً بعد واحد ، أما العناية فهي علم الله بالموجودات على أحسن النظام والترتيب ، وعلى كل ما يجب أن يكون لكل موجود من الآلات بحيث تترتب عليها جميع الكمالات المطلوبة منه . ومعنى ذلك أن في مفهوم العناية تفصيلاً ، إذ هي تعلق العلم بالوجه الأصح والنظام الأكمل بخلاف القضاء فانه العلم بالموجودات جملة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والخلاصة أن العناية هي إحاطة علم الله بالكل ، وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون كل شيء على أحسن نظام يحقق به غايته . فاذا كان العالم خاضعاً لنظام ثابت ، وكان لهذا النظام قوانين أرادها الله لخيرية نتائجها كانت العناية عامة . وإذا كان الله يتدخل في شؤون العالم تدخلاً شبيهاً بتدخل الإنسان في مجرى الحوادث كانت العناية خاصة . قال مالبرانش : إن عناية الله قسمان ، أحدهما ان الله لما خلق العالم وبدأ بتحريك المادة أجرى إرادته بأن لا يكون في الطبيعة وفي تعلقها بنعمته أقل خلل ممكن . والآخر أنه كلما شاهد في نظام الطبيعة خللاً أصلحه بمعجزاته شريطة أن يؤدي ذلك إلى تحقيق النظام المطلوب . لأن النظام عند الله قانون كلي لا يتخلى عنه أبداً .

العنصر

في الفرنسية	Elément
في الانكليزية	Element
في اللاتينية	Elementum

العنصر في اللغة الأصل والجنس ، يقال فلان كريم العنصر ، وفلان من الآري والسامي . وجمعه عناصر ، وتسمى أيضاً بالأمهات والمواد والأركان والاسطقسات . قال ابن سينا : « العنصر اسم للأصل الأول في الموضوعات فيقال عنصر للحمل الأول الذي باستحالته يقبل صوراً تتنوع بها الكائنات » (رسالة الحدود) ، وعنصرا الجسم عنده هما المادة والصورة . وقال الخوارزمي : « الأسطقس هو الشيء البسيط الذي منه يتركب المركب كالحجارة والقراميد والجذوع التي يتركب منها القصر ، وكالحروف التي يتركب منها الكلام ، وكالواحد الذي يتركب منه العدد » (مفاتيح العلوم ص ٨٢) .

ومعنى ذلك كله أن عناصر الأشياء أجزاؤها البسيطة ، وعناصر اللغة ألفاظها ، وعناصر المعرفة مبادئها ، وعناصر المثلث خطوطه وزواياه ، وعناصر المجتمع أفراده .

ويطلق العنصر في الكيمياء على المادة الأولية التي لا يمكن تحليلها إلى ما هو أبسط منها ، إما نسبياً وإما مطلقاً . فالذرة في الكيمياء عنصر بسيط ولكنها في الفيزياء الذرية شيء مركب ، وكل ما يدخل في تركيب الشيء فهو عنصر له كالهيدروجين والأوكسيجين في تكوين الماء ، والأفكار في إنشاء المقال ، والأجزاء في تركيب الآلة ، والكتائب في تأليف الجيش .

والعناصر عند القدماء أربعة وهي النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .

وعنصر القضية عند المنطقيين هو الكيفية الثابتة للنسبة بين طرفيها وتسمى مادة القضية .

العين والعيني

في الفرنسية	Concret
في الانكليزية	Concrete
في اللاتينية	Concretus

العين ما يدرك باحدى الحواس الظاهرة أو بالخيال ويسمى بالصورة أيضاً ، ويطلق على ماقام بنفسه جوهراً كان أو جسماً ، ويقابله المعنى وهو ما قام بالغير كالأعراض والوجود العيني هو الوجود الخارجي المقابل للوجود الذهني ، والأعيان الثابتة هي صور العالم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واسم العين هو الاسم الدال على معنى يقوم بنفسه كزيد ، واسم المعنى هو الاسم الدال على معنى لا يقوم بنفسه وجودياً كان كالعلم أو عدمياً كالجهل . وقد يراد باسم المعنى مادلّ على شيء باعتبار معنى صفته سواء كان قائماً بنفسه أو بغيره كالمكتوب والمضمر . والعيني هو الشخص الذي يدل على الظواهر الجزئية مرئية كانت أو مسموعة ، والعيني أيضاً هو الذي يصور المعاني العامة بأمثلة محسوسة . فاذا صورت الفضائل بالأمثلة الحسية كان تعليمك للأخلاق عينياً مشخصاً ، وإذا استخرجت الفضائل من المبادىء العامة كان تعليمك مجرداً .

والعيني مادل على الشاخص ، أي على الموجود بالفعل لاعلى كيفية من كيفياته فقط ، وهو ضد المجرد ، وفيما يلي أمثلة من أسماء العين والأسماء المجردة .

أسماء العين	الأسماء المجردة
الموجود	الوجود
الإنسان	الإنسانية
الحكيم	الحكمة
الأبيض	البياض

والوجود في الأعيان مقابل الوجود في الأذهان .

(يتبع) جميل صليبا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الثقافة الإسلاميه بالمغرب

بين المرابطين والموحدين

كان الشرق الإسلامي في عنفوان ازدهاره ، وريعان إشراقه ، بالحكمة الدينية الطيبة الثرى ، الراسخة الأعراق ، الملتفّة الأغصان ، التي أثمر في روضتها اليانعة : المنطق ، والكلام ، وأصول الفقه ، والجـــدل ، والفقه ، والتصوف .

وكان العقل الإسلامي قد اقتدى بالإمام الغزالي وسار على محجة التطور البعيدة المراحل ، وراء تلك الشعلة الوضاءة من المعرفة والرشاد .

لما كانت بلاد المغرب العربي ، من أقصى الأندلس إلى افريقية ، قد وقعت في أزمة خانقة من أزمات العقل والمعرفة ، بظهور قوة ناشئة خرجت من وسط افريقية ، مندفعة بحرارة إيمانها ، تقطع رمال الصحراء الكبرى إلى ضفة وادي درعة ، وواحات سجلماسة ، فاذا وهاد المغرب ونجاده تقبل بأعناق المهاري الصهب ، قد تمكنت من غواربها أجسام بشرية ملتحفة الأثواب الزرق ، ومتلثمة بها ، بلين الحديد ولا تلين ، وتخبو النار ولا تنطفئ حرارة تلك النظرات المتقدة بين أطباق اللثام .

أولئك هم المرابطون الذين انبعثوا ينشئون عاصمة المغرب الجديدة : مدينة مراكش ، ويمدون رواق سلطانها على طول العدوة الافريقية ببلاد المغرب ، ثم يرمون بحبل النجاة إلى العدوة الأندلسية ، في يوم الزلاقة المظيم ، لتقوم الشوكة وتحيي الدولة تحت ظل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

كانت هذه الحركة رشيدة في الحكم ، سديدة في السياسة ، منقذة للاسلام من الخطر الذي داهمه في بلاد الأندلس ، ولكنها كانت سلطة قوية ، وإيماناً نقياً ، يشد السواعد ، ويقوي النفوس ، من قوم بعداء عن الحضارة والعلم ، متجافين عن النظر الحكمي العميق ، متمسكين بالفطر الأولى ، مقتنعين بنتائج الأنظار الساذجة .

فكان من أثر ذلك انهم لما وجدوا في أقطار المغرب العربي التي انتظمت في سلطانهم ، وجدوا تبايناً في الأنظار ، وتخالفاً في المذاهب بين الجانحين إلى شواهق الحكمة النظرية ، والمخلدين إلى بسائط الظاهر المأثور ، ووجدوا آثار ذلك الاختلاف بادية في طرائق الدرس والتأليف ، ومناهج التربية والتعلم .

فكان من الضروري أن ميلهم يتجه إلى مساندة أبسط المناهج وأقربها من متناول إدراكهم ، وانهم إذا وجدوا الاختلاف راجعاً إلى الدين وطرائق فهمه ، بادروا بسلطتهم إلى الإسراع بالحكم بأن الذي انشرحت إليه صدورهم من ذلك هو الدين فقط ، وبادروا ـ بما هم عليه من حرارة الإيمان ـ بأن ما خالف ذلك جدير بالدحض والمقاومة ، وان ينزل بمن يقول به ما هو أهله من مقت وعذاب .

وعلى ذلك وجد المرابطون في مدينة قرطبة نزعة تقليدية التزامية ضيقة ، طالما ناءت بكلكلها على أهل البحث والنظر ، وأحرقت مواهب العلم الحق ، والفقه الصحيح ، إذ سارت على طريقة التقليد ، بحيث أصبح عمل المقلدين حجة لا يلتفت بعدها إلى كلام أيمتهم الأولين ، وهذه هي النزعة التي شكا منها القاضي أبو بكر ابن العربي في كتاب العواصم بثه وحزنه مما لقي نبغاء العلم بالأندلس من عنت أهل قرطبة ، قال : « صار التقليد دينهم والاقتداء بغيتهم فكلما جاء أحدهم بعلم حقّروا أمره ودفعوا في صدره الا أن يستتر عنهم بالمالكية ، ويجعل ما عنده من علوم على وسم التبعية ، فان

جامع بفائدة في الدين وطريقة من سلف الصالحين وسرد لهم البراهين عرفوا جوانبه وتحجّوا عجائبه ، وعيبوا حقه استكباراً وعتواً ، وجحدوا عله وقد استيقنته أنفسهم ظلماً وعلواً ، وقد زاد في تأصيل هذه الحالة وإحكامها العملية الكبرى التي كان قام بها ، منذ القرن السابع ، الحاجب المنصور ابن أبي عامر بقرطبة عند موت الخليفة المستنصر الحكم بن عبد الرحمان الأموي وولاية ابنه هشام المؤيَّد ، فانه عمد إلى خزائن المستنصر وأخرج منها كل ما كان استجلبه من المشرق من عيون التآليف في العلوم الحكمية ، قديمة وحديثة ، فأمر بإحراقها وإهلاكها ، وقد وصف صورة ذلك القاضي صاعد في كتاب طبقات الأمم وقال : إن المنصور إنما فعل ذلك تحبباً إلى عوام الأندلس وتقبيحاً لمذهب الخليفة الحكم عندهم .

وقد استمرت هذه النزعة الغريبة المستولية على مدينة قرطبة تزداد ضيقاً وحدة وعنفاً ، وتعصف فتنها على التوالي بأعلام بارزين في غزارة العلم ومتانة الدين ، حتى دخل يوسف بن تاشفين إلى قرطبة ، فتجانست نزعته الشخصية مع تلك النزعة ، واشتد تأثره بها ، وعظمت نقمته على الذين لا يتولونها ، ولا يسلكون سبيلها ، فأصبح سلطانه ناراً مسعرة على أهل البحث والاجتهاد في الفقه ، وسيفاً قاطعاً للمشتغلين بالكلام والحكمة ، فهجر بذلك النظر في الأصول ، وتمسك الناس بظواهر العقيدة السلفية ، والتزموا في الفقه النصوص الفرعية ، وتجافوا عن طرق التخريج في الفقه والتأويل في العقيدة .

وتفاقم أمر هذا التضييق بعد وفاة يوسف بن تاشفين في عهد ابنه علي الذي ولي عرش مراكش في نهاية القرن الخامس فكان في عهده الضغط الذي تعدّى إلى درجة النفي ، والاعتقال ، ونهب المنازل ، وإثارة المظاهرات الصاخبة ، ومصادرة الكتب ، وإحراقها ، وتمزيقها .

ولقد أحس علي بن يوسف والذين تظاهروا معه على ما كان يضطلع به من قتل للنبوغ العلمي : ان تلك الحركة التي ظهرت بالشرق فألفت بين الحكمة والدين حتى أخرجت شطأها في كتب حجة الإسلام الغزالي هي التي تمد روح التحرر الفكري بالأندلس بمادة انتعاشه ، وترش من ماء العلم على تلك القلوب الميتة ، كما قال ابن العربي ، فعرفوا أن في كتب الغزالي حجة لا تدحض على ما كانوا يغالبون في سبيل دحضه من الجمع بين الحكمة والشريعة والحقيقة لمن أخذ بمعاقد العلوم من أعلاها ، فتآمروا على أن يحولوا بين كتب الغزالي وبين الناس ، إذ لا يمكن أن يدفع تأثيرها غير ذلك كما قال البحتري :

شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع

حتى بلغ الأمر إلى أن أقيم بقرطبة لإحراق كتاب الإحياء للغزالي ، وصدرت الأوامر إلى أطراف السلطنة المرابطية بإحراقه ، واعتقل في مراكش من كان يتوسَّم فيه إنكار تلك الفعلة من أنصار العقيدة الأشعرية ، وأتباع الطريقة الغزالية القشيرية : مثل ابن العريف الذي مات أسيراً في مراكش ، كان هذا الضغط البالغ القاسي يجد في وجهه إنكاراً أبلغ ، وتحدياً أقسى ، إذ كانت المدارك العلمية الواسعة والأفكار النيّرة قد تشربت عقيدة الأشعري ودرجت على نهجها ، واتخذت كتب الغزالي دليلها على ذلك المنهج ، وطار صيت الغزالي إلى المغرب ، فارتفع وعشش ووجد نابغة البلاد التونسية ومجتهد المذهب المالكي ومجدّده الإمام أبا عبد الله محمداً المازري يحميه مقامه تحت الحكم الصنهاجي بتونس ، من طائلة المرابطين وغائلتهم فوجدوا فيه أخاً معاوناً على خدمة الأشعرية ، ومشاركاً في الارتواء من منهل إمام الحرمين ، فقد أقبل المازري على كتب إمام الحرمين والغزالي في أصول الفقه ، يقرّرها ويعلّق عليها بما هي أهله ، وكتب على كتاب البرهان لإمام الحرمين شرحين

أحدهما بتتبع النصّ والآخر بمسايرة المعنى ، يذكر فيها الغزالي ذكراً مردداً مع ذكر القاضي أبي بكر الباقلاني والأستاذ أبي اسحاق الاسفرايني ، ويكثر من قرن الغزالي بإمام الحرمين معبراً عنه بكنيته « أبو حامد » ومخصصاً إمام الحرمين بلقب « الإمام » ومنتصباً لتعزيز كلام الغزالي وتوجيهه ، كانتصابه لتقرير كلام إمام الحرمين في ما يختلف فيه إمام الحرمين عن الغزالي من تفاريق المسالك ، وبهذه الدراسة الأصولية تمكّن المازري من تحرر واسع في تقرير الأحكام الفقهية على منهج اجتهادي هو منهج الاختيار والترجيح الذي جعل أعلام طريقته فيه شيخيه : أبا الحسن اللخمي ، وعبد الحميد الصائغ ، فكان هذا التجاوب بين الغزالي والمازري من أقوى العوامل في الخروج بمقام الغزالي عن الدائرة المذهبية الضيقة ، إلى دائرة الحكمة الإسلامية الشاعة ، وكان هذا الصيت الذي طار له بالمغرب على لسان الإمام المازري ، قد طار نحو الغزالي بقلوب الشبان النابغين من أبناء المغرب الكبير المتطلعين إلى أرواح الحكمة السامية المنبثة من بين أردائه فهجروا أوطانهم وشدوا الرحلة للقيا حجّة الإسلام .

وكان في مقدمة هؤلاء النوابغ الإمام الشهير الحافظ القاضي أبو بكر ابن العربي الذي كانت رحلته مبدأ فتح فكري ، والإمام المهدي محمد بن تومرت التي كانت رحلته مبدأ فتح سياسي .

كان أبو بكر ابن العربي برماً بالوضع الذي عليه العلوم الدينية في الأندلس ، متطلعاً إلى منبع الحكمة الأشعرية ، مشوقاً إلى لقيا الغزالي ، فسافر مع والده سنة ٤٨٥ هـ . في مقتبل شبابه وقصد المدرسة النظامية ببغـــداد ، إلاّ أنه وجد الغزالي قد انقطع عن الدرس والعلم وأقبل على طريقة الرياضة الصوفية والخلوة والسياحة ، وخرج من بغداد إلى الحَجّ ، ثمّ إلى الشام ومصر ، فأقام ابن العربي في بغداد خمس سنين متحرّقاً على أنه لم يظفر

بطلبه في لقاء الغزالي ، مستوحشاً من ذلك الفراغ الذي خلفه وراءه في بغداد ، والحسرة التي سادت بسبب ذلك ساحات المدرسة النظامية وعامة أوساط العلم في بغداد حتى كان من عجائب الأقدار أن الغزالي دخل إلى بغداد في سنة ٤٩٠ ﻫ . في طريق عودته من الشام إلى إيران ، فأقبل عليه ابن العربي إقبال المشوق اللهفان ، وتلقاه الغزالي بقبول طيّب ، وتفرغ له بصفة خاصة ، فقرأ عليه محاورة ومناقشة ، وتمكّنت منزلته العلمية من نفسه ، واطمأن إلى طريقته الحكمية الدينية ؛ وكان يلقبه تودّداً وتحبياً بلقب تعظيم فارسي هو لقب « ذانشمند » .

وعاد ابن العربي إلى الأندلس يهاجم ويناظر ويفيض غيوث الأنظار العالية محاضرة ، وتدريسا ، وتحريراً ، وينقح الفقه المالكي بتحقيقه لمناط الأحكام ، ونظره في أدلتها ، ونقضه على الفقهاء ما كان يفتون به تقليداً أو عن ضعف دليل ، فملأ كتبه النفيسة العجيبة بذكر الغزالي ، والتعلق بتبين محبّته ، وجليل إعظامه ، والتلذذ بإعادة محاوراته ، وتجديد مطارحاته ، ومقابساته ، مع أن ما تشربه من حرية البحث وكرامة المعرفة ، كان يدفع به إلى مناقشة أستاذه وحبيبه دانشمند في كثير من أقواله وآرائه ، مثل بحوثه المستفيضة معه في كتاب « العواصم من القواصم » حول مسألة إدراك النفوس بذاتها للحقائق بطريق الانكشاف وتأثيرها في الغير عند التجرّد ، ولم يسلم ابن العربي ممّا أصاب أسلافه من فحول العلماء من المحن ، فقد استهدف فتناً كثيرة ، وثورات عليه هوجاء ، نهب فيها منزله ، وأحرقت كتبه ، حتى انتهى أمر المرابطين بظهور الدعوة الموحدية التي أسسها المهدي ابن تومرت ثاني الاثنين اللذين جعلناهما على رأس الراحلين من المغرب للقاء الغزالي ، وكأن الأقدار أرجعت المهدي إلى المغرب ليثأر للغزالي من الذين أرادوا إنكار فضله ، وغمط حقّه ، بإحراق كتاب الإحياء ، وهم المرابطون ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فكانت دعوة المهدي بن تومرت عاملاً في إقامة دولة الموحدين التي أسقطت دولة المرابطين وورثت عاصمتها ، فأقامت على مبادئ الأشعري وطرائق الغزالي ، أقوى دولة عرفها تاريخ الإسلام في المغرب على يد عبد المؤمن بن علي ، ولم تنته حياة ابن العربي حتى اشترك في إقامة تلك الدعوة ، وقصد من إشبيلية إلى مراكش ليقف بين يدي عبد المؤمن خطيباً بلسان أهل إشبيلية ، وكأنه قنع من الدنيا ببلوغ ذلك الموقف فكانت وفاته في طريق عودته من مراكش قرب مدينة فاس التي دفن أمام سورها .

كان المجتمع الإسلامي بالمغرب العربي قد أحس بوطأة الضغط الشديد الذي ضيّق عليه الأنفاس في ما أحاطت به من هيكل جسمه قبضة حكم المرابطين .

وكانت الأعضاء التي خرجت عن تلك القبضة الحديدية الخانقة وهي البلاد الشرقية في الشمال الإفريقي تتداعى ألماً وهماً من ألم الضغط النازل على سائر الأعضاء التي كانت بيد المرابطين تعصباً عصب السلمة وكان هذا الألم يقوى ويشتدّ عندما تشعر المناطق الغربية من هذا الشمال الإفريقي بأن حكم أهل اللثام قد أقام بينهم وبين بقية بلاد المغرب العربي سدوداً حاجزة ، فكّكت الأوصال ، وقطعت الأرحام ، وجعلت الفرقة سارية في روح الوحدة القومية الكبرى ، لما تجاوزت بها حدود الفواصل السياسية وأوضاع الدول ، إلى مفاوز الفروق الاعتقادية والمنازعات الدينية .

على أن ما كان للمرابطين من عمل سياسي مجيد في إنقاذ الأندلس وتوحيدها وضمها إلى مملكة الإسلام في المغرب الإفريقي ، وإن أكسب تلك الدولة قوّة نفوذ وحسن قبول ، فقد زاد في الحسرة التي امتلكت القلوب من جراء الفتنة الاعتقادية التي أبعدت المجتمع عن تحقيق مثله العليا على نسبة ما قربت آماله في تحقيق تلك المثل بانضمام الأندلس .

فالحركة الفكرية الناشطة في البلاد التونسية ، بتواصلها مع مراكز الثقافة الإسلامية في الشرق ، وبعد صيت محورها الإمام المازري وخصب نتاجه العلمي المنافي لاتجاهات الحكم المرابطي ، كانت بذلك كله مدداً مغذياً لروح الصلابة في التجافي عن طرائق العقائد المرابطيـــة وجمْراً مذكياً لروح التمرّد عليهم والثورة في وجوههم ، فكانت حلق العلم منابع فياضة بالتوجيه إلى العمل الإيجابي في سبيل حماية الحرية الدينية والحفاظ على شعلة الحكمة الكلامية العالية التي كادت حركة المرابطين أن تطفيء نورهـا ، عمّ ذلك جميع البلاد التي انتظمت في حكم المرابطين بالأندلس والمغرب الأقصى والبلاد الجزائرية ، فكان الناس يشدّون الرحلة من تلك الأقطار مترامين على مجالس دروس الإمام المازري بالمهدية ، مثل ما جاء أبو بكر ابن العربي ، وعبد المنعم ابن الفرس ، وأعلام من نبغاء الفكر والأدب ، علاوة على الذين لم يتمكنوا من الرحلة فقنعوا بالاتصال بالإمام المازري بطريق المراسلة ، يستجيزونه ، ويطلبون كتبه ، ويستمطرون من فوائده ، ويطارحونه المسائل ، كما فعل ذلك القاضي عياض وابن رشد الحفيد ، وبمثل ذلك علا نجم المازري في أفق المغرب كله بين عدوتيه الافريقية والأوربية حتى عرف « الإمام » لقباً غالباً عليه فكان اسمـــه واسم الغزالي اسمين مقترنين تتعلق بهما أنظار المستهدين على طريق الحكمة الإسلامية ، كما يهتدى بالفرقدين .

وكان من عجيب القرانات إن إشراق هذين الكوكبين في سماء الفكر يقابله أفول طامس اعترى نجم الحكم المرابطي بدخول الدولة في دور الوجود الأجدب ، لما فارقت نشأتها الساذجة ، وطلعتها الحادة ، وأخلدت إلى النعمة والترف ، والبذخ واللذة ، فأضاعت شبابها لما أضاعت عصبيتها الدينية الصلبة الطاهرة ، وأقبلت على الهرم المضني ، والشيخوخة الفانية ، وتجرّدت عن محاسنها ، وتمحضت لمساويها ، وتشرب منها المجتمع روح الانحلال فانتشرت فيه المفاسد وسادت الشهوات وسيطرت الأنانية .

ARCHIVE

وكان هذا القران العجيب ، بين نجم صاعد ونجم آفل ، قراناً لا يدرك بالتنجيم والحزاء ، بل يدرك بالذكاء والدهاء ، والفطرة السليمة ، والسياسة القوية ، وذلك هو ما أعطبه شاب من قبائل المصامدة ، سكّان الأطلس الكبير ، كان يشرف من صياصي الجبال الشم على مدينة مراكش فيتوسم فيها ما حدّثته به النفس التوّاقة من أن يوماً قريباً سيأتي على المدينة الحمراء تبكي فيه من بناها ذلك هو محمد بن تومرت ، نشأ في بيت بربري من بيوت الرباط والنسك ، فشبّ قارئاً ، محباً للعلم ، متشرباً بروح الثقافة العربية الإسلامية ، وكان هذا العنصر البربري الجبلي الذي ينتسب إليه ابن تومرت يشعر بمكانته العظيمة من الأرض التي استقرت فيها دولة المرابطين ، ويدرك شأنه العظيم في إسناد تلك الدولة بمسالمتها وتأمينها ، ويعلم ، إلى جنب ذلك ، أن دولة الملثمين لا تؤتى إلاّ من جهة ذلك التيار الديني القوي الذي تريد أن تدافع سيوله ، تيار العقيدة السنيّة التي عليها الخلف من أجيال المسلمين الصالحين ، وحيث في نفسه هذا التوقع لقرب مصرع الدولة اللمتونية ، فأصبح مرتبطاً بذاتيته حتّى اقترن بها وتقمّصها ، وأصبح محمد ابن تومرت في نظر نفسه هو روح الفناء المنبعثة على دولة المرابطين ، وأحسّ بأن كل عمل في سبيل تكون شخصيته وإنمائها ، وتربية كيانها الأدبي ، هو سلوك لطريق القضاء على الملثمين ، واستشرف بنظره إلى الجهة التي كان يتنسم منها أنفاس المقاومة المستمدة من توجيه الحكمة الإسلامية الجديدة ، فخرج من وطنه وليس أمام عينيه إلاّ المازري والغزالي ، ودخل البلاد التونسية ، ثمّ قصد مصر ، والحرمين الشريفين ، والعراق ، وكانت العراق يومئذ مركز الحركة الحكمية التي اتجه بها الإسلام وجهته الجديدة ويذكر الكثيرون ممّن ترجموا ابن تومرت : أنه لقي الإمام المازري بالمهدية ، والتقى الإمام الغزالي في بغداد ، وقد ذهب الزاعمون في اجتماعه بالغزالي إلى أبعد

من ذلك ، إغراقاً في الوهم ، فجعلوا الغــزالي يخبره من مستقبل أمره بعلم خفي ، ويخبره بالدولة التي سيقيمها ، وكلّ هذه أخبار واهية لا دليل عليها ، بل الذي يقتضيه ما ذكره المؤرخون ، من تاريخ دخول ابن تومرت إلى العراق : أنه لم يلق الغزالي أبداً ، لأن الغزالي لم يكن يومئذ بالعراق بل انّ أكثر مدّة إقامة ابن تومرت بالمشرق كانت بعد وفاة الغزالي .

ولكن الأمر الثابت : أن هذا العبقري البربري قد تشرب في رحلته المشرقية الحكمة الأشعرية ، وتعلّق بها ، لما كان لها من الانسجام مع تطلعه إلى قوّة تؤثر في تقويض ملك المرابطين ، فجعل التعلق بالأشعرية والانتصار لها درعاً استلأم فيها لمهاجمة قرنه وجعل المهدوية السيف الذي يحمل به ، وسواء أصحّ لقاء ابن تومرت للغزالي أم لم يصحّ فما من شكّ في أن ابن تومرت كان على منهج الغزالي وأنه قد وجه دعوته وعمله على ذلك المنهج .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلاّ أن الذي يرجّح في نظرنا أن الأشعرية والغزالية لم يكونا عنده غاية مقصودة بالخدمة والنصرة وإنّما كانتا وسيلة لتحقيق مقصد سياسي ، إنه قد انتحل ، إلى جنب أشعريته ، عقيدة ينكرها الأشاعرة ويدحضونها ، كما ينكرها أهل السنّة قاطبة وهي عقيدة الإمام المعصوم ، التي يقول بها الشيعة الإمامية ، وتلك هي التي قال فيها ابن خلدون : إنه لم تحفظ عنه فلتة في البدعة غيرها .

ومن هنا نستطيع أن نتتبع مراحل الحرب الفكرية الاعتقادية التي شنّها محمد بن تومرت على دولة المرابطين ، حتى انتهت إلى حرب دامية ، قضت على المرابطين ، وعفت آثارهم في ميداني الحكم والعلم .

فقد ابتدأ ابن تومرت ظهوره في البلاد المغربية من ليبيا، وكان ظهوره ذلك في صورة عالم سنّي أشعري ينتصر للعقائد السلفية بالحجج العقلية، ويأخذ بطريقة تأويل المتشابه، ويعتني بإبراز هذه الطريقة وإظهار النكير على الذين عدلوا عنها، ويجنح مع ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقدم على تغيير المنكرات التي كانت متفشية يومئذ في المجتمع المغربي، فكان بهذا العمل يثير الثائرات ويتعرّض للأذى. وتنقل على هذا المسلك من طرابلس إلى المهدية، إلى بجاية إلى جبال الونشريس، إلى تلمسان، إلى فاس، إلى مكناس، إلى مراكش، عاصمة الدولة، وكان ملكها يومئذ علي بن يوسف، وفي هذه الرحلة لقي ببجاية أول أتباعه عبد المؤمن بن علي الكومي، فلازمه في بقيتها إلى مراكش، وفي مراكش ابتدأت مقارعات ابن تومرت ومناظراته، وفيها تهجّم لأول مرّة على الأمير علي بن يوسف ابن تاشفين بوعظ في جامع المرابطين، يوم الجمعة، أغلظ له فيه القول، ثم خرج إلى أغمات وجرت له فيها مناظرات خرج بعدها مختفياً في خفارة القبائل البربرية في جبال الأطلس، ثمّ قصد بلاد السوس فنزل في قبيلته هرغة سنة ٥١٥ وبنى هنالك رباطاً للعبادة والتعليم، وألف مختصراً في العقيدة سماه «المرشدة» جعله باللسانين العربي والبربري، وأخذ يعلّمه الناس عامة وخاصة: من طلبة رباطه، وعامة القبائل في أرض السوس، ولقّب أتباعه الموحّدين، وتلقّب بينهم بـ «الإمام» وسار في تأليف‌تلك الجماعة وتوجيهها على التدرج في الدعوة والتعليم للوصول إلى الغاية المقصودة، على نحو ما هو مسلوك عند دعاة الشيعة الباطنية من ترتيب الدعوة ومنازلها.

ولمّا لاحظ ابن تومرت أن الدعوة المرابطية السلفية قد أقنعت الناس بوجوب اتباع السنة وتحصيل الأحكام الفقهية منها، فقد بنى ترتيب دعوته على بيان طريق تحصيل الفقه في السنة فبسط في ذلك كلاماً أوله «أعزّ

ما يطلب وأفضل ما يكتسب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كلّ خير »، وقد اشتهر هذا الكتاب باسم مفتتحه وهو قوله « أعزّ ما يطلب » فصار لقباً عليه ، وقد بني هذا الكتاب على مباحث : ترجع إلى الأخبار ، وطرق النقل ، والفرق بين التواتر وأخبار الآحاد ، بصورة عليها سمة من طرائق الأصوليين من الأشاعرة ، في الفكرة والعرض والمصطلح ، ثم عقد كتاباً خاصاً للصلاة والطهارة جعل مداره على استخراج الفقه من الأحاديث وتنزيل نصوص القرآن ، ثم كتاباً في الدليل على أن الشريعة لا تثبت بالعقل بيّن فيه معنى القياس باعتباره راجعاً إلى دلالة اللفظ ، ثم يأتي كتاب آخر للكلام على مباحث الألفاظ ، من العموم والخصوص ، والمطلق والمقيد ، والناسخ والمنسوخ ، والحقيقة والمجاز ، وغيرها ، على طريقة علماء الأصول ، فعندما يطمئن أنه قد ربط المتلقين بتوجيهات علم أصول الفقه ، يتصدى كتاباً للكلام على العلم وطرق تحصيله ، ثم آخر للكلام على المعلومات وأقسامها ، وآخر للكلام على الوجود وتقسيمه ، لإثبات واجب الوجود على طريقة علماء الكلام حيث يتدرج من السنة الأثرية إلى الكلام المنطقي بصورة غير مشعور بها ، ثمّ يختم ببيان معنى العبادة وشروطها وكيفية ربط التكاليف العملية بالأصول الاعتقادية ، وتعليم من هم مظنّة السؤال عن ذلك طرق الإرشاد واختلاف أحوال المسترشدين ، ومن هذا كلّه يتنظم كتاب الدعوة الموحّدية المشهور باسم « أعزّ ما يطلب » ، وإن كان مفصّلاً على كتب مفتتح ومختوم كلّ كتاب منها بما يوهم أنه تأليف مستقلّ ، على طريقة المتقدمين في تقسيم التأليف الواحد إلى كتب يستقلّ بعضها عن بعض ، ويعتبر هذا التأليف وهو « أعزّ ما يطلب » ثاني تآليف ابن تومرت بعد « المرشدة » .

وله كتاب ثالث هو كتاب العقيدة وهو سالك مسلك كتب العقائد الأشعرية المتأثرة نهج كتاب التمهيد لأبي بكر الباقلاني ، مع اختصار وجنوح إلى الرواية ، ويتبع كتاب العقيدة تسابيح للتذكير بقواعد التوحيد والتنزيه ، وبعد ذلك يأتي كتاب رابع هو بيت القصيد ، وهو كتاب الإمامة ، فيبتدئه بتقرير عقيدة لزوم الإمام المعصوم وسوق علاماته ، التي يشير بها إلى نفسه ، ثمّ ينتقل إلى بيان ما عليه طوائف أهل الباطل الذين يسمّيهم بالمثمّين ويطبق عليهم أخباراً نبوية عن سوء مصيرهم في الآخرة ، ويصف ما أحدثوه من المناكر حتّى ينتهي إلى وجوب مخالفتهم وتحريم سوتهم ، ثمّ إلى وجوب جهادهم وفضل الصبر على ذلك الجهاد ، وتبشير الذين يجاهدونهم بأنهم الموعودون بما وعد به القائمون على الحق ، وبيان أركان الإيمان التي يجب أن يتمسك بها أتباع تلك الطائفة الموعودة بالنصر ، حتى ينتهي إلى تقرير أحكام الجهاد ، شاملاً الجهاد بالنفس والجهاد بالمال.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد جمع هذه المقالات وأملاها تلميذه الأول ومؤسس دولته عبد المؤمن ابن علي فأملاها ونسخت من إملاءاته وأسند سماعها إلى مجالس سنة ٥١٥ في رباط هرغة ، فكانت دستور دولة الموحدين والدول التي قامت على أسسها في شمالي افريقيا والأندلس ، وكانت إلى جنب ذلك مكونة لحاصل عظيم الأهمية في تاريخ الفكر هو إعداد الجوّ الفكري في المغرب العربي لحياة الحكمة الأشعرية وبعث حركتها ناشطة من عقالها ، لإبراز النتائج المبنية على المؤاخاة بين فروع الثقافة الإسلامية : مؤاخاة تغذي الدين بالحكمة ، فلقد كانت الصدمة العنيفة التي اصطدم بها تيار النظر الحرّ ، الجامع بين الدين والحكمة ، من طرف المنصور بن أبي عامر ، ثمّ من طرف المرابطين ، صدمة ذات أثر بعيد في وقف حركة التقدّم الفكري ، وقطع ما بين الدين والحكمة من عوامل التلاقح ، التي ازدهرت بها الحكمة الدينية في المشرق .

وكما حكى ابن العربي أن أصحاب الحكمة الدينية العليا كانوا يستترون بالتقليد المذهبي في الفقه ، ويجعلون نظرتهم في علم الكلام تابعاً خفيّاً ، فكذلك كان الحكماء المتفلسفون يتظاهرون بالاقتصار على علم الطب والعلوم الحسابية ، ويكتمون ما عندهم من الحكمة ، مستترين بما يظهرونه مما تجوز لهم فيه مثل الحساب والفرائض والطب ، كما حكى ذلك القاضي صاعد في كتاب طبقات الأمم .

ولقد كادت الحكمة أن تعاود عهد ازدهارها بالأندلس ، عند سقوط قرطبة وقيام ملوك الطوائف ، لولا أن الخطر الاسباني ، ثمّ الحكم المرابطي ، قد قطعا دونها ذلك الأمل ، فانكفأ الحكماء إلى بيوتهم عاكفين على كتبهم منطوين على أنفسهم وما منهم إلاّ متمثل بالبيتين القديمين لابن عبد ربه الحفيد :

لما عدمت مؤانساً وجليساً نادمت بقراطاً وجالينوسا

وجعلت كتبهما شفاء تفرّدي وهما الشفاء لكل جرح يوسى

فلمّا انتصرت الحكمة الدينية متمثلة في المهدي ابن تومرت على المرابطين ، وأدالت دولتهم ، كان ذلك الانتصار رافعاً لحاجز كان قائماً في طريق تقدم الحكمتين ، وحائلاً دون تواصلها ، فاندفعت بارتفاع الحاجز القوّة المكبوتة واستأنفت سيرها من حيث وقفت ، بما بقي مكنوناً فيها من فاعلية تيار السير المقطوع .

هنالك أبرز العلماء ما كانوا يضنون بإبرازه : من كتب الحكمة والكلام وأصول الفقه والجدل والتصوف ، وأظهروا نظرهم فيها ، وتدارسهم لها ، وصدعوا بالتنويه بها وتمجيدها ، وصرحوا بما بين ما كانوا يظهرون ، وما كانوا يخفون ، من وحدة لا ترضى بتفكك أوصالها .

وبهذا الاندفاع الجديد أصبحت طائفة العلماء ، من أهل الحكمة الدينية ، وأهل الحكمة الفلسفية ، ظهيراً للدولة القائمة دولة الموحدين ، لا في سلبية

النوارد على كراهية الحكم المرابطي فحسب ، بل في إيجابية المثل الأعلى من توجيه الدين بالحكمة ، وتحليله بالنطق ، وهو المثل الذي بدا في مذهب الإمام المهدي ، وما يقوم عليه ذلك المذهب من قواعد الحكمة الإسلامية ، التي أسسها الأشعري ، وأسندها الغزالي .

وبذلك أصبحت لابن تومرت منزلة مشاعة بين عصبيتين متظاهرتين : عصبية سياسية تمثلها دولة عبد المؤمن بن علي وأشياعها ، وعصبية مذهبية يمثلها المتطلعون إلى نصرة الحكمة الدينية المحجوزون طويلاً في ما مضى من دولة المرابطين على مواصلة سبيلهم نحو ما تحرّقوا عليه من إعلاء شأن الحكمة ، وارتبطت ثانية العصبيتين بأولاها حين بادر المتمسكون بالأشعرية والمازرية ، في الكلام المدلل والفقه المعلل ، إلى الاتصال بعمد الدولة الموحدية ، كما سافر القاضي أبو بكر ابن العربي إلى لقيا عبد المؤمن بمراكش .

ومن جهة أخرى بادر المتمسكون بالتعاليم الفلسفية والأنظار الحكمية إلى هذه الدولة يؤازرون المتكلمين والفقهاء في تأييدها ونصرها ، والدخول تحت طاعتها ، كما فعل ذلك الفيلسوف الكبير أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجّة ، والحكيم الاشراقي الأعظم القاضي أبو بكر بن الطفيل صاحب القصة الفلسفية الخالدة «حيّ بن يقظان» .

وكان هذان الحكيمان الجليلان : ابن باجّه ، وابن الطفيل ، متمايشين في القطر والعصر ، متقاربين في المذاهب والأنظار ، على ما بينهما من فروق دقيقة في آراء ترجع إلى كليات أصول الحكمة ، وجزئيات من مسائلها ، زيادة على أن واحداً منهما لم يلق الآخر ، وكان أهم ما يتلاقيان فيه شعورهما بأن الحكمة التي أقامت نهضة العلوم الدينية وألفت فيما بينها ، وهي حكمة الغزالي ، قد كان يبدو عليها شيء من التضارب ، باختلاف المباني ، وتفاوت المقامات ، وتباعد الغايات ، إذ يجنح تارة إلى الوقف بمراحل الحكمة عند

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حدّ البرهان ، ويسمو تارة أخرى إلى التجاوز بها إلى غاية الاشراق ، وذلك عين ما كان أخذه أبو بكر ابن العربي على الغزالي من الناحية الكلامية ، وشجبه عليه ، في كتاب العواصم من القواصم .

وكان ابن باجّه متصلباً في نقـد الغزالي متمسكاً بطريقة التعاليم الأرسطوطاليسية ، واثقاً بأن إدراك أهل النظر لما بعد الطبيعة إنّما يكون بالبحث الفكري ، فجاء ابن الطفيل ، على إعجابه بابن باجّه وطريقتـه ، يكشف أن مذاهب الحكمة ، على ما بينها من اختلاف الأساليب والطرائق ، هي متلاقية متكاملة وليست بمتباينة ، ولا متنافرة ، وإن الحكمة النظرية تنتهي بمتّبعها إلى موقف تبتدئ من ورائه مراحل الحكمة الإشراقية ، وبذلك يأخذ على الغزالي أنه قرّر المذاهب متخالفة ، ولم يسلم من الوقوع في أحدها بعد الآخر ، على طول البحث وبعد ذلك بكتاب « تهافت الفلاسفة » ، مع اعترافه بأن الغزالي قد سمى السعادة القصوى ، وأنه رجل أدبته المعارف ، وحذّقته العلوم ، ثمّ ينتقد فلسفة ابن باجّة بأنها قصرت عن غاية الحكمة ، ولم يفض إلى حقيقة الكمال ، ثمّ يصعد إلى الفارابي وابن سينا ، فيأخذ على الفارابي تنطّعه في الاغترار بالفلسفة ، اغتراراً نبا به عن حكمة الدين ، ويأخذ على ابن سينا أنه جرى على مذهب أرسطوطاليس فلم يستطع أن يصل به إلى الكمال ، فعدل إلى الحكمة المشرقية .

وكذلك كانت الحكمة في نظر ابن الطفيل ملتئمة من المبادئ المشائية والغايات الإشراقية ، وليست كاملة ، لا بالفلسفة التعليمية ولا الافلاطونية الحديثة ، وإنّما هي متكاملة لاجتماعها كلّها على صورة يحقّق بها كلّ مذهب ناحية من نواحي الكمال هي النواحي التي لا تتلاقى جهاتها إلاّ باجتماع الدين والحكمة ومعرفة ما بينها من ارتباط .

وذلك هو الذي كانت الحكمة الأندلسية في تيه عنه ، وكانت الحكمة الإسلامية الرائجة بالمشرق ، بعد ابن سينا ، قد أدركته أو قربت فيه ، بما ظهر من خلاصة الأسرار الحكمية التي صرّح بها الشيخ الرئيس في كتاب الإشارات ، وكنّى عنها بضرب المثل في قصة حي بن يقظان ، وما ظهر في كتب ابن مسكويه « الفوز الأصغر ، والفوز الأكبر » من استناد يساعد العقيدة بالعلل الفلسفية . وعلى هذا الاطمئنان العجيب إلى اتصال حقيقة الحكمة العقلية بحقيقة الحكمة الدينية أقبل ابن طفيل على الدولة التي جعلت شعارها إمامة المهدي في الجمع بين الحقيقتين ، فانتقل من العدوة الأندلسية إلى العدوة الغربية ، حتى اتصل بالسلطان يوسف بن عبد المؤمن ، مطارحه حكمته وحبّب إليه مبادئه وربط بسلطة الموحدين نمط مذهبه الفلسفي ، ولم يزل يصب عين ابن الطفيل ، منذ استقر بمراكش في قصر الموحدين ، ذلك الشاب الناشئ تحت دوحتي الحكمة ، المتضلع من درّي الشريعة والفلسفة : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي المعروف بابن رشد الحفيد .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

نشأ هذا الشاب في بيت الفقه والقضاء ، وتطلع إلى أسمى مراقي النظر العلمي ؛ فاتصل في حداثة أمره بالإمام أبي عبد الله المازري : شدّ الرحلة إليه في افريقية ، وتخرّج به في تحقيق النظر الفقهي على مدارك الشريعة وأصولها ، وتلقّن منه أصول الطريقة الكلامية الأشعرية التي كان المازري يخوض لججها مع إمام الحرمين الغزالي .

وفتح ابن رشد عينيه على روض العلوم الحكمية بالأندلس ، وقد زكا نبته ، وأينع زهره ، بتقلّص سلطان المرابطين ، فأقبل على فلسفة القدماء وأتقن اللغة اليونانية واللغة اللاتينية ، واستخرج كنوز الحكمة المجهولة ،

فتعاطف على رأسه غصنان من علوم الإسلام وعلوم الأوائل ، فلم يجد خريتاً يهديه سبيل الحكمة المأمون ، غير القاضي ابن الطفيل ، فكان هو الذي أوقفه على ما يزكي الحكمة من الدين ، ويزكي الدين من الحكمة ، على النحو الذي عرضه في قصة حي بن يقظان .

وكان ابن رشد في الوسط السني الفقهي ، الذي نشأ فيه بقرطبة ، متصلاً اتصالاً محكماً بآثار أبي بكر ابن العربي وأخباره ، فقد أخذ عن تلاميذه : مثل الحافظ ابن بشكوال ، ووقف بذلك على ما كان للغزالي من أثر في ابن العربي وفقهه ، ووقف على آثار الخلافات الفقهية والاعتقادية التي ثارت بين مالكية الأندلس وابن حزم ، وما تركت من دوي متجاوب الأصداء في قرطبة ، ووقف على كتب ابن حزم ، واعتمد عليها في تأليفه ، فحقق ما يشهد به المنصفون لابن حزم ، وإن خالفوه ، من سعة العلم ، وحدة الذهن ، وقوة المعارضة ، حتى انه على ظاهريته اعتنى بالحكمة العقلية وألف كتاب التقريب لحدود المنطق الذي قال القاضي صاعد « انه بسط فيه القول على تبيين طرق المعارف ، واستعمل فيه أمثلة فقهية ، وجوامع شرعية ، وخالف أرسطوطاليس في بعض أصوله » . فكانت هذه المثل من استعمال الحكمة العقلية لتقريب الفقه موجهة لابن رشد إلى مجاراة أربابها ، باستعمال الحكمة المثلى التي كان يشعر ، تبعاً لأستاذه ابن الطفيل ، بأن الناس من قبل لم يتوصلوا إلى صحيحها .

على هذا التأثير الذي بطرت به روح الحكمة المجددة على نفس الحفيد ، ترك ابن الطفيل صاحبه ابن رشد بقرطبة لما استقر هو في مراكش .

فلما بدأت بوارق الأمل في الملك المغربية تلمع بين عينيه حتى لحق ابن رشد بمراكش سنة ٥٤٨ وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، والتقى الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن بواسطة أستاذه ابن الطفيل ، وحاوره

حواراً فلسفياً راقياً ، أثبت له رسوخ قدم الخليفة الموحدي في الحكمة بصورة يندر وجودها عند أمثاله ، وبسبب ذلك رغب ابن الطفيل من ابن رشد ، بما له من التمكن في اللغة اليونانية ، أن يتولّى دراسة كتب أرسطوطاليس وشرحها وتلخيصها حتى يخرج بها عن دائرة الغموض التي كانت محيطة بها .

انتدب إلى ذلك ابن رشد وبذل نفيس عمره في خدمة الفلسفة وتحقيقها وبسطها واعتمد على مذهب أرسطو فجعله قطب النظر ، وقارنه وناظره بالمذاهب ، وعلّق عليه بالنقد والتصويب ، وبيّن منزلة بعض المواضيع من بعض ، ونسبة بعض المذاهب من بعض ، واحتفل خاصة بقسم مابعد الطبيعة وهو مجال معترك الأنظار ، فحقّق نواحي التفارق والتلاقي بين سقراط وأفلاطون وأرسطو والرواقيين ، مناقشاً ابن سينا آراءه الخاصة أو تخاريجه لكلام أرسطو ، كما ناقش تخاريج المتقدمين من شرّاح أرسطو اليونانيين ، ومن المشهور أن ابن رشد بهذا العمل قد كان مؤسساً للفلسفة تأسيساً جديداً ، وممشياً لها إشاعة أضاءت ظلمات القرون الوسطى ، في أوربا ، بفجر عصر النهضة ، ولكن الأهم وراء ذلك هو ماكان لابن رشد من أثر مباشر في العلوم الدينية ، فقد تأثر ابن رشد خطى الغزالي في الحكمة وأصول الفقه والفقه ، فتناول كتاب تهافت الفلاسفة ، وكتاب المستصفى ، وكتاب الوجيز ، فجعل تتبّعه لكتاب التهافت تتبعاً تحليلياً حرفياً يتناول تحقيق مذاهب الفلاسفة بطريقته العميقة في شرح الحكمة ، ونقد ردود الغزالي بأنها ليست واردة مورد البرهان الناقض على محلّ النزاع ، حتى انتهى بذلك إلى المقدة التي جعلها ابن طفيل أقوى مأخذ على فلسفة الغزالي ، فجعلها مقطع الحقّ ومنقطع المناقشة وطوى بذلك كتاب تهافت التهافت ،

ثم لخّص تلك المناقشة في صورة منهجية في كتاب « فصل المقال في ما بين الشريعة والحكمة من الاتّصال » .

أما كتاب المستصفى فقد لخّصه تلخيصاً ، ذكره في ترجمته الشيخ أحمد بابا في ذيل الديباج ، وتعرّض إلى الإلمام بأراء الغزالي الأصولية في كتاب مناهج الأدلة بما دلّ على أنه لا خلاف يذكر بينها في مسائل أصول الفقه .

وأما كتاب الوجيز فهو الكتاب الذي اختصر فيه الإمام الغزالي مذهب الشافعي ، ملخّصاً فيه كتابيه الوسيط والبسيط ، وقد جعل اختصار الفقه مبنياً على الاقتصـــار على قول الشافعي والإشارة إلى خلاف المذهبين المالكي والحنفي إشارة ردّ واستبعاد ، وكذلك فعل بالأقوال التي تخالف قول الشافعي داخل المذهب ، وخاصة أقوال المزني ، فجاء هذا الصنيع متأثراً بالأصول الجدلية التي تنظر في مدارك الأحكام لقصد الانتصار إلى مذهب معيّن ، لا لقصد استجلاء الحقيقة لذاتها ، وكان ذلك تضييقاً لدائرة التقليد ، فجاء القاضي ابن رشد يساير صنيع الغزالي في الاختصار وإيراد الأقوال المخالفة ، ولكنه يجنح إلى الاقتداء بابن العربي في التخفيف من التزام التقليد ، فيتوسع في الخلاف ، ويشير إلى الأدلّة التي كانت منشأه ولا يلتزم الانتصار لتقليد مذهب معيّن ، ولكنه يفتح باب النظر في الأدلة حتى لا يغلق باب الاجتهاد أصلاً ، ويبقى ولو في حدود النظر المذهبي ، فكان إيراد المذاهب عنده لتربية ملكة الاجتهاد عليها ، لا لدحضها ، ونصر مذهب معيّن وبذلك استطاع ابن رشد أن يفتح في المذهب المالكي طريقاً سدّه الغزالي في المذهب الشافعي ، هو الطريق الوسط بين الاجتهاد والتقليد ، الذي يشير إليه اسم الكتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » وقد ذكر فيه أنه عازم على وضع كتاب آخر في المذهب المالكي ، يتجنّب فيه إحصاء الروايات لأن ذلك شيء ينقطع العمر دونه ، ولكنه رتّبه ترتيباً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صناعياً حتى يكون القارىء مجتهداً في مذهب مالك ، ويظهر أنه لم يتمكن من إنجاز عزمه هذا فلم يكن له ، في ما عُدّ من جريدة كتبه الكثيرة ، كتاب في الفروع المذهبية ، وقد وهم صاحب معجم المطبوعات ، فنسب إلى الحفيد ابن رشد كتاب المقدمات الممهدات ، والصواب أنه لجدّه الحافظ ابن رشد الجدّ صاحب البيان والتحصيل ، وحافظ المذهب .

وكفى حفيده بدأ على الفقه المالكي أنه بوضعه كتاب بداية المجتهد قد افتتح حياة الاجتهاد ، بما بث في المذهب المالكي حركة التفقه التي ظهر بها الإمام ابن عرفة في القرن الثامن ، ثمّ التصرف الاجتهادي في جريان العمل الذي شاع من عهد تلاميذ ابن عرفة : البرزلي ، وابن ناجي ، فأصبح أصلاً للتطور الفقهي في ما بعد القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر ، فكان كتاب بداية المجتهد لمحة من لمحات الحكمة العقلية التي امتاز بها ابن رشد الحفيد تركت أثراً في تطور الفقه المالكي بالتفقه والعمل ، وأثراً في الإبقاء على رمق من روح الاجتهاد مردد بين المذاهب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان هذا العمل الذي قام به ابن رشد الحفيد في القرن السادس بكتاب بداية المجتهد ، عملاً تصرفياً في الفقه . ناقض به العمل الالتزامي الذي قام به الغزالي في كتاب الوجيز ، فبقدر ما كان الغزالي يضيق الدائرة ويحصر الأقوال كان ابن رشد يوسع دائرة النظر ويكثر من إيراد المذاهب والأقوال ومقابلتها وإيراد حججها وأدلتها بحيث يجنح الغزالي إلى إبرار المذهب الفقهي الذي يتقلده في صورة الأمر الضروري ، كما هو عند المقلد ، في حال أن ابن رشد يجنح إلى إبرازه في صورته النظرية التي هي محلّ بحث ومجال اجتهاد ، كما هو عند الفقيه ، وإنه لمن المنتظر أن طريقة ابن رشد يكون لها أثر في المذهب المالكي ، وان طريقة الغزالي يكون لها أثر في المذهب الشافعي ، حتى يبدو كلٌّ من المذهبين مبايناً لمظهر الآخر ، ولكن ما بين المذهبين من

تواصل في المجال الأصولي ، وما بينها من تفاعل في البلاد الشرقية بصفة خاصة ، حيث يعيشان متجاورين في الحجاز والعراق والشام ومصر ، كان قاضياً بأن كلّ أثر يبدو في أحد المذهبين تحدث له صورة في المذهب الآخر ، فلمّا برز كتاب الوجيز للغزالي ولقي ما لقي عند الشافعية من احتفال وإقبال ، واحتلّ منزلة الإعجاب بحسن تنسيقه ، وجميل تبويبه ، ومحكم ربطه بين المسائل ، وإتقان تفريعها ، أحسّ الفقهاء من أتباع المذهب المالكي في المشرق بأن هذا المظهر الذي بدا به المذهب الشافعي قد أناله امتيازاً في حسن الضبط وسهولة المراجعة يجعله أيسر إلى تناول المقلدين ، فاغتبطوا بذلك واستشمروا خلو التآليف الفقهية في المذهب المالكي من تلك الميزة ، فحرصوا على تكميله باقتباس تلك الطريقة التي سهلت تناول المذهب من طالبيه ، وهم حين نظروا إلى الميزة الصناعية في التآليف لم يلتفتوا إلى ناحية التضييق والاقتصار التي انحاز إليها مذهب الشافعي بتأليف الغزالي ، لأن تشابه الأوضاع واستقرارها لم يكن من شأنه أن يبرز الاحتياج إلى ما اعتبر مهجوراً من الأقوال الفقهية ، حيث إن جريان الفتوى على الأقوال المشهورة المدوّنة ، وما اتلك الأقوال التي جرت عليها الفتوى من تطابق مع مقتضيات الأحوال كان مزيلاً لاعتبار الأهمية من تلك الأقوال ، قاضياً عليها بالجدارة للهجر والإهمال . بمثل هذه العوامل تأثر المالكية بمصر أثناء القرن السادس لما طار كتاب الغزالي إلى إخوانهم وأجوارهم الشافعية ، فأقبلوا عليه بما تقدّم وصفه من إعجاب ، وأحسّ المالكية بأن مذهبهم في حاجة إلى مثل ذلك التهذيب والترتيب ، ولم يلاحظوا ما لاحظ أحد أئمتهم العظام وهو قاضي قرطبة أبو الوليد ابن رشد من أنه يشتمل على تضييق دائرة النظر الاجتهادي وبثّ المذهب في حيز التقليد ، وإن امتاز بما زانه من حسن الترتيب ، فكان تطلّع هؤلاء الفقهاء إلى أن يسلكوا بالمذهب المالكي المسلك الذي انتهجه الغزالي بالمذهب الشافعي موافقاً للوقت الذي كان فيه

فقيه قرطبة وحكيمها يحاول أن يبرز أثراً مرتباً مهذباً يصدّ به تيار المذهب المالكي عن الاندفاع في ذلك السبيل . ففي العصر الذي كان فيه ابن رشد منكباً على تصنيف بداية المجتهد ، كان الفقيه المصري أبو محمد بن شاش منكباً على تصنيف مختصر جامع لفروع المذهب المالكي ، على ترتيب يساير صنيع الإمام الغزالي في الوجيز ، وهو مختصره البديع الذي سمّاه «الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة» وقد قال في خطبته : لمّا رأيت كتاب الوجيز لأبي حامد الغزالي رحمه الله من أحسن ما حرّر فيما حرّره غيره من متقدّمي الأئمة ومتأخريهم ، فكان غاية منتهى التحرير ، لخصت المذهب في هذا الموضوع على القرب من محاذاته .

وسرعان ما ظهر هذا الكتاب حتى عكف عليه المالكية بمصر واستحسنوه وأعجبوا به ، كما ذكر ذلك ابن خلكان في وفيات الأعيان ، وسارت طريقة دراسة الفقه على منهج كتاب ابن شاش : في الحرص على التفريع والجمع والإيجاز ، والإعراض عن الخلاف والمدارك ، وبقي كتاب ابن رشد خامل الذكر محدود الانتشار إذ لم يشاركه في نظره الحكمي البعيد إلا القلائل : فلم ينتبه الأكثرون إلى أن ما خيّل لهم الاستغناء عنه من الأقوال سيحتاجون إليه في تقليب الأنظار عند اختلاف الأحوال .

ومضى القرن السابع على هذه الطريقة الالتزامية التي التحق فيها المذهب المالكي بالمذهب الشافعي ، متنكباً محاولة ابن رشد في الحفاظ على اتساع النظر الاجتهادي ، وازدان ذلك القرن السابع بظهور علم من أعلام الثقافة الإسلامية ، الجامعين بين مختلف فنونها في معرض الصناعة التعليمية ، التي تفرّعت من مناهج أصول الفقه ، فجمعت بين أسلوب تعليمي واحد علوم اللغة العربية والدين والحكمة من علم القراءات إلى علم العروض ، ذلك العلم الذي ظهرت عظمته في القرن السابع ، هو الإمام جمال الدين ابن الحاجب ،

صاحب المختصرات المعتبرة في النحو والصرف والعروض والمنطق والأصول والفقه والقراءات ، فانصرف إلى تأليف مختصره العظيم في الفقه المالكي الذي سمّاه « جامع الأمهات » ، وأفرط فيه في اتباع طريقة الجمع مع الاختصار ، حتى كان وهو جزء صغير جامعاً لمضمون ستين ديواناً من دواوين الفقه المالكي ، ومشتملاً على صغر حجمه على ستّ وستين ألف مسألة ، فعظم الإعجاب به ، وعمّ الإقبال عليه ، وملأت سمعته وسط القرن السابع ، وحلّقت في آفاق المشرق والمغرب مع أن ابن خلدون يعرض بنقده بقوله : إنّه جاء كالبرنامج للمذهب .

وبانتشار مختصر ابن الحاجب وعكوف الناس عليه هجر دارسو الفقه طريقة المدوّنة وتهاذيبها وشروحها ، بما عليها من مسحة النظر والاستدلال ، وتوجّهوا إلى دراسة ابن الحاجب بالاستكثار على طريقته من المسائل والفروع .

وكان طريق اتّصال مختصر ابن الحاجب الفرعي ببلاد المغرب العربي أن الشيخ ناصر الدين الزواوي ، من فقهاء بجاية ، ارتحل إلى المشرق في أواخر القرن السابع ، فلقي تلاميذ ابن الحاجب بمصر ، وتخرّج عليهم ، فجاء معه بمختصر ابن الحاجب ونشره في تلاميذه ببجاية ، ومن هنالك انتقل إلى عامّة أقطار المغرب العربي ، فعكف الفقهـــاء على دراسته وشرحه واعتنى به كبار فقهاء تونس : مثل ابن عبد السلام ، وابن هارون ، وابن راشد ، وفقهاء تلمسان : مثل ابني الإمام .

ولكنّ نزعة ابن رشد إلى الطريقة المخالفة للمنهج الالتزامي الاقتصادي ، الذي درج عليه ابن الحاجب ، لم تزل تغذّي حركة ردّ فعل تعديلي تجنح باتباعها إلى طريقة اتساع النظر الاجتهادي بين المذاهب الفقهية ، وقد تجلّت تلك النزعة واضحة في كتاب القوانين الفقهية للإمام أبي القاسم ابن جزي الغرناطي ، شهيد واقعة طريف سنة ٧٤١ ، فانّ ذلك الكتاب النفيس ،

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

على إحكامه ودقة ترتيبه ، لم يقتصر على المذهب المالكي ، بل أورد المذاهب الأربعة ومذاهب كثير من أهل الاجتهاد المنقطعي الأتباع ، فجمع ، كما قال هو عن نفسه ، بين تمهيد المذهب وذكر الخلاف العالي .

على أن منهجاً جديداً في الدراسة العلمية قد ظهر بالبلاد التونسية في رحاب الجامعة الزيتونية أثناء القرن السابع كان قاضياً أيضاً بتعديل الغلو في الطريقة الفقهية الالتزامية ، وذلك هو منهج القاضي أبي القاسم ابن زيتون ، الذي تخرّج في المشرق على تلامذة الإمام فخر الدين الرازي ، ودرج على طريقته في الجمع بين العقليات والنقليات على الأسلوب التعليمي الراقي ، وقد تأيدت هذه الطريقة واستحكمت أساسها في القرن الثامن ، بنبوغ الحكيم الكبير إمام التعاليم والرياضيات أبي عبد الله الابلي ، المتكون في حكمته التجريبية على طريقة ابن رشد ، فتواصلت طرق التخرج على منهج النظر الحكمي في التكاليف الدينية بين أقطار المغرب في شمالي إفريقيا والأندلس ، فظهر من أعلام تلك الطريقة أعلام درسوا الفقه بالتعقيد والمقارنة وربط الفروع بالأصول مثل الإمام أبي عبد الله المقري التلمساني ثمّ الفاسي ، والإمام أبي اسحاق الشاطبي الغرناطي ، والإمام العلاّمة أبي عبد الله العلويني الشهير بالشريف التلمساني ، الذي عدّ من أهل الاجتهاد ، وقد أنجبت الجامعة الزيتونية بتونس في هذا القرن الثامن فذّاً من الأفذاذ الجامعين بين الحكمة والفقه تخرّج بطريقة الابلي وبرز في العلوم الحكمية أولاً ، ثم اشتغل بالفقه فأتى فيه بالعجب العجاب ، ذلك هو شيخ الإسلام محمد بن عرفة .

ابتدأ ابن عرفة تخرجه العلمي بالاختصاص في الكلام والحكمة والمنطق وأصول الفقه ، ثمّ انصرف إلى الفقه متأثراً بتكوّنه الحكمي ، فاتّجه إلى الضبط والجمع والتنظير ، واهتمّ بصفة خاصة بالتحديد ، وشرح مواهي الأبواب الفقهية ، بتمييز بعضها عن بعض ، وأكثر من البحث والنظر والاستشكال ،

فنقد كثيراً من الأقوال واستبعدها ، مبيناً وجه ذلك بتصوير الوقائع ، وملاحظة ما يتحقّق فيها من المصالح المقصورة للشرع ، وما لا يتحقّق ، ففتح بذلك في الفقه المالكي طريقة البحث النظري المعبر عنه « بالتفقه » الذي هو منهج الدراسات القانونية الجامعية اليوم .

وبهذه الدراسات النظرية الممحصة للأقوال الفقهية : نقداً ، وتحريراً ، ومشاركةً في المباني والمدارك ، اقترنت أحداث خارجية في حياة البلاد المغربية عامة والقطر التونسي خاصة ، ختم بها القرن الثامن : من دخول سلطنة الإسلام بالأندلس في الدور الأخير ، وإيواء اللاجئين من المناطق المفتكة إلى الرقعة الباقية والعدوة الافريقية ، وتضارب الدول المرينية والزيانية والحفصية في سبيل توحيد المغرب ، ودخول قبائل الأعراب في دور الاستقرار والتحضّر ، واستفحال الأزمة الاقتصادية بسبب سقوط منزلة البلاد في التجارة العالمية بفتح طريق الهند البحري ، زيادة على ما مرّ ببلاد المغرب من الأحداث الإسلامية التي توالت بعد سقوط الخلافة العباسية ببغداد : من تجدد محنة المغول بقيادة تيمورلنك ، وإشراق نجم العثمانيين ، فكان من أثر هذا المجموع من الأحداث أن ما كان يسود الدراسات الفقهية من الاطمئنان إلى الاختيارات والترجيحات التي استقرّ عليها الفقه المذهبي ، قد بدأ يتزعزع بما أسفرت عنه الأحداث الهائلة من انقلاب الأوضاع الاجتماعية انقلاباً فتح مبدأ الشعور بمشكلة قصور كثير من الأقوال الفقهية عن تحقيق المصلحة التي نظر بها إليها من قبل بسبب اختلاف الوضع عن الوضع ، فكان هذا الشعور أقوى سند للأنظار التفقهية التي ابتدأ الإمام ابن عرفة أثناء القرن الثامن يعلق بها تعاليق النقد والبحث على بعض الأقوال الفقهية ، واتخذ تلاميذه من ذلك مساراً للاختبار التجريبي لنفاذ الرأي الاجتهادي الذي يحلّل به ابن عرفة الأحكام .

وبذلك كان القرن التاسع قرناً وضع فيه الفقه المالكي من جديد على بساط النقد والتمحيص حيث دخل في مقاييس الاختيار والترجيح مقياس جديد : هو مقياس الفتوى والعمل ، فانّ طبقة من تلامذة ابن عرفـــة أخذت على عاتقها تطبيق الأحكام الشرعية على الوقائع بمراعاة ما فرضت فيه تلك الأحكام من الظروف الزمانية والمكانية ، فاذا رأوا أن بعض تلك الظروف تبدل ، مالوا إلى العدول عن القول المشهور إلى قول غيره اجتهاداً منهم ، واستحساناً ، واعتباراً للمصالح الشرعية ، بحسب الوقائع والنوازل والأشخاص ، بمراعاة الأعراف والعوائد ، فأصبحت الفتاوى في كثير من الوقائع مختلفة عمّا اشتهر في أمثالها بسبب اختلاف جزئي في صور الوقائع ناشيء من اختلاف الأوضاع ، وكان البروز في هذا المجال الفقهي التجديدي لثلة من تلاميذ ابن عرفة ، فيهم من التونسيين : البرزلي ، وابن ناجي ، ومن الجزائريين : الحفيد ابن مرزوق ، وأبو الفضل العقباني ، حتّى تقرّر بصنيعهم هذا منهج العمل الذي أصبح تعديلاً ضرورياً لما سبق من الرجحان واشتهر ، وكان الذين تولّوا القضاء من هؤلاء أتمّ تمكّناً من ملاحظة تلك الدواعي فساروا على منهج التصرّف الاجتهادي في التأويل ، وأسسوا لجريان العمل مادة جديدة للفقه ، فأظهر القاضي ابن ناجي في كتبه من حسن التحقيق لمناط الفتاوى والأحكام ، والبراعة في تنزيل القواعد والمقاصد على الصور الحادثة ، ما جعل صورة الفقه المالكي من بعده مصطبغة بآرائه صبغة خاصة . كما أبدى البرزلي في مجموع فتاويه المسمى « جامع مسائل الأحكام لما نزل بالمفتين والحكّام » نظراً بعيداً سديداً ، في التصور والتطبيق والتنزيل ، تناول أكثر مسائل الفقه بصورة كشفت في تطبيق الأحكام ، عن أوجه لم يكشف عنها من قبله لثام . ومثل ذلك المسلك سلك العقباني في أجوبته التي ضمن الكثير منها تلميذه الشيخ يحيى المغيلي المازوني في كتابه « الدرر

المكنونة في نوازل مازونة ، أما العلامة ابن مرزوق الحفيد فقد سما في فقهه إلى أفق تحرير الأفكار وابتكار الأنظار ، حتى شهد له ببلوغ درجة الاجتهاد المطلق ، ولقد كان حريصاً على تعرف المذاهب وحسن دراستها لتوسيع نظره الاجتهادي ، فدرس الفقه الشافعي في تلمسان بكتاب التنبيه لأبي اسحاق الشيرازي والوجيز للغزالي ، مع أنه لم يكن هو ولا واحد من طلبته ولا من أهل مدينته شافعياً .

وبهذه النزعة التفقهية التطبيقية انتهج الفقه نحو التطور منهجاً جديداً سلك من القيروان إلى الأندلس ثمّ رجع واستقرّ بفاس فأبرز اختلافاً واضحاً بين ما تقرّر من الأحكام في الدواوين والمختصرات ، وما طبق في مجاميع الفتاوى والنوازل ، على نحو ما نجده في لامية الزقاق من القواعد والمثل ، وما نجده في ما ضمنه الشيخ أبو العباس الونشريسي في مجموعه المعجب « المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب » وهو كتاب في أسفار ضخمة يتبيّن لمتصفّحه عندما يقابله بجواهر ابن شاس أو بمختصر ابن الحاجب كم استطاع النظر الفقهي في هذا المغرب أن ينتج من تطور ويظهر من حيوية ، لما عدل عن النهج الالتزامي وسار على النهج التصرفي الذي فتحه ابن رشد ، ومهّده ابن عرفة وتلاميذه ، وأقام أعلامه الونشريسي في المعيار .

محمد الفاضل ابن عاشور

※※※

نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

— ٨ —

٢١٥) البطن

ف Abdomen, ventre (m.)

ز Abdomen ; Belly

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأصل . — ليس له تعريف .

في (ق) . — البطن خلاف الظهر مذكر . ج أبطن ، وبطون ، وبُطنان ... ودون القبيلة ... وجوف كل شيء .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . — هو الناحية السفلى والأمامية من الجذع (يرادف Ventre) . البطن منفصل عن الزور بالحاجز وتحده من الأسفل الحوضة . يحتوي البطن على الأنبوب الهضمي وملاحقه ، والجهاز البولي ، وغدد شتى وعلى جزء هام من الجهاز الودي .

أهم ما أضفته :

١ً — بطن ذو بَرْزَتَين

ف Ventre à double saillie

ز Abdomen presenting tow inguinal prominences

٢ً — بطن بشكل الخُرْج

ف Ventre en besace
ز Pot belly

٣ً — بطن مدلًّى

ف Ventre pendant
ز Pendulous belly

٤ً — بطن كالمَرْكب

ف Ventre en bateau
ز Scaphoid abdomen; boat scaphed, carinate, navicular abdomen

٥ً — بطن مستدق

ف Ventre en pointe
ز Pointed belly

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦ً — بطني

ف ، ز Abdominal, ventral

قلت :

و (البُطَين) على التصغير وبالإضافة إلى القلب يُطلق خصوصاً على الجُويف الذي يدفع الدم إلى الشرايين . وبالإضافة إلى الدماغ يُطلق على كلٍ من الجويفات الأربعة المحتوية على المائع الدماغي الشوكي .

وأضفت :

١ً — بُطين القلب

ف Ventricule du cœur
ز Ventricle of the heart

٢ً — بطين الدماغ

ف Ventricule cérébral
ز Cerebral ventricle

٣ً — بطين الحنجرة

ف Ventricule du larynx

ز Ventricle of the larynx

٤ً — بطين الدماغ الجاني

ف Ventricule latéral (du cerveau)

ز Lateral ventricle of the brain

٥ً — بطين الدماغ المتوسط

ف Ventricule moyen (du cerveau)

ز Third ventricle of the brain

٦ً — بطين رابع

ف Quatrième ventricule

ز Fourth ventricle

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧ً — بطين انتهائي

ف Ventricule terminal

ز Terminal ventricle

٨ً — بُطيني

ف Ventriculaire

ز Ventricular

٩ً — رسم البُطين

ف Ventriculographie

ز Ventriculography

★ ★ ★

٢١٥ مكرر) الشاكلتان

ف Flanc, côté (m.)

ز Flank; side

في الأصل . — هما الطفطفتان .

في (ق) . — الطفطفة الخاصرة ، أو أطراف الجنب المتصلة بالأضلاع .
والشاكلة ، في (ق) : ما بين الحرقفة والقُصَيْرى وهي الخاصرة .

في (ل) . — القسم من جسم الإنسان والحيوان من الأضلاع حتى الورك . وعلى التوسع الجنبُ من الجسم .

(انظر أيضاً الرقم — ٢٠٧) .

* * *

٢١٦) الثُّفْنة

ف Hypogastre ; bas - ventre

ز Hypogastrium

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأصل . — الثَّفنة : ما بين السرة إلى العانة .

قلت : قوله (ما بين السرة إلى العانة) ينطبق على الخُنْثُنَة ، والمُرَيْطاء لا الثفنة ، بالفاء ، وهما ما يقابل الكلمتين الافرنجيتين ، كالثُّنة تماماً — بدون فاء — كما سيأتيك في ملاحظتي .

في (ق) . — الثفنة من البعير ، الركبة . ومنك الركبة ومجتمع الساق والفخذ .

في معجم المتن . — من البعير الركبة . . الخ ومن الخيل موصل الفخذين في الساقين من باطنها . ومن الناس الجماعة منهم ، ومن الجُلّة حافتا أسفلها من التمر (مجازاً) . ومن النوق ، التي تضرب بثفناتها عند الحلب . ومن الإنسان : الركبة ، ومجتمع الساق والفخذ .

في (ل) . — القسم الأسفل من البطن .

ملاحظتي . — في المعاجم التي بين يديّ لم أجد للثفنة من المعاني ما يصح إطلاقه – ولو مجازاً – على الشرح المذكور في الأصل المطبوع : (ما بين السرة إلى العانة) . فالثفنة إذن خطأ عن النسخ من المخطوط . فما الصحيح ؟ رحتُ أقلّب وجوه التصحيف أو أخطاء الخط وبمواصلة البحث وجدتُ – بعد جُهد – الصحيح وهو (الثُّنَّة) فوضعتها مصححةً في الرقم (٢١٦) . فالثُّنَّة ، بالضم وبدون الفاء ، مشدّدة النون : (العانة ، أو مريطاء ما بينها وبين السُّرة) وهو شرح ينطبق تمام الانطباق على ما جاء في شرح الأصل . ولم ينتبه إليه المحقق .

* * *

٢١٧) السُّرَّة

ف Ombilic (m.)

ز Navel

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأصل . — ليس لها تعريف (إذ لم تأت مستقلة) .

قلت : جاء ذكرها في معرض شرح الثُّنَّة مما أفادني لتحديدها ووضع الكلمتين الافرنجيتين مقابلاً لها .

في (ق) . — ما تقطعه القابلة من الصبيّ .

في معجم متن اللغة . — السُّرّ سِرّ الكف والوجه . وما تقطعه القابلة من سُرّة الصبي ج أسِرَّة (نادر) . والسَّرَر (*) : ما تقطعه القابلة من السُّرّة (وبكسر) . السُّرّة موضع السُّرّ الذي تقطعهُ القابلة وهو الوقبة في وسط البطن ج سُرَر ، وسُرّات .

(*) قلت : هو ما يسمى بالحبل السُّرّي :

ف Cordon ombilical ; tige funiculaire

ز Umbilical cord or funicle

قلت : لاحظت في شرح (ق) والمتن قولها (من الصبيّ) ولا شك عندي أن هذا عن ذهول فالصحيح أن يقال (من الولد) ليشمل الأنثى (الصبية) والصبي دون حصر في (الصبيّ) فالقابلة تقطع سرر الصبي والصبية (الولد ذكراً أو أنثى) [لأن الصبي : الطفل من لدن أن يولد إلى أن يفطم ، والذي لم يفطم بعد ، والمؤنث صبيّة ، انظر ما جاء في المتن مادة (ص ب ي) ج ٣ صفحة ٤٢٠] .

في (ل) . — ثقبة البطن في الجنين يمر منها الحبل السّرّي .

قلت : من مرادفات الافرنجيتين :

نقير ، سُرّة

ف	Hile (m.)
ز	Hilus ; hilum

(وهي ناحية منبطة ، بوساطتها تنفذ العروق الدموية والمجاري الأخرى في أحد الأحشاء) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما أضفته :

١ — سرة داخلية

ف	Chalaze
ز	Chalaza

٢ — سرة الرئة (نقير الرئة)

ف	Hile du poumon
ز	Hilus of the lung

٣ — سرة الطحال (نقير الطحال)

ف	Hile de la rate
ز	Hilus of the spleen

٤ – سرة الكبد (نقير الكبد)

ف Hile du foie

ز Hilus, s. porta hepatis

٥ – سرة الكلية (نقير الكلية)

ف Hile du rein

ز Hilus of the kidney

٦ – استسرار

ف Ombilication

ز Umbilication ; navel - like depression

٧ – استسرار الأسحم (حلمة الثدي)

ف Ombilication du mamelon

ز Retracted, inverted nipple

٨ – استسرار الجلد (في السرطان)

ف Ombilication de la peau (dans le cancer)

ز Umbilication of skin (in cancer)

٩ – أسَرّ

ف Ombiliqué

ز Umbilicate(d.) ; navel - shaped

١٠ – سُرّي

ف ، ز Ombilical

١١ – حَبْل سُرّي

ف Cordon ombilical

ز Umbilical cord

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

يرادفها : ساق سرَرية

ف Tige funiculaire

ز Umbilical funicle

١٢ — نقيري

ف Hilaire

ز Pertaining to the hilus

★ ★ ★

٢١٨) العانة

ف Pubis (m.); penil; mont de Venus

ز Pubic eminence; mons veneris

في الأصل . — ليس لها تعريف (إذ لم تأت مستقلة) .

قلت : جاء ذكرها في معرض شرح الثنّة فرأيت ذكرها في رقم خاص معا بقابلها في المتنين والشرح اللازم ، إلحاقها بالوضوع .

في (ق) . — العانة ، الأتان والقطيع من حمُر الوحش . ج عون بالضم . وشعَر الرَّكَب (والركب محركة العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره . أو الرَّكَبان أصلا الفخذين عليها لحم الفرج أو خاص بهن ج أركاب وأراكيب) .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

في معجم المتن . — ... ومنبت الشعر في قُبُل المرأة والرجل . ويقال للشعر هذا إسْب ، وشِعْرة [انظر الرقم — ٢ الشَّعْر ومنه (١٧)] .

في لاروس ذي المجلدين . — بروزة مثلثة الشكل في النهاية السفلى من البطن ؛ والقسم الأمامي من عظمَي الحرقفة .

ما أضفته :

آ) — الطَّبْق (*)

ف Pénil

ز Pubic eminence

(*) في (ق) : الطبق ، عظم رقيق يفصل بين كل فقارين ؛ وظهر فرج المرأة .

ب) — قُنَّة الزُّهَرَة (*) (جبل الزهرة)

ف Mont de Venus

ز Mons veneris

١ — عانيّ

ف Pubien

ز Pubic

٢ — عظم العانة

ف Os du pubis

ز Pubic bone

٣ — خزع العانة

ف Pubiotomie ; hébotomie ; hébostéotomie

ز Pubiotomy ; hebotomy ; hebosteotomy

٤ — قَمْل العانة (قَمْل)

ف Morpion ; pou du pubis

ز Pubic crab louse

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★ ★ ★

٢١٩) الأعفاج (= المصارين)

ف Intestins (m.)

ز Intestine ; gut

في الأصل . — الأعفاج والمصارين ، الأمعاء .

في (ق) . — العفج محركةً ، ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة . ج أعفاج ... والمصير كأمير ، المعاء ج أمْصِرة ومُصْران جج مصارين .

في متن اللغة . — العفج ج أعفاج وعِفَجَة ، المِعى أو ما سفل منه . أو مكان الكَرِش لما لا كرش له ، وما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة وهو من الإنسان كالمصارين لذوات الخُفّ والظلف التي تؤدي إليها الكرش ما دفعته .

(*) في (ق) : القُنَّة الجبل الصغير ، وقُلَّة الجبل .

قلت : لقد أطلق المؤلف الأعفاج (وهي جمع عفج) توسعاً على الأمعاء عامةً مع أن شرح (ق) و (المتن) فيه تخصيص ولذا فقد أطلقت لجنة المصطلحات الطبية كلمة العفج على ما كان يسمى قبلاً (اثنا عشر) لطوله قدر اثني عشرة اصبعاً ترجمة للكلمة اللاتينية (Duodenum) ومعناها (قدر اثني عشرة اصبعاً) المستعملة بالفرنسية لذلك القسم من الأمعاء الذي يلي المعدة وينصب فيه ما تجيء به قناة المشكلة والقناة الصفراوية من المفرزات الخاصة بكل من المشكلة والصفراء .

أما الأمعاء وواحدها مِعىً كإلى فهي (الرَّبَض = الأمعاء أو ما في البطن سوى القلب والرئة) .

في (ل) ٠ — الأمعاء ، أحشاء بطنية تبدأ من لدن المعدة حتى الشرج . وبحسب قطرها جعلت قسمين : الأول) معى دقيق ، بطول ٦ — ٨ أمتار في الإنسان وهي على أجزاء : عفج ، وصائم ، ولفائفي . الثاني) معى غليظ ، بطول ١،٤٠ — ١،٧٠ متراً يلي المعى الدقيق وهو أيضاً على أجزاء : ممرغة أو أعور ، وقولون ، ومستقيم .

وفيما يلي ما يقابل كل هذه المصطلحات العربية ، باللغتين الفرنسية والانكليزية معها أضفته ، زيادةً .

ما أضفته ، على وجه خاص ، في المضغة :

١ً — معى ابتدائي = مُعَيْدة

ف Intestin primitif ; gastrula

ز Primitive gut ; gastrula

أقسام المعيدة :

آ) جوف فوهي

ف Cavité gastruléenne ; archenteron

ز Archenteron ; cœlenteron

ب) سدادة مُحّيِيَّة

ف Bouchon vitellin

ز Ecker's plug

ج) مَنْتِيح الجرثومة ، فم ابتدائي

ف Blastopore ; bouche primitive

ز Blastopore ; protostoma

د — عُقْدة هَنْسِن

ف Nœud de Hensen

ز Hensen's knot

٢َ — معى أمام الفم

ف Intestin préoral

ز Fore - gut ; head - gut

٣َ — معى خَلْفي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ف Intestin postérieur

ز Hind - gut

٤َ — معى متوسط

ف Intestin moyen

ز Midgut

وعلى وجه عام ، أضفت :

١َ) معى دقيق

ف Intestin grêle

ز Small intestine

٢َ) معى غليظ

ف Intestin (gros)

ز Large intestine

٣َ) عفج (= اثنا عشر)

ف Duodénum
ز Duodenum ; dodecadactylon

٤َ) صائم

ف ، ز Jejunum

٥َ) لفائفي

ف Iléon
ز Ileum

٦َ) يمْرَغة = أعْوَر

ف Cœcum
ز Cœcum ; blind - gut ; cecum

٧َ) قُولُون

ف Côlon
ز (Intestinum) colon

٨َ) مستقيم

ف ، ز Rectum

وأقسام القولون :

آ — قولون صاعد

ف Côlon ascendant
ز Ascending colon

ب — قولون نازل

ف Côlon descendant
ز Descending colon

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ج — قولون حَرْقَفي حوضي

ف Côlon ilio - pelvien

ز Sigmoid colon

د — قولون معترض

ف Côlon transverse

ز Transverse colon

٩ً) مِعَوي

ف Intestinal ; entérique

ز Intestinal ; enteric

* * *

٢٢٠) المَعِدة

ف Estomac (m.)

ز Stomach

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأصل . — موضع الطعام للإنسان .

في (ق) . — المعدة ككلمة ، وبالكسر ، موضع الطعام قبل انحداره إلى الأمعاء، وهو لنا ، بمنزلة الكرش للأظلاف . ج مِعَدَة ومِعَد كعنب .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . — المعدة ، قسم من الأنبوب الهضمي وهي جيب واسع منتبر (منتفخ) تحت الحاجز بين المريء والمفج . تجتمع فيه الأطعمة وتتكلل بعد الانهضام . شكلها يحاكي الزمار ذي القِرْبة (*) . يوصف لها وجهان : أمامي ، وخلفي (أي حافتين) . أحد الوجهين في الأيمن والأعلى ويسمى (انحناء صغير) ، والآخر في الأيسر والأسفل ويسمى (انحناء كبير) . الفتحة العليا التي تصل المعدة بالمريء ، هي (سُدْفة المعدة) ؛ والفتحة السفلى التي تصل بالمفج هي (بواب المعدة) . تتألف المعدة من

(*) Cornemuse

أربع طبقات (مصلية ، عضلية ، خلوية ، مخاطية) . الطبقة المخاطية منهن مؤلفة من اثناآت عديدة جداً تحتوي على غُدد تفرز الخميرة (هضمين(*)) ، والمخاطية(**) ، والمصارة المدية .

ففي المعدة تمتزج الأطعمة وتتحرك عدة ساعات حتى تصبح كحريرة مَثْول(***) فتُدفع إلى الأمعـــاء . [العصارة المدية تخثر الحليب ، وتحَلْمِه(****) (= تحلل) الهيوليات] .

أهم ما أضفت :

١ً — انحناء صغير

ف	Petite courbure
ز	Lesser curvature

ARCHIVE

٢ً — انحناء كبير

ف	Grande courbure
ز	Greater curvature

http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ً — بَوّاب (المعدة)

ف	Pylore
ز	Pylorus

٤ً — جسم (المعدة)

ف	Corps
ز	Body

(*) Pepsine

(**) Mucus

(***) Assimilabale

(****) حَلْمَهَة Hydrolyse

٥ – حَدَبَة كبيرة (قعْر)

ف Grosse tubérosité ; fond ; fundus
ز Fundus

٦ – حُدَيْبَة (غار البواب)

ف Petite tubérosité ; antre du pylore
ز Pyloric antrum

٧ – سُدفة

ف Cardia
ز Cardia ; œsophageal orifice

وعن نسج المدة ، أضفت :

٨ – خلايا محيطة ، ظاهرة الشكل

ف Cellules bordantes , délomorphes
ز Border , delomorphous cells

٩ – خلايا رئيسة ، مركزية ، غير ظاهرة الشكل

ف Cellules principales , adélomorphes
ز Principal , adelomorphous cells

وعلى وجه عام ، أضفت :

١) معدة حَجْناء (أشعة)

ف Estomac crochet (rad.)
ز Fish - hook , hook shaped

٢) معدة كالساعة الرملية (أشعة)

ف Estomac biloculaire , en sablier
ز Bilocular , hour - glass stomach

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣) معدة متمدّدة

ف Estomac dilaté
ز Dilated stomach

٤) معدة هابطة

ف Estomac ptosique
ز Ptotic stomach ; dropped stomach

٥) مَعِدي

ف Stomacal ; gastrique
ز Stomacal ; gastric ; gastro -

٦) مَعِدي ثَرْبي

ف Gastro - épiploïque
ز Gastro - epiploic

٧) معدي عفجي

ف ، ز Gastro - duodénal

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨) مَعِدي مِعَوي

ف ، ز Gastro - intestinal

٩) مَعِديّات ، مُهْضِمات ، هاضومات

ف Stomachiques ; stomacaux
ز Stomachics

١٠) تشنج المعدة

ف Gastrospasme
ز Gastropasme : cramp ; spasm in the stomach

١١) تنظير المعدة

ف Gastroscopie
ز Gastroscopy

١٢) منظار المعدة

ف ، ز Gastroscope

١٣) هُبُوط المعدة

ف Gastroptose

ز Castroptosis

★ ★ ★

٢٢١) المثانة

ف Vessie (f.)

ز Urinary bladder

في الأصل . — مجتمع البول .

في (ق) . — موضع الولد ، أو موضع البول . (قلت : ما أعجب هذا ، من تناقض) !

في (ل) ولاروس ذي المجلدين — المثانة كيس غشائي يجتمع فيه البول آتياً عن طريق الحالبين . توجد في القسم الأمامي العلوي من جوف الحوضة وأمام المستقيم في الرجل ، وأمام الرحم في المرأة . شكلها فارغة ، شكل مثلث . من الخلف يتصل بها (الحالبان) (١) ومن الأمام والأسفل تنفتح إلى (الإحليل) (٢) بقسم دقيق هو (العنق) (٣) الذي تحيط به الموثة (٤) (بروستات) في الرجل .

١) Urétère	٢) Urètre
٣) Col	٤) Prostate

ما أضفته :

١ — مثانة مخرومة كالعُمُد

ف Vessie en colonnes ou columnaire

ز Fasciculated, trabeculated bladder

ARCHIVE

٢ً — مثانة مستثارة

ف Vessie irritable
ز Irritable bladder

٣ً — مثاني

ف Cystique , vésical
ز Cystic , vesical

٤ً — التهاب المثانة

ف Cystite
ز Cystitis

٥ً — مَخزَعُ المثانة : مَخْث

ف Cystotomie ; taille ; lithotomie
ز Cystotomy ; lithotomy

٦ً — منظار المثانة

ف ، ز Cystoscope

وعلى وجه عام :

آ) إحليل

ف Urètre
ز Urethra

ب) مَوْثة

ف Prostate
ز Prostate , prostata

ج) مَوْثي

ف Prostatique
ز Prostatic

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

د) التهاب المَوْثة

ف Prostatite

ز Prostatitis

هـ) خَرْت المَوْثة

ف Forage

ز « Forage » of prostata

★ ★ ★

٢٢٢) المطا

ف Dos (m.)

ز Back; dorsum

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأصل · — المطا ، الظهر .

في (ق) · — مطا : جدَّ في السير وأسرع وأَكَلَ الرُّطَب من الكِياسة . وتمطى النهار وغيره امتد وطال . والمطى : التَّمَطِّي والظهر ج أمطاء .... والظَّهر خلاف البطن .

في معجم متن اللغة · — مطا مَطْواً .... وأكل الرُّطب من المَطْو وهي الكِياسة (*) . والمطا ، الظهر أو حبل المتن من عصب أو عقب أو لحم ج أمطاء .

في (ل) · — الظهر ، في الفقريات : الجزء الخلفي في الجسم من لدن الكتفين حتى الحوضة .

(*) قلت : الكِياسة بالكسر هي الوِقْنُ .

ما أضفته :

١ً — ظهر السَّرج التُّركي

ف Dos de la selle turcique
ز Dorsum sellæ

٢ً — ظهر مدوَّر

ف Dos rond
ز Round back

٣ً — ظَهْري

ف Dorsal
ز Dorsal ; posterium

٤ً — سُهام ظهري تشنجي

ف Tabès dorsal spasmodique
ز Spasmodic tabes

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

★ ★ ★

٢٢٣) الصُّلْب

ف Colonne vertébrale
ز Vertebral column

في الأصل . — الصلب ، هو عَظْمٌ في وسط الظهر وهي ٢٤ فقرة .

في (ق) . — الصلب بالضم وبالتحريك عظمٌ من لدن الكاهل إلى العجب كالصالب . ج أصْلُب وأصلاب وصِلَبَة .

قلت : هذا التعريف ينطبق على (العمود الفِقَري) فوضعت ما يقابله بالافرنجيتين (في الرقم ٢٢٣ هذا) .

في (ل) ٠ — العمود الفقاري ، ساق عظمية تمتد من لدن قاعدة الجمجمة حتى مبدأ الفخذين في الحيوانات الفقرية . أما في الإنسان فيتألف العمود الفقري من تراكب ٣٣ فقرة وهو ذو أربع انحناآت (٧ فقرات عنقية (١) ـ ١٢ فقرة ظهرية (٢) ـ ٥ فقرات قَطَنية (٣) ـ فالعَجُز (٤) ـ فالعُصْعُص (٥) .

١) Vert. cervricales ٢) Vert. dorsales
٣) Vert. lombaires ٤) Sacrum
٥) Coccyx

هـذا وبالفرنسية يرادف العمود الفقاري كلمة Rachis أي السيساء . وكلمة Échine الشوك الظهري . و Épine dorsale المتّسنة . وفيما يلي (في الرقم ٢٢٤ — الفقرة) ذكر بعض أقسام الفقرة وما يقابلها .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(يتبع) الدكتور صلاح الدين الكواكبي

صفحات من تاريخ الاستشراق

-٦-

(وبليام موير) :

كان السير (وبليام موير William Muir) [١٨١٩ — ١٩٠٥] من كبار الموظفين الإنكليز في الهند . وقد نشر اعتباراً من سنة ١٨٥٣ سلسلة من المقالات في (مجلة كلكوتا Calcutta Review) ، جمعها آخر الأمر في كتاب ضخم من أربع مجلدات بعنوان (حياة محمد) (١) .

والكتاب في فصوله المتعلقة بالحوادث التاريخية لا يتضمن شيئاً جديداً ، ولذلك كان من الأفضل اختصاره . وأكثر المعلومات في المجلد الأول الذي يبحث في تاريخ العرب قبل الإسلام مقتبس من كتاب (دو برسفال) .

إلا أن هناك بعض الفصول على جانب كبير من الأهمية مثل : الفصل الأول من المقدمة الذي يبحث في مصادر السيرة ودرجاتها المختلفة من الصحة ثم الفصل الثالث من السيرة الذي يتكلم فيه على « إيمان محمد بإلهامه » ثم الفصل السابع عن علاقة الإسلام بالمسيحية ، والفصل السابع والثلاثين عن « شخصية الرسول وأخلاقه » . .

---

(١) William Muir, Life of Mahomet , London 1858 — 1861.

إن طريقة العرض واضحة ، رزينة ، ولكنها تنم عن تعصب ديـني متطرف ، يبعد المؤلف عن الروح العلمية والنظرة الموضوعيـة في كثير من أحكامه ...

(شبرنجر) :

كذلك نلاحظ سعة الإطلاع وقوة النقد مع التحيز والتهجم في كتاب المستشرق النمساوي (ألويس شبرنجر Alois Sprenger) [١٨١٣ — ١٨٩٣] عن « حياة محمد وتعاليمه » (١) .

كان (شبرنجر) طبيباً ، رحل إلى لندن ودخل في خدمة الإنكليز الذين أرسلوه إلى الهند وعهدوا إليه بادارة مدرسة (دلهي) ومطبعة (كلكوتا) .

ثم انتقل إلى ألمانيا ، وتولى تدريس العربية في برلين ، وانقطع بعد ذلك إلى التأليف .

يبدأ (شبرنجر) دراسته باستعراض النظريات المختلفة التي أبداها قبله المستشرقون في شخصية الرسول (ﷺ) . وهو يقول : « إن الباحثين في ألمانيا قد جردوا كلمة (نبي) من كل معنى ودلالة ، ثم ادعوا أن محمداً كان نبياً . » وقد اعتقد (موير) أن الرسول كان آلة في يد الشيطان بينما رأى فيه (قارلايل) شخصية خارقة للعادة وبطلاً فذاً . أما نتائج دراسات (شبرنجر) فقد أدت به إلى اليقين بأن الإسلام لم ينبثق عن إرادة رجل بل عن حاجات العصر . وإذا كان (قارلايل) قد تطوع ليقول كل شيء حسن عن الرسول فإن (شبرنجر) يريد اتباع الطريق المعاكس . إنه تطوع

(١) Alois Sprenger, Das Leben und die Lehre des Mohammed, Berlin 1861.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

للقيام بدور (محامي الشيطان) الذي يستنبط من مدائح أنصار الرسول الجوانب التي يراها مظلمة في شخصية الرسول ؛ كما أنه يلفت الأنظار في كل مناسبة إلى النقاط التي يعتقد أنها دليل على الضعف البشري .

ويجب الاعتراف بأن (شبرنجر) أتقن التمثيل في دور (محامي الشيطان) . وليس المسلمون وحدهم ، بل إن أكثر المستشرقين أيضاً لم يقبلوا حكم (شبرنجر) الذي أراد أن ينسب إلى الرسول (ﷺ) مرض الهستريا . وقد لاحظ المستشرق الهولاندي المشهور (سنوك هور غرونيه) أنه ليس هناك أي دليل أو شاهد يؤيد هذا التشخيص . وعدا ذلك فإن (شبرنجر) لايقدم لنا سوى كلة مجردة ولا يفسر لنا شيئاً من شخصية الرسول وسر عظمته .

ولكن على الرغم من رفض الفكرة الأساسية في كتاب (شبرنجر) ورغم الإسهاب في مناقشة الموضوعات وكثرة الاستطرادات ، فإن المستشرقين عامة يعتبرونه من أهم الدراسات عن حياة الرسول لأنه اتخذ القرآن مصدراً أساسياً لهذه الدراسة ، واستشهد بما يقارب الثلثين من سور القرآن التي تولى (شبرنجر) ترجمتها بنفسه . يقول (ولهاوزن) « إن كتاب (شبرنجر) كنز ثمين من المعلومات والأفكار .. فإن المؤلف لم ينظر إلى الآداب العربية على أنها مجموعة من الشواهد لتوضيح قواعد النحو بل اهتم بمحتواها ، وما تضمنته من أفكار وتيارات ..... » . ولا شك في أن (شبرنجر) قد تقدم خطوات هامة في دراسة المصادر عن حياة الرسول ، واستطاع أن يبرهن على أن الكتب العربية التي ألفت بعد القرن الخامس الهجري لا يمكن الاعتماد عليها لأنها منسوخة بصورة غير انتقادية عن المؤلفين السابقين الذين يجب الرجوع إليهم والأخذ عنهم مباشرة ...

(نولدكة) :

أما المستشرق الألماني (تيودور نولدكه Theodor Nœldeke) [١٨٣٦ — ١٩٣٠] فالآراء متفقة على أنه من أكبر المستشرقين وأوسعهم علماً ، وأكثرهم تحقيقاً ، وأقربهم إلى الإنصاف والعدل والحقيقة . وهو على الرغم من ميله الطبيعي إلى الآداب اليونانية قد دفعته الأقدار إلى الاستشراق ، كما أن جهوده في الدراسات الشرقية قد تمركزت حول المسائل اللغوية ، رغم أن اهتمامه كان متجهاً في الأصل إلى الناحية التاريخية .

وعلى كل حال فإن كتابه « تاريخ القرآن » ، قد أصبح دعامة لا يستغني عنها كل من يريد دراسة الإسلام وشخصية الرسول . وهو قد استند إلى هذه الدراسة في تأليف كتاب مختصر عن « حياة محمد » موجه إلى جمهور كبير . وهو يشير في المقدمة إلى أن الدراسات التاريخية — الانتقادية التي بدأها أمثال (وايل) و (موير) و (شبرنجر) لم تبلغ مداها بعد . إلا أنه كانت هناك ، كما يقول ، حاجة إلى نظرة إجمالية تلخص نتائج البحوث العلمية الحديثة . ويصرح (نولدكه) بأنه قد استفاد من دراسات المستشرقين المتأخرين الذين مر ذكرهم ، ولكنه اعتمد أيضاً على بحوثه الذاتية . وهو يخالف (شبرنجر) في أحكامه وينتقد اندفاعه وطريقته الشخصية ؛ وفي الحقيقة يمتاز كتاب (نولدكه) بالنظرة الموضوعية . وقد اعتقد المؤلف أنه ، لأجل إصدار حكم عادل على محمد (ﷺ) ، لا يكفي أن نستعرض حياته كنبي وواعظ وحاكم ، بل ينبغي أن ننظر أيضاً إلى سلوكه مع أتباعه وأصدقائه وفي شؤونه اليومية . فإن صفاته التي نعرفها بالتأكيد تكشف عن سمو الخلق وكرم النفس . أما أخطاؤه فإنها ترجع ، في رأي (نولدكه) ،

إلى عادات عصره وطبائع شعبه . وينتهي (نولدكه) إلى القول « بأن ليس هناك أدنى شك في أن محمداً كان مؤمناً برسالته التي تتلخص في هداية قومه إلى العقيدة الصحيحة ، وإنقاذهم من العقاب الأبدي ...

نظرية (جريمي) في رسالة محمد ﷺ :

مضت فترة طويلة بعد مؤلفات (وايل) و (موير) و (شبرنجر) و (نولدكه) قبل أن يظهر كتاب جديد عن الرسول ، له قيمة خاصة ، يتصف بالاستقلال في الرأي ويكشف عن نواح غير معروفة ، ونقصد بذلك كتاب « محمد » [1] للمستشرق الألماني (هوبرت جريمي Hubert Grimme) الذي يتضمن المجلد الأول منه حياة الرسول ، والمجلد الثاني المدخل إلى القرآن .

إن المصادر التي يستند إليها (جريمي) قد سبق نشرها جميعاً ، ولكنه يتبع طريقة جديدة في استخدامها تختلف عن المؤلفين الذين سبقوه . فهو ، قبل كل شيء ، يلتزم الحذر الشديد تجاه روايات رجال الحديث والسيرة ، ويقول : « رغم الاعتراف بأن مجموعات الحديث القديمة تشتمل على كثير من الأخبار الصحيحة إلا أنه من المؤكد أيضاً أن التزوير المقصود قد شاع في هذا الموضوع أكثر من غيره ، ولم يتوصل الباحثون بعد إلى وسيلة مضمونة للتمييز بين الصحيح والمزيف . ثم إن مجموعات الحديث تعبر ، في نظر (جريمي) ، عن الروح التي كانت سائدة في المدينة ، ولكنها لا تعطينا صورة دقيقة عن الحالة في مكة . إنما لدينا ، لحسن الحظ ، مصدر غني تتدفق منه الحقائق التاريخية هو القرآن . وقد سعى (جريمي) إلى الاستفادة من هذا النبع إلى أقصى حد ممكن . والصعوبة الكبيرة هنا إنما ترجع

(١) Hubert Grimme : Mohammed . Muenster 1892 — 1895.

إلى الاختلاف في تحديد الوقت الذي نزلت فيه بعض الآيات . لذلك حاول (جريمي) أن يعالج هذا الموضوع في الجزء الثاني من كتابه .

على أن الطرافة في كتاب (جريمي) هي دعواه بأن محمداً (ﷺ) لم يكن ، في بادئ الأمر ، يبشر بدين جديد ، بل إنما كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية . يقول (جريمي) : « إن الإسلام ، في صورته الأولى الأصلية ، لم يكن بحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه . ذلك لأننا ، إذا نظرنا إليه عن كثب ، نراه لم يظهر إلى الوجود كعقيدة دينية ، بل إنما كمحاولة للإصلاح الاجتماعي تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة ، وعلى الأخص إلى إزالة الفروق الصارخة بين الأغنياء الجشعين والفقراء المضطهدين .... لذلك نراه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين . وهو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المنوي وتأييد دعوته ... » .

ويعترف (جريمي) بأن فكرة الإصلاح الاجتماعي — الاشتراكي قد اصطدمت بعقبات لا يمكن اجتيازها ، وتحطمت على صخرة العصبية القبلية والمصالح الطبقية ، وتطورت الدعوة الإسلامية فانقلبت إلى ديانة ذات أهداف ما وراء الطبيعة .

وقد رد المستشرق الهولاندي (سنوك هورجرونيه) على هذه النظرية في بحث طويل نشره في « مجلة تاريخ الأديان » (المجلد ٣٠ لسنة ١٨٩٤) ، وبيّن أن الفكرة الأساسية في الدعوة المحمدية هي فكرة يوم الحساب . أمّا الحض على الإحسان ومساعدة المحتاجين فتلك فضيلة شائعة في الشرق ، ويتفق فيها الإسلام مع اليهودية والمسيحية ، ولا يجوز أن نبني عليها فرضية كالتي وضعها (جريمي) والتي تجعل من الرسول داعية اشتراكياً ...

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

موقف الاستشراق من سيرة الرسول في العصر الحاضر :

تابع المستشرقون في أوائل القرن العشرين نشر المصادر العربية عن تاريخ العرب والإسلام ، وتوسعوا في دراسة هذه المصادر ونقدها . فقد تم في سنة ١٨٩٨ طبع تاريخ الطبري في (١٣) مجلداً ، وهو يجمع معظم الروايات القديمة عن حياة الرسول . وكان من أهم المصادر القديمة التي نشرت أيضاً كتاب « الطبقات الكبير » لابن سعد . وقد عهد المجمع العلمي في (بروسيا) بتحقيق الكتاب إلى لجنة من كبار المستشرقين تحت إشراف الأستاذ (أدوار ساخاو Eduard Sachau) فصدر في (١٥) مجلداً في (ليدن) بين سنة ١٩٠٤ و ١٩٢٨ . والمجلد الأول يروي سيرة الرسول في مكة ، والمجلد الثاني أخباره في المدينة ، والمجلد الثالث يصف غزواته ، بينما تشتمل المجلدات الأخرى تراجم أحوال الصحابة والتابعين .

وقد نشر المستشرق الطلياني الأمير (ليون قايتاني Leone Caetani) بين سنة ١٩٠٥ وسنة ١٩٢٦ عشر مجلدات من مؤلفه الضخم (حوليات الإسلام Annali dell' Islam) الذي جمع فيه كل الأخبار والروايات عن الحوادث التاريخية منذ الهجرة مرتبة حسب الزمن سنة بعد أخرى ، وقد اشتملت المجلدات العشر على حوادث الفترة من السنة الأولى إلى السنة الأربعين للهجرة . وتولى (قايتاني) مناقشة كل الروايات ونقدها والتعليق عليها ...

ولكن على الرغم من كثرة المصادر وتراكم الوثائق لا يمكن القول بأنه قد ظهرت مؤلفات جديدة للمستشرقين ترسم شخصية الرسول (ﷺ) بصورة واضحة ، وتكشف عن سر عظمته وحقيقة تعاليمه وأهميتها في تاريخ البشرية . وقد ازداد الموضوع تشعباً واتسع نطاقه بعد أن صار المستشرقون لا يكتفون بالبحث في سيرة الرسول كما كانت في الواقع ، بل يحاولون أيضاً

معرفة الصورة التي تكونت عنه لدى المسلمين ، وكيف تطورت هذه الصورة مع تعاقب العصور . ولعل وفرة المواد هي التي أدت إلى تشتت الدراسات ، وتوقف الباحثين عند بعض المسائل الجزئية . أضف إلى ذلك أن بعض الباحثين في هذا العصر لم يستطيعوا التجرد عن التعصب الديني ، فأخذوا يثيرون الشكوك ويشوهون الحقائق .

يتجلى لنا ذلك في كتاب المستشرق الانكليزي (مارجليوث D. S. Margoliouth) عن « محمد وقيام الإسلام »(١) . وقد استفاد المؤلف من عدة مصادر جديدة لم يستخدمها الذين سبقوه ، وأظهر مهارة في الوصف ، ولكنه اندفع مع أهوائه ! ونسب إلى الرسول (ﷺ) الخداع والتضليل . كذلك نلاحظ تأثير التعصب الديني عند الأمير (قايتاني) الذي يبالغ في نقد الروايات الإسلامية ، ويتحامل في حكمه على الرسول في كتابه « دراسات عن التاريخ الشرقي Studi di storia orientale » الذي خصص المجلد الثالث منه لترجمة « حياة محمد الرسول ورجل الدولة » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليس غريباً أن يلجأ مبشر يسوعي مثل الأب (هنري لامنس) إلى تحريف النصوص وتشويهها والتلاعب بالعبارات للطعن في العرب والمسلمين ، فهو لم يقصد الكشف عن الحقيقة بل الدس والتضليل والتشنيع في جميع مؤلفاته التي يحوم بعضها حول سيرة الرسول ، مثل مقاله عن (عمر محمد) في المجلة الآسيوية سنة ١٩١١ حيث يرجع تاريخ ولادة الرسول إلى سنة ٥٨٠ خلافاً لجميع الآراء التي تتفق على أن ذلك كان حوالي سنة (٥٧٠) ؛ ومثل كتابه « فاطمة وبنات الرسول »(٢) الذي حاول فيه أن يرسم صورة مشوهة عن فاطمة الزهراء دون أي مستند تاريخي موثوق ؛ ثم كتبه الأخرى عن (مكة) و (الطائف) و (مهد الإسلام) وغيرها .

(١) D. S. Margoliouth, Mohammed and the Rise of Islam. London 1905

(٢) Henri Lammens : Fatima et les Filles de Mahomet. Rome 1912

وأكثر المستشرقين ، رغم إعجابهم بكثرة معلومات (لامنس) وسعة اطلاعه وطلاوة أسلوبه لم يستطيعوا إلا انتقاده وفضح مغالطاته ، والتحذير من الاعتماد عليه .

يتدح جمهور المستشرقين كتاب « حياة محمد » [١] للمستشرق الدانماركي (فرانتس بول Frants Buhl) الذي صدر في (قوبنهاجن) سنة ١٩٠٣ ثم ترجم إلى الألمانية في سنة ١٩٣٠ بعد تنقيحه وتوسيعه بالاتفاق بين المؤلف والمترجم المستشرق المعروف (شيدر H. H. Schaeder) والكتاب يتحاشى الفرضيات البراقة ، ويمتاز بالدقة في دراسة كل التفصيلات ، ويقتصر على الأخبار الموثوقة ، ويعترف بوجود ثغرات في معلوماتنا . وقد رجع المؤلف إلى جميع المصادر المعروفة ، فدرسها دراسة انتقادية ، مستقلة ، وأضاف إليها قصائد الشعراء المعاصرين للرسول التي أهملها الكتّاب الذين سبقوه .

ومع الاعتراف بأن المؤلف قد حاول التزام الحياد والتمسك بالنظرة الموضوعية المجردة ، فإنه لم يتحرر من الأحكام السابقة المعادية بالنسبة إلى شخصية الرسول وصفاته الأخلاقية .

ولعل المؤلف الوحيد بين الباحثين الحديثين الذي بذل جهوداً صادقة لفهم شخصية محمد (ﷺ) وإدراك حقيقة رسالته هو المستشرق السويدي (تور آندريه Tor Andrae) .

نشر (تور آندريه) في سنة ١٩١٨ كتابه عن « شخصية محمد في تعاليم جماعته وعقيدتهم » [٢] الذي استطاع أن يصف لنا فيه شخصية الرسول

(٢) Frants Buhl, Das Leben Muhammeds. Leipzig 1930

(٢) Tor Andrae, Die Person Muhammeds in Lehre und Glauben seiner Gemeinde. Stockholm 1918

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما تصورها المسلمون في مختلف العصور ، وأن يستعرض ما نشأ لديهم من أساطير حوله ، وأن يشرح آراء المتكلمين والمتصوفين في معجزات الرسول وعصمته وتمجيده .

ثم أصدر (تور آندريه) في سنة ١٩٣٠ كتاباً ثانياً عن « محمد : حياته وعقيدته » تُرجم إلى الألمانية والانكليزية والطليانية والفرنسية . وهذا الكتاب صغير الحجم لا يتجاوز (١٥٠) صفحة ولكنه يمتاز بالطرافة والاستقلال في الرأي والرزانة في الأسلوب ، والمؤلف لا يريد التوسع في ذكر الحوادث المعروفة ، ومناقشة الروايات المختلفة ، كما اعتاد غيره من المستشرقين ، ولكنه يسعى إلى إيضاح مفهوم الوحي عند الرسول وشرح مضمون الرسالة التي كان يبشر بها ، والبرهان على صدق عقيدته ، ووصف ما كان يتحلى به من مكارم الأخلاق كالإخلاص والتواضع والبساطة والوداعة والتقى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومثال (تور آندريه) يثبت لنا أن إخلاص المسيحي لعقيدته الدينية ، لا يمنعه من أن يحاول النفوذ إلى روح ديانة أخرى ، وأن يقوم بالمقارنة بين مختلف العقائد في سبيل إدراك جوهر الفكرة الدينية .

وأخيراً نستطيع القول بأن أكثرية المستشرقين لم يتوصلوا إلى تكوين فكرة صحيحة عن محمد (ﷺ) بسبب تعصبهم الديني . أما القلائل الذين تحرروا من هذه النزعة فيرجع فشلهم في فهم شخصية الرسول إلى مبالغتهم في النظرة التاريخية . فقد انصرفت جهود الباحثين منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى هذه الأيام إلى الكشف عن المنابع والأصول التي اقتبست منها الديانة الإسلامية . ألم يبلغ الأمر ببعض المستشرقين إلى محاولة إرجاع كل شيء في القرآن ـ سواء أكان فكرة دينية أو حكمة أخلاقية أو نصاً قانونيـــاً ،

أو قصة أدبية — إلى نموذج قديم في كتب اليهود أو المسيحيين أو الفرس أو في تقاليد العرب الجاهليين ؟ وقد عارض (تور آندريه) هذه الطريقة في البحث ، وأشار إلى أن جوهر النبوة لا يمكن تحليله إلى مجموعة من آلاف العناصر الجزئية . ومهمة الباحث ، في رأيه ، هي أن يدرك كيف تتألف من العناصر والمؤثرات المختلفة وحدة جديدة ، أصيلة تنبض بالحياة . فالإسلام لا ينكر صلاته بالديانة اليهودية والمسيحية وعقائد الحنيفية ، وتقاليد العرب القدماء ، ولكن ذلك لا يعني أنه مجرد مجموعة من هذه العناصر ...

الدكتور محمد كامل عياد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الثاني)

— ٥ —

٣٨ — وجاء في الصفحة ٣٩٣ «محمد بن الحسن بن عبد الله بن الشبلي أبو علي الشاعر الحكيم البغدادي». صوابه «ابن الشبل» لا ابن الشبلي»، بذلك اشتهر وفي الكتب ذُكر، فمن الكتب التي ذكرته المتداولة المطبوعة معجم الأدباء لياقوت وقد سماه الحسين قال: «الحسين بن عبد الله بن يوسف ابن أحمد بن شبل أبو علي البغدادي، ولد في بغداد وبها نشأ وبها توفي سنة ٤٧٤ كان متميزاً بالحكمة والفلسفة ....[١]». وتاريخ أبي الفرج ابن الجوزي الكبير قال في وفيات سنة ٤٧٤: «محمد بن الحسين بن عبد الله ابن أحمد بن يوسف ابن الشبل أبو علي، من أهل شارع دار الرقيق، سمع الحديث[٢] ...». وعز الدين بن الأثير في تاريخه الكامل في وفيات سنة ٤٧٣ قال: «وفيها توفي أبو على بن شبل الشاعر المشهور ومن شعره في الزهد ...» وذكر له أبياتاً. وعيون الأنباء في طبقات الأطباء، قال مؤلفه: «ابن الشبل البغدادي هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن يوسف، مولده ومنشؤه ببغداد وكان حكيماً فيلسوفاً ومتكلماً فاضلاً..[٣]». ودمية

(١) معجم الأدباء «٤ : ٣٨» طبعة مرغوليوث.
(٢) المنتظم «٨ : ٣٢٨».
(٣) ج ١ ص ٢٤٧ طبعة مصر «أمرىء القيس بن الطحان».

القصر وعصرة أهل العصر قال الباخرزي مؤلفها : « أبو علي بن شبل البغدادي ، رأيته ببغداد فوجدته وقد شدّ على الأدب الجزل أزرار ثيابه وجمع أقسام الفضل ملء إهابه ... (١) » . والنجوم الزاهرة ، قال ابن تغري بردي في وفيات سنة ٤٧٣ ، « وفيها توفي محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف ابن الشبلي (كذا) أبو علي الشاعر البغدادي ، كان شاعراً مجيداً (٢) ... » . وقد وقع فيه الوهم الذي وقع في فوات الوفيات ، وذكره قبله الصفدي في تاريخه للرجال قال : « محمد بن الحسين ابن عبد الله بن أحمد بن يوسف ابن الشبل أبو علي الشاعر الحكيم البغدادي ، توفي في المحرم سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة (٣) ... » .

٣٩ — وجاء في الصفحة ٤٠٠ في ترجمة أبي اليمن محمد بن الخضر بن أبي المهزول التنوخي المعروف بالسابق « دخل بغداد وجالس ابن باقيا والأبيوردي والخطيب التبريزي » ، وصوابه « ابن ناقيا » بالنون ، وقد مرّ الشيخ بضبطه إلا أنه لم يضبطه بالحفظ ، قال ابن خلكان في ترجمته : « وناقيا بفتح النون وبعد الألف قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها ألف (٤) » .

٤٠ — وورد في الصفحة ٤٠٢ « محمد بن خليفة بن حسين أبو عبد الله النميري العراقي الشاعر المعروف بالسنبسي ، أصله من هيت ، أقام بالحلة عند سيف الدولة صدقة بن مزيد ... » . قلت : الذي علمناه وحفظناه « السِّنْبِسيّ » على وزن « الزِّبْرِجيّ » . قال الصفدي : « محمد بن خليفة ابن حسين أبو عبد الله النُّميريّ العراقي الشاعر المعروف بالسِّنبِسيّ (اسم

(١) دمية القصر « ص ٨٣ طبعة المطبعة العلمية بحلب » .
(٢) النجوم الزاهرة « ٥ : ١١١ » .
(٣) الوافي بالوفيات « ٣ : ١١ » .
(٤) وفيات الأعيان « ١ : ٢٨٨ طبعة إيران » قلت ذلك لأنه أعاد طبع الوفيات قبل فوات الوفيات وأحال عليه في الحواشي مرّات .

أمه سنبسة) أصله من هيت أقام بالحلّة (١) عند سيف الدولة ... » . وهو شاعر مشهور ، ترجم له العماد الاصفهاني الكاتب في الخريدة وابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب في الملقبين بالقائد (٢) ، واستطرد إلى ذكره ابن الأثير في تاريخه الكامل وياقوت في معجم البلدان غير مرّة . وترجم له القفطي في كتابه « المحمدون » من الشعراء .

كانت دموعي حُمراً قبل بينهم   فذ نأوا قصرتها لوعة الحرق

و « حمراً » جمع أحمر هنا وهي منصوبة بكونها خبر كانت ، ولكن الشيخ الفاضل ضبطها « حَمرا » بالفتح والقصر ، والصواب ما ذكرنا لأنه القاعدة العربيّة المطردة ، قال تعالى في سورة طه : « يوم يُنفخ في الصُّور ونحشر المجرمين يومئذ زُرقاً » . فهذا للعاقل ، وقال تعالى في سورة الكهف : « ويلبسون ثياباً خُضراً من سُندس وإستبرق » . وهذا لغير العاقل كالدموع .

٤٢ — وجاء في الصفحة ٤٤٤ « محمد بن عبد الرحمن بن عمر الباجريقي الجزري » وجاء في الحاشية من تعليق الشيخ « الباجريقي » نقلاً من الشذرات « ٦ : ٦٤ » كما قال الشيخ الفاضل في تعليقة (٣) ، وفي الصفحة ٤٤٥ « فطلب الباجريقي » . والذي علمناه وحققناه « الباجُربَقي » بالباء بعد الراء نسبة إلى « باجُربَق » (٤) ، قال الصفدي : « محمد بن عبد الرحيم بن عُمر الباجُربَقي الجزري الشيخ الزاهد محمد ابن المفتي الكبير جمال الدين الشافعي (٥) ... » .

(١) كذا ورد في الوافي بالوفيات « ٣ : ٤٨ » طبعة س . ديدرينغ المستعرق والصواب « الحلة » كما في فوات الوفيات .

(٢) تلخيص مجمع الآداب « ج ٤ القسم ٢ ص ٥٦٥ نشر وزارة الثقافة والإرشاد السورية بتحقيقي » .

(٣) الذي في الشذرات « الباجربقي » لا الباجريقي .

(٤) قال ياقوت : « باجُربق بضم الجيم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وقاف : قرية من قرى بين النهرين : كورة بين البقعاء ونصيبين » .

(٥) الوافي بالوفيات « ٣ : ٢٤٩ » .

وقال ابن حجر العسقلاني : « محمد بن عبد الرحيم بن عمير الجزري جمال الدين (١) الباجُربقي ... » (٢) .

٤٣ — وجاء في الصفحة ٤٤٦ « محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني العدل شمس الدين المحدث » . والذي علمناه وحفظناه « ابن عبد الرازق » بتقديم الألف على الراء ، قال الذهبي في وفيات سنة (٦٩٠) من العبر : « وابن المحدث ، العدلُ شمس الدين محمد بن عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي نزيل دمشق ... (٣) » . وقد وهم الصفدي قبل ابن شاكر الكتبي وذكره باسم « عبد الرزاق » قال : « محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر العدل العالم شمس الدين الرسعني (٤) » . وليس ذلك من الغلط الطبعي لأنه ذكره بين « محمد بن عبد الرزاق الساوي » و « محمد بن عبد الرشيد الاصبهاني » . فابن شاكر الكتبي نقل ترجمة الرجل من الوافي واحتمل عهدة الغلط ، ووقع في الغلط نفسه ابن العماد في وفيات سنة ٦٨٩ قال : « وفيها شمس الدين أبو الفضائل محمد بن عبد الرزاق الرسعني — نسبة إلى رأس عين بلد — الحنبلي (٥) ... » . وكذلك ورد في ذيل طبقات الحنابلة المطبوع باعتناء الشيخ محمد حامد الفقي فقد جاء فيه « محمد بن عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني وقد سبق ذكر أبيه (٦) ... » . ووقع الغلط في اسم أبيه هناك أيضاً (٧) .

(١) في نسخة « كمال الدين » .
(٢) الدرر الكامنة « ٣ : ١٢ » .
(٣) العبر في خبر من غبَر « ٥ : ٣٦٤ » .
(٤) الوافي بالوفيات « ٣ : ٢٥١ » .
(٥) الشذرات « ٥ : ٤١٠ » .
(٦) ذيل طبقات الحنابلة « ٢ : ٣٢٤ طبعة مطبعة السنة المحمدية » .
(٧) المرجع المذكور « ص ٢٧٤ » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤٤ — وورد في الصفحة ٥٧: في ترجمة تاج الدين ابن شقير الدمشقي «وكان تاج الدين يلقب بالهُدهد، فأعطاه الملك الناصر ضيعة على نهر نورا، فحسده جماعة ...». ولم يُسائل الشيخ نفسه أين نهر نورا هـــذا؟ فالصواب «نهر ثورا» قال ياقوت بالفتح والقصر اسم نهر عظيم بدمشق وقد وُصف في بردى وقد جاء في شعر بعضهم (ثورة) بالهاء وهو ضرورة».

٤٥ . وورد في الصفحة ٥٨: «محمد بن عبد المنعم بن محمد بن شهاب الدين الخيمي الأنصاري اليمني الأصل المصري الدار». فعلّق الشيخ محقق الكتاب في الحاشية باسمه ما نصه «له ترجمة في شذرات الذهب لابن العماد وقال: «ابن الخيمي شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد، فلعل كلة بن الواقعة بين محمد وشهاب الدين زائدة في أصول الكتاب». قلت: إنه لم يرجع إلى المرجع الأصلي لابن شاكر الكتبي وهو الوافي بالوفيات فقد جاء فيه «محمد بن عبد المنعم بن محمد شهاب الدين ابن الخيمي الأنصاري الأصل المصري الدار[1] ...». فابن المذكورة زائدة بالتحقيق.

٤٦ — وجاء في ترجمة أبي سعد محمد بن علي ابن المطلب الكرماني الكاتب الشاعر «وكان كاتباً سديداً مليح الشعر إلا أنه كان قليله كثير الهجاء دقيق الفكر فيه ...». والجملة مطردة التركيب واضحة المعنى إلا أن مقابلتها بالأصول التاريخية الأدبية تظهر تصحيفاً فيها، ففي الوافي بالوفيات ٤: ١٥٠ «وكان كاتباً سديداً مليح الشعر إلا أنه كان ثُلَبَةً كثير الهجاء دقيق الفكر فيه». ومن المعلوم أن القول المقبول للصفدي لأن كتابه مرجع ابن شاكر الكتبي ولولا وجود الوافي بالوفيات ما استطاع ابن شاكر أن يؤلف فوات الوفيات. ويؤيّد كلة «ثلبة» ما ورد في معناها ومن

(١) الوافي بالوفيات «٤: ٥٠».

أصلها في كتب أخرى ، قال العماد الأصفهاني الكاتب : «وكان هجّاماً على الهجاء وثلب الكبراء» [١] .

٤٧ — وورد في الصفحة ٤٧٧ قول أبي سعد ابن المطلب المذكور :

فهـــذا يدل على أنّ مَن   تولّى ويعزل لا بعقـــل

وفي الخريدة المذكورة «يُولّي ويعزل» وهو الصواب .

٤٨ — وجاء في الصفحة ٤٨٢ قول الشيخ محيي الدين ابن عربيّ :

حتى إذا صاح الغراب ببينهم   فضح الفراق صبابة المحزون (؟)

وقد وضع الشيخ علامة الاستفهام في آخر البيت ، ولو علّق عليه أن فيه إقواء لكان ذلك أحسن فالقافية مضمومة .

٤٩ — وجاء في الصفحة ٥٠٢ في ترجمة صدر الدين محمد بن عمر ابن المرحل ، ابن الوكيل «وعمل مجلداً في السؤال الذي حضر من عند استدمر نائب طرابلس» . هكذا ورد «استدمر» بالتاء والذي علمناه وحققناه «أسندمر» بالنون . قال ابن تغري بردي في حوادث سنة ٦٩٤ : «ثم في يوم الخميس سابع عشر المحرم أمسك السلطان الأمير أسَنْدَمُر وقيَّده وحبسه بالقلعة [٢]» . فقال محقق الكتاب في الحاشية : «هو أسندمر بن عبد الله الكُرْجي سيف الدين ، توفي سنة ٧٢١ كما في الدرر الكامنة وفي هامشها والمنهل الصافي أنه توفي سنة ٧١١» ، وكرّرُوا أكثر هذه الحاشية عند تكرار اسمه في حوادث سنة ٦٩٨ وفي ذكره ما يدل على أنه كان إذ ذاك

(١) خريدة القصر «قسم العراق ١ : ١٨٣ نشر المجمع العلمي العراقي بتحقيق الأستاذ الأديب الشهير محمد بهجة الأثري» .

(٢) النجوم الزاهرة «٨ : ٦٢» .

نائب طرابلس (١) ثم كرَّر اسمه مرات في الكتاب ، وفي الذي ذكرناه مجزأة عن الإطالة .

٥٠ — وورد في الصفحة ٣١ : في ترجمة محمد الأمين « ثمَّ جهَّز عبد الرحمن بن جبلة الأنباري في أربعين ألف فارس » . والذي علمناه وحفظناه « الأبناوي » بتقديم الباء على النون نسبة إلى أبناء فارس الذين وُلدُوا في البلاد العربيَّة في الجاهلية أو الإسلام ، قال تاج الإسلام في « الأبناء » من الأنساب : « يقال في التعريف : فلان من الأبناء والنسبة إليه أبناويّ وكل من ولد باليمن من أبناء الفرس وليس من العرب يسمونه الأبناوي ، هكذا ذكره أبو حاتم بن حبان البستي ، وقال أبو علي النساني : الأبناوي منسوب إلى الأبناء وهم قوم يكونون باليمن من ولد الفرس وجههم كسرى مع سيف بن ذي يزن إلى ملك الحبشة باليمن فقتلوا الحبشة وأقامُوا باليمن ، فلولدهم يقال الأبناء » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال ابن خلكان في ترجمة وهب بن منبه اليماني : « وهو معدود في جملة الأبناء ، ومعنى قولهم : فلان من الأبناء أن أبا مرَّة سيف بن ذي يزن الحميري صاحب اليمن لما استولت الحبشة على ملكه توجه إلى كسرى أنو شروان ملك الفرس يستنجده عليهم ... وخلاصة الأمر أنه سيَّر معه سبعة آلاف فارس من الفرس وجعل مقدمهم وهرز وهكذا قال ابن قتيبة » إلى أن قال : « والمقصود من كل هذا كله أنَّ جيش الفرس لما استوطن اليمن تأهلُوا ورزقُوا الأولاد فصار أولادهم وأولاد أولادهم يدعون (الأبناء) لأنهم من أبناء أولئك الفرس ... » .

قلت : الصواب ما ذكره السمعاني أولاً قال أحمد بن أبي طاهر عن المأمون أنه قال : « ما في الدنيا أشجع من عجم أهل خراسان ولا أشد شوكة

---

(١) المرجع المذكور « ص ١٥٨ » .

ولا أثقل وطأة على عدو ... فقال القائد : ما في الدنيا قوم أشجع من أبناء خراسان المولدين ولا أفتك منهم ... وقال نصر بن شبث ... وأما الأبناء فلم أر مثلهم لا يكلّون ولا يملون ولا ينهزمون[1] ... » . فالصواب « الأبناوي » .

٥٠ — وورد في الصفحة ٥٧٦ « شمس الدين محمود الكوفي الحنفي الواعظ » وأورد له شعراً ، وقد وهم مؤلف فوات الوفيات في اسمه فان اسمه « محمد » لا محمود ، قال مؤلف الحوادث في وفيات سنة (٦٩٠) هـ : « وفيها توفي شمس الدين محمد بن عبيد الله الهاشمي الكوفي الواعظ وكان أديباً فاضلاً عالماً شاعراً ، ولي التدريس بالمدرسة التُتُشيّة وخطب في جامع السلطان ووعظ في باب بدر وكان عمره نحو اثنين وخمسين سنة وكان له شعر حسن[2] ... » وأورد له شعراً ، وقد كان ذكره مرات ، وذكره ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب مرّات كذلك ، وذكره غيرهما وهو في كل ذلك « محمد » لا محمود .

٥١ — وورد في الصفحة ٥٩١ « التاج الصرخدي رحمه الله تعالى » . ولم يذكر المحقق اسمه ولم يجد مرجعاً يرجع إليه في ذلك ، وهو على ما ذكره جمال الدين ابن الصابوني « الفقيه العلامة أبو الثناء محمود بن عابدين الحسن بن محمد بن علي التميمي الصرخدي الحنفي » قال : « أحد الفضلاء المتميزين والعلماء الصالحين ، جمع بين الفقر والأدب[3] ... » وأطنب في مدحه ونعته ، وذكره محيي الدين القرشي وذكر أن لقبه « تاج الدين » وأنه ولد سنة

(١) تاريخ بغداد « ص ١٤٣ ، ١٤٤ » طبعة أوربة .
(٢) المسمى الحوادث الجامعة وهماً « ص ٣٩٠ » .
(٣) تكملة إكمال الإكمال « ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ طبعة المجمع العلمي العراقي بتحقيقي » .

٥٨٣ وتوفي سنة ٦٧٤ وذكر مقطوعة من شعره (١). وله ترجمة في النجوم الزاهرة « ٧ : ٢٤٩ ، ٢٥٠ » والسلوك « ١ : ٦٢٤ » والشذرات « ٥ : ٣٤٤ » .

٥٢ — ووردت في الصفحة ٥٩٧ ترجمة « فخر القضاة ابن بصاقة » . وقد تركه الشيخ الفاضل على هذه التسمية المجردة من غير تعليق ، وهو « نصر الله بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي الغفاري أبو الفتح « ٥٧٧ — ٦٥٠ » وقد ترجم له محيي الدين القرشي وذكر أنه فقيه شاعر ماهر ، كان خصيصاً بالملك المعظم عيسى ابن الملك العادل الأيوبي ثم بابنه الملك الناصر داود ، وذكر له شعراً(٢) ثم ذكره في باب الأبناء بصورة « ابن بصاقة نصر الله بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي فخر القضاة أبو الفتح الصفاري (كذا) (٣) » . وترجم له المقريزي في وفيات سنة (٦٥٠) قال : « وتوفي فخر القضاة أبو الفتح نصر الله بن هبة الله بن عبد الباقي بن هبة الله ابن الحسين بن يحيى ابن بصاقة الكناني الكاتب الوزير للناصر داود ، الأديب الشاعر (٤) ... » وذكره ابن العماد في وفيات (سنة ٦٥٠) قال : « وفيها فخر القضاة نصر الله بن هبة الله بن بصاقة الحنفي الكاتب ، من شعره (٥) ... » وذكر له أبياتاً .

٥٣ — وورد في الصفحة ٦١٥ ما هذا نصه « هكذا وجدت البيتين في زينة الدهر تأليف أبي المعالي الخطيري » ، هكذا بتقديم الخاء المعجمة

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية « ٢ : ١٥٨ » .
(٢) الجواهر المذكورة « ٢ : ١٩٩ » وقد تصحف فيه بصاقة إلى رصافة ، والغفاري إلى الصفاري » .
(٣) المرجع المتقدم « ص ٣٩٢ » .
(٤) السلوك « ١ : ٣٨٥ » .
(٥) الشذرات « ٥ : ٢٥٢ » .

على الطاء ، والصواب « الحظيري » بالظاء المعجمة أخت الطاء المهملة ، وهو « أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي الوراق الحظيري المعروف بدلال الكتب ، قال ابن خلكان : « كانت لديه معرفة وله نظم جيد وألّف مجاميع ما قصّر فيها ، منها كتاب (زينة الدهر وعصرة أهل العصر وذكر ألطاف شعر العصر) الذي ذيله على دمية القصر لأبي الحسن الباخرزي[1] . . . » وذكر أنه توفي سنة ٥٦٨ ، ثم قال : « والحظيري بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء . وهذه النسبة إلى موضع فوق بغداد يقال له الحظيرة ، ينسب إليه كثير من العلماء ، والثياب الحظيرية منسوبة إليها أيضاً » ، وله ترجمة في كتب أخرى .

٥٤ — وجاء في الصفحة ٦١٦ في ترجمة أبي القاسم هبة الله بن الحسين الملقب بالبديع الاسطرلابي « وتوفي سنة أربع وثلاثين وخمسمائة بعلة الفالج ودفن بمقبرة الوردية » . فعلق الشيخ على هذا التاريخ ما نصه « في معجم الأدباء : أربع وثلاثين ومائة . تحريف » . ولم يذكر الطبعة التي وقع فيها التحريف من معجم الأدباء ، ففي طبعة مرغوليوث « مات ببغداد بعلة الفالج سنة ٥٣٤ »[2] ، ولا تحريف فيها .

٥٥ — وورد في الصفحة ٦١٧ في ترجمة هارون الرشيد « وخرج عطاف ابن الوليد السامري بالوصل والوليد بن طريف ، وخرج الخزر من باب الأبواب وخرج عمر الشاذي من شهرزور » . فالسامري والشاذي تصحيف « الشاري » وهو من أسماء الخوارج ويجمع على الشُراة ، كما هو مشهور معلوم عند المختصين بالتاريخ والفقهاء والأدباء .

---

(١) الوفيات « ١ : ٢٢٠ من طبعة إيران » .

(٢) معجم الأدباء « مختصر الجزء السابع ص ٢٤٢ من الطبعة المشار إليها في الأعلى » .

٥٦ — وجاء في الصفحة ٦١٨ في ترجمة أبي القاسم هبة الله بن الفضل ابن القطان البغدادي الشاعر «وسمع الحديث من جماعة منهم أبوه وأبو طاهر محمد بن الحسن الباقلاني وأبو الفضل أحمد بن الحسن ابن جيرون الأمين».

هكذا ورد «جيرون» بالجيم، والذي علمناه وحققناه «خيرون» بالخاء المعجمة قال الذهبي في المشتبه — ص ١٩٤ — «خَيْرُونْ: أحمد بن خَيْرُونْ المصري ... والحافظ أبو بكر[1] أحمد بن الحسن بن خيرون وأخوه عبد الملك، سمع البرقاني، وابن أخيه مقرئ ببغداد مع سبط الخياط، أبو منصور محمد بن عبد الملك». والأول هو المُراد قال ابن الجوزي في وفيات سنة ٤٨٨: «أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون أبو الفضل الباقلاوي، ولد لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ست وأربعمائة وسمع الحديث الكثير وكتبه، وله به معرفة حسنة، روى عنه أبو بكر الخطيب وحدثنا عنه أشياخنا وكان من الثقات وشهد عند أبي عبد الله الدامغاني ثم صار أميناً[2] ثم ولي إشراف خزانة الغلات وتوفي ضحوة يوم الخميس رابع عشر رجب هذه السنة ودفن بمقبرة باب حرب[3]».

هذا آخر ما استوجب التعقيب مما اعتددته أوهاماً، تبقى فطنة لايهام القارئ الشادي، والباحث المبتدئ البادي، ومع ذلك فينبغي لي أن أشكر للأستاذ الشيخ الفاضل محمد محيي الدين عبد الحميد مجهوده الأدبي للتاريخ المجيد، فقد أجاد وأفاد، ولكنه لو كان أشرك معه باحثاً آخر أو باحثين لتفادى من هذه الأوهام الكثيرة المُزلقة وأخرج الكتاب بهيأة[4] مشرقة،

(١) جاء في حاشيته المثبتة «كذا بخط المؤلف وصوابه أبو الفضل». وقد صدق المعلق.
(٢) أي أميناً على أموال الأيتام.
(٣) المنتظم «٩ : ٨٧».
(٤) هذه طريقة سلكناها في كتابة كل همزة مفتوحة في داخل الكلمة.

لأن الاختصاص اليوم شرط من شروط نشر التراث الأدبي فالمصري المحقق يعرف المصريين أكثر من غيره ممن هم ليسوا بمصريين ، والعراقي المدقق أعلم بالعراقيين ممن سواه وكذلك الشامي البارع أدرى بالشاميين ، وكتاب فوات الوفيات يترجم لرجال من مختلف العصور ومختلف الأصقاع والأقطار ، ومختلف صنوف الرجال . وقد وقعت في الكتاب غلطات مطبعية ومنها ما ليست بمطبعية فحشرناها معها ، وهي :

الصفحة	الغلط	الصواب
٣٨	ابن شانيل	ابن شاتيل
١٣٤	هيهات إنْ	هيهات أنْ
١٣٥	أيا هجري	أيا هاجري
١٧٩	هب الهوى	هب الهواء
١٨٠	وللأزاهر	وللأزاهير
٢٠١	رفع الظلم	دفع الظلم
٢٠٤	عسكسته	عكسته
٢١٨	فقاري	(مصحف)
٢٧٤	يسمى مُنازل	... مُنازلاً
٣٦٠	مَعنىً	مَغنىً
٣٦١	تأتى أهلها	تأتيَّ ...
٣٨١	حوبر	جوبر
٣٩٠	أوزاري	أزراري
٣٩٦	درنا	درنا
٤٠٤	عاش تسعة	... تسعاً (لأنها سنة)
٤٣١	السكون	الكون

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصفحة	الغلط	الصواب
٤٤٣	زُهر	زَهْر
٤٧٠	كيف تلقى	(غير موزون)
٤٧٥	فهوّ	فهوَنْ
٤٨٣	كتب	كتبتُ
٥١٧	والبمّ	والبَمْ (لأنه في قافية)
٥٥١	يا خليبيّ	يا خليلِيْ
٥٨٠	ومات التي	ومات الذي
٥٨٠	لطيف	كطيف
٦٢٢	الحيص	الحيص بيص
٦٣٦	حملتُ	حمَلْتُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(بغداد) مصطفى جواد

شعر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

— ٥ —

٥ — حال الشاعر حين الوقوف على الديار

يختلف هذا المعنى عن المعاني الأخرى في شعر الوقوف على الأطلال. فالمعاني التي درسناها سابقاً تتعلق جميعاً بالديار وبقاياها، على حين يدور هذا المعنى الجديد على أنفس الشعراء وأحوالهم حين الوقوف على الأطلال. وهو مع ذلك نتيجة لتأثير المعاني السابقة في أنفس الشعراء، فهو لذلك يتعلق بهذه المعاني، ويرتبط بها بهذا الرباط الوثيق.

والشعراء مشغوفون بأطلال الديار، وقلوبهم متعلقة بها. وهذا الشغف هو الذي يشدهم إلى الأطلال، ويحبسهم للوقوف عليها. وهو بذلك بدء أحوالهم النفسية ومشاعرهم، ومنطلقها الأول حين وقوفهم على الأطلال. قال امرؤ القيس (١):

لمن طللٌ درستْ آيُه ... وغيَّره سالفُ الأحرُسِ (٢)
تنكَّرُه العينُ من حادث ... ويعرفه شغفُ الأنفسِ

(١) زهر الآداب ٢٤٠.
(٢) آيه: أي علاماته وآثاره، واحدها آية. والأحرس: جمع حَرْس، وهو الدهر والزمن

وقال طريح بن إسماعيل الثقفي (١) :

تستخبر الدمنَ القفارَ ، ولم تكن لتردَّ أخباراً على مستخبرِ
فظللتَ تحكم بين قلبٍ عارفٍ مغنى أحبَّته وطرفٍ منكرِ

والحالات النفسية التي كانت تعتري الشعراء جميعاً ، والمشاعر التي كانوا يحسون بها حين وقوفهم على أطلال الديار كثيرة متعددة . وهي على كثرتها وتعددها تتصف دائماً بالحزن والكآبة . والسر في ذلك أن هذه الأحوال النفسية تنشأ عن الذكرى ، ذكرى الأيام الماضية السعيدة التي قضاها الشاعر ناعماً سعيداً مع أحبائه . ومن طبيعة الذكرى أن تثير الحزن والأسى . وقد ذكر الشعراء هذه الأحوال والمشاعر ، ووصفوها في شعر الوقوف على الأطلال وصفاً حزيناً كئيباً ، يشجي النفوس ، ويثير في أعماقها تعطفاً وتحناناً على هؤلاء الشعراء .

ARCHIVE

وكأننا بالشاعر حين يقف بالديار ، ويجيل نظراته في أنحائها ، ويرى بقاياها البالية المهجورة تغالب الفناء ، وتظل قائمة ، تثور في نفسه الذكرى ، فيعود بخياله إلى أيام حياته السعيدة التي قضاها في هذه الربوع على وصال مع أحبته . فتثير هذه الذكرى في نفس الشاعر الألم والحزن ، « ولا يبعث الأحزان مثل التذكر » كما قالت ليلى الأخيلية (٢) ، وتهيج فيها الشوق والصبابة . وقد تذهله الذكرى عن نفسه ، فيذهب به الخيال بعيداً ، ويبلغ به الحزن مبلغاً ، فيبكي ويذرف الدموع كالأطفال . وبعد فراغ شحنة الحزن والصبابة التي تذهب وتنقضي مع سيلان الدموع يفيق الشاعر من ذهوله ، وتثوب إليه نفسه ، ويرى أن لا طائل في الوقوف والبكاء ، فيتسلى عن

(١) زهر الآداب ٢٤٠ .
(٢) الأغاني ١٠/٧٢ ـ ٧٣ .

حزنه وهمه، وذكرى أيامه الماضية بمتابعة طريقه في السفر، وبحث مطيته على السير في مجاهل الصحراء.

وهكذا فانبعاث ذكرى الأيام الماضية أولاً، ثم ثورة الحزن والألم في نفس الشاعر ثانياً، وهياج الشوق والصبابة ثالثاً، وذهول الشاعر عن نفسه رابعاً، والبكاء وذرف الدموع خامساً، ثم التسلي والتعزي سادساً، هي أهم الحالات النفسية التي كانت تعتري الشعراء حين وقوفهم على أطلال الديار.

وهذه الحالات النفسية التي ذكرناها نراها تتردد كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال. على أن أشهر هذه الحالات التي تعتري الشعراء، وأكثرها دوراناً في الشعر هي حالة البكاء وذرف الدموع. وقلما يخلو شعر في الوقوف على الأطلال من البكاء والدموع. فقد بكى الشعراء طويلاً على ديار أحبائهم، وتملوا بوصف الديار، وتسلوا بنعت الأطلال، ولا سيما الغزلون البداة منهم. والشعراء يتصفون برقة الطباع، ورهافة الإحساس، فلا نعجب منهم إذا ما بكوا في ديار الأحبة، وأطالوا في هذا البكاء. على أن بعضهم قد بالغوا في البكاء، وأوغلوا في سفح الدموع حتى سالت على خدودهم، وبلت ثيابهم. وأبيات امرئ القيس في معلقته معروفة مشهورة في هذا الميدان. قال (١):

كأني غـــداةَ البين يوم تحمَّلوا لدى سَمُرات الحي ناقفُ حنظلِ (٢)
وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيَّهم يقولون: لاتهلك أسىً، وتجمَّلِ (٣)
ففاضت دموعُ العين مني صبابةً على النحر حتى بلَّ دمعيَ مِحْمَلي (٤)

---

(١) ديوانه ٩.

(٢) السمرة: شجرة الصمغ العربي. وناقف الحنظل: الذي يستخرج حبه، والحنظل له حرارة تدمع منها العين.

(٣) المطي: الإبل، واحدتها مطية.

(٤) المحمل: أي محمل السيف.

وكان هذ البكاء يشفي هموم الشعراء ، ويطفىء غلة صدورهم ، ويمسح عن نفوسهم آلام الذكرى ، ويغسل عنها آثار الحرمان ، ويريحهم من حرقة الوجد . قال ذو الرمة (١) :

خليليَّ ، عوجا من صدور الرواحلِ ... بيرقة حُزْوى ، فابكيا في المنازلِ
لعل انحدارَ الدمع يعقب راحـــةً ... من الوجد ، أو يشفي نجيَّ البلابلِ (٢)

* * *

وقد عمد الشعراء في وصف بكائهم وانحدار الدموع من عيونهم إلى التصوير . فصوروا ذلك في صور طريفة ، تستوقف نظرنا منها صورتان اثنتان شهيرتان ، تردان كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال . الصورة الأولى هي تشبيه انبجاس الدموع من العينين وانحداره بتسرب الماء من شقوق القربة البالية وانحداره إلى الأرض . قال امرؤ القيس (٣) :

ذكرت بها الحيَّ الجميعَ ، فهيجت ... عقابيل سقمٍ من ضمير وأشجانِ (٤)
فسحَّتْ دموعي في الرداء كأنها ... كُلىً من شعيبٍ ذات سحٍّ وتهتانِ (٥)

فنحن نرى امرأ القيس قد تذكر حين وقف بالديار أحباءه ، وهم مجتمعون في الماضي ، فهيجت هذه الذكرى داءه القديم . فبكى لذلك بكاء غزيراً ، وسحّت دموعه ، حتى بلل الدمع رداءه . ثم ذكر في تصوير

(١) ديوانه ٤٩١ — ٤٩٢ .
(٢) النجي : ما يحدث به الإنسان نفسه . والبلابل : الهموم التي تتردد في الصدور .
(٣) ديوانه ٨٩ — ٩٠ .
(٤) الجميع : المجتمعون النازلون في موضع واحد . وعقابيل السقم : بقاياه . ويريد بالسقم هواه وحبه .
(٥) الشعيب : مزادة الماء البالية . والكلى : جمع كلية ، وهي رقعة تكون في أصل عروة المزادة ، وأكثر ما يسيل الماء منها .

انحدار دموعه أنها تشبه قطر الماء وسيلانه من خرز قربة الماء . وقد اعتاد الشعراء أن يذكروا قربة الماء البالية في هذا المجال . والسر في ذكر القربة البالية خاصة في أمثال هذه الصورة هو المبالغة في الوصف ، وذلك أن خرز هذه القربة تكون أوسع من خرز القربة الجديدة ، وشقوقها أكثر ، وهذا أدعى لتسرب الماء وسيلانه .

والصورة بعد مأخوذة من صميم حياة الأعراب في البادية ، فاستقاء الماء من الآبار والغدران ، ونقله في الروايا والقرب شيء مألوف في حياة الأعراب اليومية ، وهو منظر بكثر وقوع أعين الناس عليه . فلهذا أكثر الشعراء من إيراد هذه الصورة في شعر الوقوف على الأطلال في موضوع وصف بكائهم وسفحان دموعهم .

ARCHIVE

* * *

http://Archivebeta.Sakhrit.com

والصورة الثانية هي تشبيه انحدار الدموع من العينين أثناء البكاء بسيلان الماء من جوانب الدلو حين تنزع من البئر مليئة ، والماء يفيض من جوانبها ، ويتحدر رشاشاً أبيض نحو الأرض . قال الحطيئة في ذلك [١] :

أمن رسم دارٍ مربعٌ ومصيفُ   لعينيكَ من ماء الشؤون وكيفُ [٢]
رشاش كغربيٌ هاجريٍ ، كلاهما   له داجنٌ بالكرَّتين عليفُ [٣]
تذكرتُ فيها الجهلَ حتى تبادرتْ   دموعي ، وأصحابي عليَّ وقوف [٤]

---

(١) ديوانه ٢٥٣ .
(٢) معنى البيت : أمن رَسْمِ المربع والمصيف هذه الدار تبكي عيناك .
(٣) الغرب : الدلو العظيمة من جلد ثور ، يجرها بعير . والهاجري : الساقي الماهر . والداجن : البعير الذي ألف السقي . والكرتان : كرة بالذهاب حين نزع الدلو من البئر ، وكرة بالعودة لإنزال الدلو في البئر .
(٤) الجهل : جهل الشباب وطيشه .

لقد وقف الحطيئة على دار أحبته ، فرأى أن مرور الربيع والصيف قد غيّرا آثارها ودرساها ، فبكى لذلك ، وذرف الدمع من عينيه غزيراً سخيناً ، حتى كانت عيناه كدلوين ترشان بالماء رشاً !

وهذه الصورة شبيهة بالصورة الأولى في الأصل ، قريبة منها في الشكل والعناصر الأخرى . وهي أيضاً مثلها مستمدة من حياة الأعراب في البادية ، لأن استقاء الماء بالدلاء من الآبار للشرب وسقي الأغنام والأنعام ضرورة لازمة لهذه الحياة ، وعمل أساسي من أعمال الأعراب اليومية .

* * *

وللشعراء صور أخرى جيدة طريفة في وصف سيلان دموعهم من عيونهم حين وقوفهم على ديار الأحبة . منها تشبيه الدموع الجارية بالجمان المنتثر من النظام . قال ذو الرمة في ذلك [١] :

قف العيسَ في أطلال مية ، واسألِ رسوماً كأخلاق الرداء المسلسلِ [٢]
أظن الذي يجدي عليك سؤالُها دموعاً كتبديد الجمان المفصّلِ

ومنها تشبيه ذرف الدموع بسقوط قطرات ماء المطر من أغصان الشجر . قال جران العود في ذلك [٣] :

فبتُّ كأنَّ العينَ أفنانُ سِدرةٍ عليها سَقيطٌ من ندى الليل ينطفُ [٤]

---

(١) ديوانه ٥٠١ .
(٢) العيس : الإبل البيض . وأخلاق الرداء : قطعه البالية .
(٣) ديوانه ١٣ .
(٤) أفنان السدرة : أغصانها . والسقيط : الثلج .

وقد أتى إبراهيم بن هَرْمَة بالصورتين معاً في شعر له ، قال (١) :

كأن عيـنيَّ إذ ولَّت حمولهـمُ مني جناحا حمام صادف مطرا

أو لؤلؤٌ سليسٌ في عقد جارية ورهاءَ نازعهـا الولدانُ فانتثرا (٢)

ووصف امرؤ القيس بكاءه في الديار مرة ، وصوّر دموعه ، فشبهها في معرض التصوير بأشياء عديدة مختلفة دفعة واحدة ، فقال (٣) :

عينـاكَ دمعُها سِجالُ كـأن شـأنيها أوشالُ (٤)

أو جدولٌ في ظلال نخـل للماء من تحته مَجالُ

هذه عدة صور أتى بها امرؤ القيس في مبالغة وإغراق . ولكنها مبالغة شيقة مستحبة ، لأنها من صنع شاعر مجيد . والشاعر يضفي على صوره ومعانيه أشياء من عواطفه ومشاعره ، فيخفف بذلك من وقع المبالغة في نفوسنا . والشعراء بعدُ أصحاب أخيلة مجنحة تطير بهم بعيداً في أجواء الفن ، فنغفر لهم ، ولا نحاسبهم لذلك حساباً عسيراً .

وتابع عبيد بن الأبرص امرأ القيس في وصف بكائه وتشبيه دموعه بعدة أشياء في صور متوالية ، مبتدئاً بقربة الماء البالية ، ومنتهياً بجدول ماء

---

(١) التشبيهات ٨٠ .

(٢) ورهاء : أي حمقاء .

(٣) ديوانه ١٨٩ .

(٤) السجال : جمع سَجْل ، وهو الدلو . والأوشال جمع وَشَل ، وهو الماء القليل الجاري .

يجري خلال النخيل . قال عبيد (١) :

عيناكَ دمعهما سروبُ كأن شأنيهما شعيبُ (٢)
أو فلَجٌ ما ببطن وادٍ للماء من تحته قسيبُ (٣)
أو جدول في ظلال نخل للماء من بينه سكوبُ

هذه صور طريفة ، سريعة الحركات ، متلاحقة النغمات ، نرى فيها رقة ومرحاً ، ولا نسمع رنة الحزن ولا ترجيعات البكاء ، فهي تنيب وتختفي وراء أمواج النغم التي يوقعها الشاعر .

* * *

ولقد أفصح الشعراء عن حزنهم وألمهم في شعر الوقوف على الأطلال بمعان كثيرة وعبارات مختلفة . ولكن المعنى الذي تداولوه جميعاً ، وعبروا عنه بعبارة واحدة هو معنى الشجو ، أي الحزن الدائم العميق في سكون ، حتى إنهم كثيراً ما كانوا يبدؤون أشعارهم بلفظ (الشجو) نفسه ، كما قال طرفة ابن العبد (٤) :

أشجاكَ الربعُ أم قِدمُهْ أم رمادٌ دارسٌ حُمَمُهْ (٥)

فهو يتساءل عن هذا الحزن أو الشجو الذي ثار في نفسه من وقوفه على الديار ، وعبّر عن هذا الحزن بلفظ مأخوذ من الشجو ، فقال : أشجاك .

(١) ديوانه ١٢ .
(٢) سروب : كثير الجريان . والشعيب : قربة الماء البالية .
(٣) الفلج : الماء الجاري . والقسيب : صوت جري الماء .
(٤) ديوانه ١٤٨ .
(٥) حممه : أي فحمه ، واحدتها حُمَمة .

وكذلك أكثر الشعراء من ذكر هياج الشوق والصبابة في هذا المجال، واعتادوا افتتاح قصائدهم بلفظ (هاج) نفسه. قال الحطيئة (١):

وهاج لك الصبابةَ من هواها ... بحنو قراقرٍ طللٌ مُحيلُ (٢)
كما هاج الصبابةَ يوم مرَّت ... عوامدَ نحو واقصةَ الحمولُ (٣)

وقال زهير بن أبي سلمى (٤):

هاج الفؤادَ معارفُ الرسمِ ... قفرٍ بذي الهضبات كالوشمِ

وقال حسان بن ثابت (٥):

أهاجكَ بالبيداء رسمُ المنازلِ ... نعم،قد عفاها كلُّ أسحمَ هاطلِ (٦)

والشكوى من دأب الشعراء في وقوفهم على أطلال الديار. فهي حبيبة إلى قلوبهم، قريبة إلى نفوسهم، يناجونها ويبثونها آلامهم وأحزانهم، ويشكون إليها مايكابدون من شوق إلى أهلها الظاعنين، ويجدون في هذه الشكوى عزاء وسلوى. وكأن هذه الديار رفيق أمين يسعدهم في بلوائهم، فيأنسون بقربه، وينعمون بلقائه، وينسون وحدتهم ووحشتهم عنده، ولو إلى حين. قال ذو الرمة في الشكوى (٧):

وقفتُ على ربع لمية ناقتي ... فما زلتُ أبكي عنده وأخاطبُه
وأُشكيه حتى كاد مما أبثه ... تكلمني أحجاره وملاعبُه (٨)

(١) ديوانه ١٩٧.
(٢) المحيل: المتغير.
(٣) عوامد: أي قواصد. والحمول: الإبل عليها هوادج النساء.
(٤) ديوانه ٣٨٢.
(٥) ديوانه ٣١٣.
(٦) الأسحم: السحاب الأسحم، وهو الأسود.
(٧) ديوانه ٣٨، واللسان (شكا).
(٨) أشكيه: أشكو إليه أمري.

وبعد فإن الاستغراق في الذكرى ، والذهول عن النفس من المعاني التي رددها الشعراء كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال ، لشدة حزنهم وفرط صبابتهم وشغفهم ، حتى ما يطيقون مغادرة الديار . قال امرؤ القيس في هذا المعنى (١) :

ظَلِلْتُ ردائي فوق رأسي قاعداً أعد الحصى ، ماتنقضي عبراتي
أعِنِّي على التَّهْمام والذِّكَرات يبتن على ذي الهم معتكرات (٢)

فهو قاعد لايبرح الديار ، ذاهل عن نفسه وعن الدنيا من حوله ، يعد الحصى من الهم حيران آسفاً ، ويبكي لهفة وشغفاً . وتأخذه الذكرى والهموم من كل جانب ، فيفر منها إلى رفيق الطريق في السفر يطلب العون والعزاء .

وقد شبّه كثير من الشعراء أنفسهم في ذهولهم واستغراقهم في الذكرى والصبابة بشارب الخمر الذي باكر الشراب فانتشى . قال امرؤ القيس (٣) :

فظَلِلْتُ في دمن الديار كأنني نشوانُ باكره صَبوحُ مدامِ

وقال عبيد بن الأبرص (٤) :

ظَلْتُ بهـا كأنني شاربٌ صهبـاءَ مما عتَّقَتْ بابلُ (٥)

فقد استغرق امرؤ القيس وعبيد في الذكرى ، وغابا في دنيا الذكريات عن نفسيهما وعما يدور حولهما ، كما يغيب النشوان من أثر الخمر .

---

(١) ديوانه ٧٨ .
(٢) معتكرات : أي دائمات متتابعات .
(٣) ديوانه ١١٥ .
(٤) ديوانه ٩٨ .
(٥) ظلت بها : أي ظللت بها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

على أن تشبيه الشاعر نفسه بشارب الخمر النشوان في ذهوله واستغراقه في الذكريات حين وقوفه على أطلال الديار قد انقطع في الإسلام بعد أن كان شائعاً في الجاهلية . وهذا أثر من آثار تعاليم الإسلام التي تحرم شرب الخمر على المسلمين .

وقد انتهى الشعور بالوجد والحزن والصبابة بالحطيئة الشاعر حين وقف على ديار هند ، ورأى بقاياها العافية ، وفعل الزمن والرياح في آثارها ، وبدأ يسائلها عن أهلها الظاعنين ، نقول : انتهى كل ذلك بالحطيئة الشاعر إلى الارتعاش والألم الشديد الذي يعتري من تنهشه أفعى قديمة قاطعة الدم . قال الحطيئة (١) :

قد غيَّر الدهرُ من بعدي معارفَها والريحُ ، فادَّفنتْ فيها مغانيها
جرَّت عليها بأذيالٍ لها عُصُفٍ فأصبحتْ مثلَ سَحْقِ البرد عافيها
كأنني ساورتني يوم أسألهـــا عودٌ من الرُّقش ،ماتصغي لراقيها(٢)

وشعور الحطيئة هذا وألمه أمام هذه الآثار العافية من ديار هند هو أعلى درجات الانفعال والحزن في شعر الوقوف على الأطلال .

الدكتور عزة حسن

⁂

(١) ديوانه ٢٠١ ـ ٢٠٢ .
(٢) العود : القديم المسن ، وبريد حية قديمة هنا . والرقش : جمع رقشاء ، وهي الحية المنقطة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

شيء من الفعل في العربية

سأعرض في هذا المبحث لشيء يتصل بالفعل العربي مما له فائدة خاصة وهي دخوله في الأساليب الخاصة. ومن ذلك المادة الفعلية التي تؤلف أسلوبي التعجب وأسلوب المدح والذم.

أقول إن قولهم: «ما أحسن زيداً»، و«أحسِنْ بزيد» أسلوب للتعجب، فانه يتوصل بهذا الأسلوب الى التعجب من «حسن زيد».

ولو درس النحويون هذه المسألة على أنها أسلوب من أساليب الكلام لكانوا في غنى عن الذهاب في متاهات بعيدة عن العلم اللغوي.

فسر النحويون «ما أحسن زيداً» بـ«شيء أحسن زيداً أي جعله حسناً»، وما أظن ان التعجب حاصل في هذه الجملة المفسرة، فهي كما قالوا جملة خبرية في حين أن أسلوب التعجب لا يتأتى بهذا فهو «إنشاء».

ولم يصلوا إلى هذا التفسير إلاّ ليحلوا المشكلة الإعرابية، فإن «ما» عندهم نكرة تامة بمعنى شيء، وهي مبتدأ. ولم أستطع أن أهتدي إلى هذه النكرة وإلى تمامها وإلى تأويلها بشيء، ثم لم أستطع أن اهتدي إلى كونها مبتدأ. ألا ترى أن «ما» هذه لا صلة إسناد لها بما بعدها من جملة التعجب إذ لا يكون الخبر وصفاً للمبتدأ كما زعموا.

وقد بدت حيرتهم في «ما» هذه، فقال الأخفش: «إنها موصولة وتأويل الكلام «الذي أحسن زيداً شيء عظيم» ومعنى هذا أن الخبر محذوف. وما أظن أن أسلوب التعجب حاصل في هذه الجملة المفسرة.

وذهب بعضهم إلى أنها استفهامية ، والجملة التي بعدها خبر عنها ، والتقدير «أي شيء أحسن زيداً ؟ » ، وما أظن أن أسلوب الاستفهام مفيد للتعجب ، وهذا لم يقله إلا نحوي أفقده ثقل الموضوع التمييز بين أسلوبين مختلفين كل الاختلاف .

وقد ذهب بعضهم إلى أنها نكرة موصوفة ، والجملة التي بعدها صفة لها ، والخبر محذوف ، والتقدير « شيء أحسن زيداً عظيم » . وهذا قول ضعيف غاية الضعف .

ومن هذا العرض يتبين أنهم لم يحاولوا درس هذا الأسلوب الذي يعبر به عن التعجب ، فقد شغلوا أنفسهم بالإعراب . وكان أصلح للعربية والنحو العربي أن يقولوا في هذا التركيب « إنه أسلوب للتعجب مؤلف من « ما » التعجبية متلوة بـ « فعل » على « أفعَلَ » ، أو « أشـد » ونحوها » متلوة بالمصدر في أحوال أخرى عرض لها النحاة واشترطوا لها شروطاً خاصة .

وإن هذا « الفعل » من الأفعال الخاصة غير المتصرفة التي بنيت على هيئة مخصوصة فأفادت التعجب .

ومثل هذا نقول في « أحبب بزيد » فهو أسلوب للتعجب مؤلف من فعل التعجب الذي جمد على هذه الصورة ليؤدي هذا الغرض متلواً بالباء ثم مدخولها ، وبذلك ليتم هذا الأسلوب المشار إليه .

قلت : إن النحاة كانوا في حيرة في كل جزء من أجزاء هذا الأسلوب ، فقد اختلفوا في فعلية هذه المادة أو اسميتها ولا نريد أن نعرض لأقوال كل من الفريقين ، أما الذي نريد أن نقرره فإن « أفعَلَ » و « أفْعِلْ » من المواد الفعلية التي بنيت على هذه الصورة المخصوصة فجمدت وابتعدت عن قبول علامات الأفعال ، وذلك لانصرافها عن عناصر الفعلية وهي الدلالة على الحدث وترشحها لزمان ما ، وبذلك تؤدي أسلوب التعجب .

وكنا قد رأينا مثل هذه الأفعال التي تحجرت في صورة ما ، لتؤدي معنى خاصاً وهي : عسى وحرى واخلولق وكاد وكرب وغيرها .

ولا بد أن نختم هذا البحث فنشير إلى قلق النحويين وعدم تثبتهم فيما ذهبوا إليه فقالوا : «ما أجمله» و «أجمِلْ به» ، والهاء عندهم مفعول به في الجملة الأولى ، وفاعل في الجملة الثانية والباء حرف جر زائد .

ولا ندري ما الفرق بين الجملتين بحيث أدى ذلك إلى الاختلاف في اعتبار المتعجب منه من الناحية النحوية . وهذا من غرائب أقوالهم التي لا يمكن الاطمئنان إليها .

ومن هذه الأساليب أسلوب المدح والذم ويعبر عنه بمادة «نعم» للمدح و «بئس» للذم و «حبذا» للمدح و «لا حبذا» للذم . وهذه المواد من الأفعال التي تفرغت من الدلالة الفعلية وهي الحدث المقترن بالزمان ، للدلالة على المدح أو الذم في أسلوب خاص كما في «نعم الولد زيد» ، و «بئس المرأة هند أو بئست» .

وقد كان النحويون الأقدمون في حيرة من هذه بسبب إعراب هذه المواد في الجمل التي تقع فيها ، فقد اختلفوا فيها فذهب جمهور النحويين إلى أن «نعم» و «بئس» فعلان بدلالة دخول تاء التأنيث الساكنة عليهما . وذهب جماعة من الكوفيين — ومنهم الفراء — إلى أنهما اسمان واستدلوا بدخول حرف الجر عليهما نحو قولهم : «والله ما هي بنعم الولد» . ورد قول الكوفيين بالتخريج النحوي المثبت في كتب النحو .

ولم يهتم النحاة باستعمال هذين الفعلين وورودهما في النصوص الفصيحة ، وذلك لاهتمامهم بمسألة الفاعل والمرفوع الذي يليه . والفاعل في هذه الجملة إما أن يكون محلّى بالألف واللام ، وإما أن يكون شيئاً آخر .

وقد قالوا في هذه الألف واللام : إنها للجنس حقيقة أو مجـــازاً ، وقالوا : إنها للعهد كما في قوله تعالى : « نعم المولى ونعم النصير » . ويكون الفاعل مضافاً إلى ما فيه « أل » كقوله تعالى : « ولنعم دار المتقين » .

ويكون مضمراً مفسراً بنكرة بعده منصوبة على التمييز نحو : « نعم قوماً معشره » ففي « نعم » ضمير مستتر يفسره « قوماً » و « معشر » مبتدأ وزعم بعضهم أن « معشره » مرفوع بـ « نعم » وهو الفاعل ولا ضمير فيها ، وقال بعض هؤلاء : إن « قوماً » حال ، وقال آخر : إنه تمييز .

وهذا الاختلاف في إعراب « قوماً » و « معشره » دليل على أن هذه المسائل قلقة في مكانها ، بل قل : إنهم لم يهتدوا إليها اهتداء كافياً ، فهي إما أن تكون كذا وإما أن تكون أشياء أخرى .

وقولهم : إن في « نعم » ضميراً مفسراً بالتمييز شيء ملفق مصطنع ، ذلك أن الضمير لا يستعمل إلا حيث كان مسبوقاً باسم ظاهر ، والطبيعي أن يذكر الظاهر ثم يعود عليه ضميره .

وإذا قالوا : « نعم الولد زيد » فإن « زيد » خبر مبتدؤه محذوف أو أنه خبر الجملة قبله مبتدأ والتقدير « زيد نعم الولد » . أو أنه مبتدأ خبره محذوف والتقدير : « زيد الممدوح » .

وهكذا انصبَّ اهتمام النحويين على إعراب هذه الأجزاء التي وقعت في هذه الجمل التي عبر بها عن أسلوب المدح والذم .

قلت : لم يهتم النحاة بورود هذين الفعلين في النصوص الفصيحة وأكثروا من الاعتماد على الأمثلة التي اصطنعوها هم أنفسهم نحو : « نعم الرجل زيد » و « نعم غلام القوم زيد » و « بئس غلام القوم عمرو » .

ومثل هذه الأمثلة لم نعرفه في لغة التنزيل مثلاً ، وذلك أن « نعم » وردت في ست عشرة آية ، وفي جميع هذه الآيات ورد هذا الفعل مسنداً

إلى مرفوعه ولم يرد ما أسموه بالمخصوص بالمدح وهو «زيد» كما في قولهم، «نعم الرجل زيد».

والآيات التي وردت فيها «نعم» هي على النحو الآتي :

الآية	رقمها	السورة
ونعم أجر العاملين	١٣٦	آل عمران
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل	١٧٣	آل عمران
وإن تولّوا فاعلموا أن الله مولاكم		
نعم المولى ونعم النصير	٤٠	الأنفال
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار	٢٤	الرعد
ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين	٣٠	النحل
نعم الثواب وحسنت مرتفقا	٣١	الكهف
واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير	٧٨	الحج
نعم أجر العاملين	٥٨	العنكبوت
ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون	٧٥	الصافات
ووهبنا لداودَ سليمانَ نعم العبد إنه أوّاب	٣٠	ص
إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أوّاب	٤٤	ص
فنعم أجر العاملين	٧٤	الزُّمَر
والأرضَ فرشناها فنعم الماهدون	٤٨	الذاريات
فقَدَرْنا فنعم القادرون	٢٣	المرسَلات

وقد وردت «نِعِمّا» في آيتين هما :

إن تبدو الصدقات فنِعِمّا هي	٢٧١	البقرة
إن الله نِعِمّا يعظُكم به	٥٨	النساء

ومثل «نعم» جاءت «بئس» في لغة التنزيل العزيز، وليس فيها إلا آيتين على نحو ما استشهد به النحاة . ولنعرض للآيات التي جاءت فيها «بئس» ، وهي على النحو الآتي :

الآية	رقمها	السورة
ولبئس ما شروا به أنفسهم	١٢٦	البقرة
فحسبُه جهنم ولبئس المهاد	٢٠٦	البقرة
ستُغلبون وتحشرون إلى جهنمَ وبئس المهاد	١٢	آل عمران
ومأواهم النارُ وبئس مثوى الظالمين	١٥١	آل عمران
ومأواه جهنم وبئس المصير	١٦٢	آل عمران
واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون	١٨٧	آل عمران
ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد	١٩٧	آل عمران
لبئس ما كانوا يعملون	٦٢	المائدة
لبئس ما كانوا يصنعون	٦٣	المائدة
لبئس ما كانوا يفعلون	٧٩	المائدة
لبئس ما قدمت لهم أنفسهم	٨٠	المائدة
ومأواه جهنم وبئس المصير	٧٣	التوبة
فأوردهم النارَ وبئس الوردُ المورود	٩٨	هود
بئس الرِّفدُ المرفود	٩٩	هود
ومأواهم جهنم وبئس المهاد	١٨	الرعد
جهنم يصلونها وبئس القرار	٢٩	ابراهيم
فلبئس مثوى المتكبرين	٢٩	النحل
بئس الشرابُ وساءتْ مُرتفقا	٢٩	الكهف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الآية	رقمها	السورة
بئس للظالمين بدلا	٥٠	الكهف
لبئس المولى ولبئس العشير	١٣	الحج
وبئس المصير	٧٢	الحج
ومأواهم النار ولبئس المصير	٥٧	النور
جهنمَ يَصلونها وبئس المهاد	٥٦	ص
فبئس القرار	٦٠	ص
ادخُلوا أبوابَ جهنمَ خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين	٧٢	الزمر
فبئس مثوى المتكبرين	٨٦	غافر
فبئس القرين	٣٨	الزخرف
بئس الاسم الفسوقُ بعد الإيمان	١١	الحجرات
مأواكم النارُ هي مولاكم وبئس المصير	١٥	الحديد
حسبُهم جهنمُ يَصلونَها وبئسَ المصير	٨	المجادلة
بئس مَثَلُ القومِ الذين كذَّبوا بآيات الله	٥	الجمعة
أولئك أصحابُ النارِ خالدين فيها وبئس المصير	١٠	التغابن
ومأواهم جهنمُ وبئس المصير	٩	التحريم
وللذين كفروا بربهم عذابُ جهنم وبئس المصير	٦	الملك

وقد وردت «بئسما» في ثلاث آيات هي :

بئسما اشترَوْا به أنفسَهم	٩٠	البقرة
قل بئسما يأمركم به إيمانكم	٩٣	البقرة
بئسما خلَفتُموني من بعدي	١٥٠	الأعراف

ويتبين من عرضنا للآيات التي وردت فيها « نعم » وللآيات التي وردت فيها « بئس » أن النحاة لم يشغلوا أنفسهم بشيء كثر في لسان العرب ، بل اهتموا بمسائل لم ترد إلا قليلاً ، وأقاموا فيها المشكلات الصعبة فاختلفوا وذهبوا مذاهب شتى كما تبين لنا ذلك من أقوالهم . غير أنهم لم يهتموا بالكلام الفصيح الذي يعدّ النموذج الصحيح للعربية في هذه الفترة التاريخية .

ونخلص من ذلك ان « زيداً » المذموم ، و « عمراً » الممدوح لم يكونا في هذه اللغة القويمة على النحو الذي ورد في كتب النحو .

ثم جاء النحاة إلى « حبذا » و « لاحبذا » لإفادة المدح والذمّ فقالوا في المدح : « حبذا زيد » ، وفي الذم : « لاحبذا زيد » .

ومن ذلك قول الشاعر :

ألا حبذا أهل الملا غير أنه ... اذا ذكرت ميّ فلا حبذا هيا

وشأنهم في « حبذا » و « لاحبذا » شأنهم في « نعم » و « بئس » فقد اختلفوا في إعرابها كما اختلفوا في « نعم » و « بئس » .

ذهب أبو علي الفارسي وابن برهان وابن خروف ــ وزعموا أنه مذهب سيبويه إلى أن « حبّ » فعل ماض و « ذا » فاعله ، وأما المخصوص فجوّز أن يكون مبتدأ والجملة قبله خبره ، وجوّز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف ، والتقدير « هو زيد » أي الممدوح أو المذموم زيد .

وذهب المبرّد ، وابن السراج في « الأصول » ، وابن هشام اللخمي ــ واختاره ابن عصفور ــ إلى ان « حبذا » اسم ، وهو مبتدأ ، والمخصوص خبره ، أو خبر مقدم والمخصوص مبتدأ مؤخر فركبت « حب » مع « ذا » وجعلتا اسماً واحداً .

وذهب قوم ــ منهم ابن درستويه ــ إلى أن « حبذا » فعل ماض و « زيد » فاعله فركبت « حب » مع « ذا » وجعلتا فعلاً .

ARCHIVE

ويبدو من هذا أنهم اختلفوا في حقيقة « حبذا » وفعليتها واسميتها ، وما ذلك إلا للفصل في كل جزء من أجزاء الجملة التي تقع فيها « حبذا » وإيقاعه في موقع إعرابي خاص . واختلافهم هذا في حقيقة هذه الأفراد التي تتكون منها جملة « حبذا » دليل على أنهم قلقون في اعتبار هذه الأساليب الفعلية الخاصة لإفادة غرض خاص هو المدح أو الذم .

أما القول في إسمية « حبذا » و « لا حبذا » فهو شيء مستبعد في جملة « حبذا » ، وذلك لأن هذا المركب جاء لإفادة أسلوب المدح ، وإفادة المدح والذم تحصل في الجملة الفعلية ، وإن لفظ « حب » هو الفعلية ولكن الذي أبعدها عن الفعلية الصريحة تركيبها مع « ذا » ولايعني هذا التركيب أنهـــا انتقلت من فعل إلى اسم . غير أن من المناسب أن نقول : إن هذه الالفاظ أفعال خاصة تحولت من فعليتها الصريحة فتفرعت عن مادة الفعل من حيث الدلالة على الحدث المقترن بزمان ما للإعراب عن أسلوب خاص من أساليب الكلام ، وهو المدح والذم ، ولذلك فقدت التصرف فجمدت على حالتها المعروفة ، والقول بأنها فعل ماض غير سديد ، وذلك أن الأفعال قصد من تحولها إلى الجمود ، وتركيبها مع « ذا » إفادة للمدح أو الذم وإفادة هـــذا الأسلوب يعني أنه من جملة الأساليب الإنشائية ، ولا تستقيم هذه الأساليب مع الزمن الماضي .

أما القول بأن « ذا » فاعل فليس بسديد أيضاً ، وذلك أن تركيب « حب » مع « ذا » جعلها كلمة واحدة ، ولا يمكن أن تنصرف « حبذا » إلى جملة . ولعل ابن درستويه كان على حق في اعتباره « حبذا » كلمة واحدة . ثم ان « حبَّ » لم يتضح لنا أنها أسندت إلى « ذا » فيؤدي هذا الإسناد إلى حصول فائدة ما .

وبسبب من هذا التركيب وصيرورة هذا المركب (وصيرورة هذا المركب) كلمة واحدة مال المعربون في عصرنا إلى اشتقاق فعل من هذا المركب هو « حبَّذ » بمعنى « استحسن » أو « فضَّل » واستعملوا من ذلك الأبنية المختلفة كالمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول وسائر الصيغ الاخرى .

وبعد فإنّ هذه الألفاظ قد اتجهت في العربية اتجاهاً خاصاً للتعبير عن فن من فنون القول . ومن المفيد ألاّ تدخل هذه في اختلاف النحويين وجدلهم فتضيع في متاهات الفاعل وضمير الظاهر ، والمبتدأ وخبره المحذوف أو الخبر ومبتدئه المحذوف . وإن محاولتهم في إيجاد هذه المسميات في هذه الجمل التي أفادت التعجب والتي أفادت المدح أو الذم إضاعة للغرض الذي أطلقت من أجله .

ومن المفيد أيضاً ان نكتب نحونا الجديد على شيء من هذا الفهم ، فجنب الناشئين في عصرنا الذهاب في تلك الأوهام التي تبعد اللغة عن كونها حياة يحياها المعربون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى هذا فإن اللغة ليست وسيلة يعبّر بها عن الفكر ، بل هي في حركاته وسكناته وهي الفكر مكتوباً أو منطوقاً به .

وأعود فأقول : إن دعوات أصحاب التيسير يجب أن تكون دعوات مفيدة فتيسر وتنبذ ما ليس من طبيعة اللغة ، وأن يكون النحو الجديد مادة تصف اللغة وصفاً بعيداً عن التعليل والتأويل ، وبذلك يتم لأصحابنا القائلين بالتيسير والداعين إليه بمقترحاتهم وآرائهم منهج علمي جديد .

وقد تقول ، إن النحو القديم في مصنفاته الضخمة يؤلف مادة من تراثنا فماذا نحن صانعون به إن أخذنا بآراء أهل التيسير التي تتنكر لكثير من العلم النحوي القديم ؟

ونجيب عن هذا السؤال فنقول : إن النحو القديم وهو من تراثنا الذي نجله ونقدره قدره ينبغي أن يظل في حلقة الدراسات التاريخية ندرسه ونفهمه

بأصوله وفلسفته وعلله وأحكامه ومناهجه التي اخذوا أنفسهم بها ، وأدى بهم ذلك الى اختلافات جوهرية وثانوية . والذي نعرفه أن العلوم كافة تخضع للتطور والتجديد ، فالفلسفة الحديثة غير الفلسفة في القرون الوسطى وغيرها في أيام الإغريق . والعلوم الطبيعية في عصرنا جديدة كل الجدة بحيث انسلخت عن أصولها القديمة وربما انقلبت النظريات ، فالذي كان مقبولاً في العلم منذ قرن من الزمان لم يعد مقبولاً في أيامنا . ومثل هـــذا حدث في العلوم الاجتماعية جميعها كما حدث تطور عظيم في المفاهيم الفنية في الرسم والنحت والموسيقى وغير ذلك .

ثم إن الدراسات النحوية في اللغات الأوربية الحديثة تذهب في هذا السبيل ، فهناك النحو الذي يتعلمه الدارسون ، وهو نحو جديد مبني على الاستقراء والوصف للنصوص الفصيحة والمرونة دون التنكر للغات الحديثة بما جد فيها من التطور في الأصوات ، وفي تركيب الجمل وسائر العناصر النحوية التي تغيرت عما كانت عليه في عصور سابقة . على أن لهذه اللغات نحواً قديماً يقبل عليه الدارسون المعنيون بالدراسات اللغوية التاريخية ليصلوا من ذلك إلى الجديد المتطور الذي يقوله الناس ويكتبونه .

ومن الخير للعربية وأبنائها أن نجري في هذا السبيل لنأخذ بالأسلوب العلمي الذي يقوم على التطور وهو سنة الحياة في مظاهرها المختلفة .

(بغداد) الدكتور ابراهيم السامرائي

مجتمع الهمذاني

من خِلال مقاماته

بحث يحلل المقامات ويستشف من
ورائها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

— ٥ —

٤ ـ الكُدْيَة

الكدية مظهر من مظاهر الفقر في المجتمع وعدم التكافل الاجتماعي بين الناس . وربما تكون في بعض الأحيان مظهراً من مظاهر العجز أو الكسل الفردي ، وهي قديمة في التاريخ ، وجدت منذ وجد العجز والفقر إلى جانب القوة والغنى مها يختلف تأويل ذلك :

متى ما ير الناس الفقير وجاره غني يقولوا عاجز وجليد

الكدية في التاريخ : وقد كانت الكدية معروفة منذ القديم ، كما يبدو أنها كانت معروفة عند العرب قبل الإسلام حتى نهى عنها الإسلام وحاربها النبي ﷺ وحض على العمل والكسب ، وشاعت أقواله في ذلك ، ومنها « لأن يأتي أحدكم الجبل فيأتي بحزمة من الحطب فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » ومنها « اليد العليا خير من السفلى » ويرجح أن تكثر الكدية وتنتشر حيث يعم الفقر ، وتقل حيث يسود الرخاء . وقد مر بنا الحديث عن سوء الوضع الاقتصادي أيام الهمذاني ، وهو في مقاماته إنما يطلعنا على سبيل المكدين في حرفتهم ، ويكشف لنا أساليب

خداعهم ... بل إنه يُعنى بالكدية عناية خاصة حتى كانت المحور الأساسي الذي تدور حوله معظم المقامات .

وليس مانقله إلينا الهمذاني من أخبارهم ، على كثرته وطرافته ، غريباً أو بعيداً عما عرف في ذلك العصر ؛ فلقد ذكروا أن بعض الناس كانوا يحتالون للسلب بحيل شتى ، وأن من الحيل التي يلجأ إليها بعض المكدين لجمع المال تظاهرهم بالغزو والجهاد فيجمعون المال لتجهيز أنفسهم أو فك أسراهم !! وكثير من هؤلاء كانوا يركبون الدواب ويطوفون البلاد كالغزاة ليوهموا الناس بصدقهم ، بل إن في أخبار التاريخ أن جيشاً من عشرين ألفاً خرج من خراسان سنة ٣٥٥ هـ بحجة الغزو ثم ظفر بأموال الدولة وانقلب إلى جيش للسلب والنهب (١) .

ولعل من أطرف ماوصف به المكدون وأساليبهم تلك القصيدة الطويلة الرائعة المعروفة بالقصيدة الساسانية والتي نظمها أبو دلف الخزرجي (٢) ومطلعها :

جفون دمعهــا يجري لطول الصدّ والهجر (٣)

وقد وصف فيها الغربة والتنقل ، وذكَر حِيلَ المكدّين من كتابة التعاويذ والتآمر مع القصّاصين الذين يتصدّرون حلقات القصص ويأمرون المستمعين باعطاء الفقراء ثم يقاسمونهم ماجمعوا بعد انفضاض الحلقة ، كما ذكر كثيراً من أساليب المكر والخداع كتصفير الوجه أو تجريحه ، أو إيهام الناس بقطع اللسان ، أو ارتداء زي الرهبان أو الحجاج ، أو الاحتيال بالتنجيم

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ٦٦ .
(٢) هو مسعر بن مهلهل . انظـــر ترجمته وأخباره في يتيمة الدهر ٣ : ٣٥٦ (ط محي الدين عبد الحميد) .
(٣) انظر القصيدة في اليتيمة ٣ : ٣٥٨ .

أو باصطحاب عدد من الأطفال عليهم آثار الجوع والعري .. أو بترقيص القردة أو الدبة ... ، وهي قصيدة جامعة حتى إن آدم متز يقول « إنها وثيقة اجتماعية عن القرن الرابع . »(١)

الكدية في المقامات : أما الهمذاني فيحدثنا عن الكدية حديثاً طريفاً يتشكل له الأساليب ويعدّد المذاهب ، فلا يترك نوعاً من الكدية إلا يأتينا بنموذج منه ويمثله لنا وكأنه أستاذ فيه .

ومما يجلب النظر في أساليب المكدين التي عرضها علينا أنها ليست غريبة عنا ولا عن عصرنا ، وأنها هي نفسها الأساليب المتبعة عند المكدين المعاصرين وكأنهم توارثوها جيلاً عن جيل .

فمن المكدين من كان يجول في الأسواق رافعاً صوته في الإنشاد :

ويلي على كفّين من سويق أو شحمة تضرب بالدقيق
أو قصعة تملأ من خرديق يفثأ عنا سطوات الريق
يقيمنا عن منهج الطريق يارازق الثروة بعد الضيق(٢)

أو يستجدي قائلاً :

ياقوم قد أثقل دَيني ظهري وطالبتني طلّتي(٣) بالمهر
أصبحت من بعد غنى ووفر ساكن قفر وحليف فقر
ياقوم هل بينكم من حرّ يعينني على صروف الدهر(٤)

---

(١) الحضارة الاسلامية ٢ : ١٠٧ .
(٢) المقامة الازاذية : ١٥ .
(٣) الطلّة : الزوجة .
(٤) المقامة المكفوفية : ٨٤ .

فإذا نال ماطلب من أحد المحسنين أتبعه بالدعاء والشكر :

يامن عناني بجميـــــل برّه أفضى إلى الله بحسن سرّه
واستحفظ الله جميل ستره ان كان لاطاقة لي بشكره
فالله ربي من وراء أجره (١)

ومن المكدين من يتظاهر بالمرض ويمثل دور المصاب المبتلى فيضمد ساقه أو يشدّ يده إلى عنقه أو يعصب رأسه أو يعمد إلى الارتجاف كما شعر بدنوّ أحد المارّة منه . . ومنهم من كان يتظاهر بالعمى كالذي حدثنا عنه الهمذاني في المقامة المكفوفية فهو « أعمى مكفوف » ، ولكنه سرعان مايعرف الدينار من لمسه مما جعل ابن هشام يشك في أمره ويقول « وتبعته فعلمت أنه متعام لسرعة ماعرف الدينار ... ثم فتح عن توأمتي لوز (٢) . . »

ومنهم من كان يكتب حاجته على أوراق يوزعها على الناس ، شأن بعضهم اليوم ، وقد رأى ابن هشام من هؤلاء في أسواق العراق وقال لأحدهم « ألم أرك بالعراق تطوف في الأسواق مكدّيا بالأوراق ؟ (٣) » .

وقد تكون المكدّ طريقة أخرى في سؤاله الناس وذلك بأن يغتنم الفرصة السانحة ويأتي في الوقت الملائم ، وللنفس أحوال تحب أن تصنع فيها الخير كأن يكون الإنسان مقدماً على سفر فإذا هو قبل أن تتحرك مطيّته أمام سائل يتضرع داعياً له بالأمن والسلامة على حين أنه منصرف إلى التفكير في أخطار الطريق ومشاقّ السفر .

(١) المقامة الازاذية : ١٦ .
(٢) المقامة المكفوفية : ٨٦ .
(٣) المقامة البلخية : ٢١ .

وكثيراً مانشاهد اليوم أمثال هذه الفئة من المكدّين يقفون في المحطات أو مراكز انطلاق القطر والسيارات يتصيّدون المسافرين حاثّين بهم داعين لهم بالأمن والسلامة ، ومن هؤلاء ذلك الذي حدثنا عنه ابن هشام في المقامة البلخية حيث قال : « ولمّا حنى الفراق بنا قوسه أو كاد دخل عليّ شاب في زيّ ملء العين .. ولقيني من البرّ في الثناء ، ثم قال : أظعناً تريد ؟ فقلت : اي والله . فقال : أخصب رائدك ولا ضلّ قائدك . فأين تريد ؟ قلت : الوطن . فقال : بلّغت الوطن وقضيت الوطر . . ، قال : إذا أرجعك الله سالماً من هذا الطريق فاستصحب لي عدوّاً في بردة صديق من نجار الصُّفر يدعو الى الكفر ويرقص على الظفر ، كدارة العين يحطّ ثقل الدين وينافق بوجهين . قال ابن هشام : فعلمت أنه يلتمس ديناراً فقلت : لك ذلك نقداً ومثله وعداً ... »(١)

ومن الأحوال التي يحبب فيها الخير الى النفوس أن يكون الانسان في جوّ ديني تسوده روح البذل والتعاون ، أو أن يكون الإنسان منصرفاً إلى تذكّر الآخرة والزهد في الدنيا ، راغباً في الأجر والثواب ... فهو في مثل هذه الأحوال أقرب الى الاستجابة وأسرع الى السخاء . . وقد عرف المكدون ذلك فرابطوا عند أبواب المساجد أو دخلوا على الناس في المساجد فوعظوهم وذكّروهم حتى امتلأت قلوبهم بحب الآخرة ونعيمها والزهد في الدنيا ومباهجها ثم عرضوا على الناس بؤسهم وفقرهم وطلبوا منهم عونهم ومساعدتهم ؛ إنهم كثيراً مابدأوا واعظين مذكّرين وانتهوا سائلين مستجدين !

والطريف أن بعض هؤلاء الماكرين لايدعون مجالاً يسمح للمصلي بالانصراف، فهم يحرجون الناس ويشدّونهم بأغلظ الأيمان لئلا يخرجوا من المسجد قبل

---

(١) المقامة البلخية : ١٨ .

سماع الشكوى ، وذلك على نحو ماحدث لابن هشام في أحد مساجد أصفهان حين فرغ الإمام من ركعتيه ، وأقبل على التشهّد بلحييه ومال الى التحية بأخدعيه ، وقلت : قد سهّل الله المخرج وقرب الفرج . قام رجل فقال : من كان منكم يحب الصحابة والجماعة فليعرني سمعه ساعة ! قال عيسى بن هشام : فلزمت أرضي صيانة لعرضي . فقال : حقيق عليّ ألا أقول غير الحق ولا أشهد إلا بالصدق . قد جئتكم ببشارة من نبيكم لكني لا أؤديها حتى يطهّر الله هذا المسجد من كل نذل يجحد نبوّته . قال عيسى بن هشام : فربطني بالقيود وشدّني بالحبال السود .... »(١) ، وتابع خطابه حتى ملأ جرابه وانصرف .

ومن المكدين من يستجدي بحجة البيع ؛ يزعمون أنهم يبيعون الأحراز والأوراد وكتابات لها عمل السحر ، في تحبيب الأزواج بزوجاتهم أو إخراج الأفاعي من أوكارها ...

ومنهم من يزعم أنه اهتدى بعد ضلال ، وأن عطاء الناس له وتصدّقهم عليه يعصمه من العودة الى ضلاله ، يقول واحد من هؤلاء « ... والآن لما أسفر صبح المشيب وعلتني أبهة الكبر عمدت لإصلاح أمر المعاد بإعداد الزاد فلم أر طريقاً أهدى الى الرشاد مما أنا سالكه . » ثم يقول « ودُفعت إلى مكاره نذرت معها ألاّ أدّخر عن المسلمين منافعها ولا بدّ لي أن أخلع ربقة هذه الأمانة من عنقي إلى أعناقكم وأعرض دوائي هذا في أسواقكم فليشترِ مني من لا يتقزّز من موقف العبيد ولا يأنف من كلمة التوحيد .. »(٢)

---

(١) المقامة الأصفهانية : ٥٨ .
(٢) المقامة السجستانية : ٢٦ .

وقد يزيد في الخداع فيزعم أنه على أهبة الجهاد والغزو وان الجود عليه إعانة له على الجهاد في سبيل الله فيقول:

أدعو الى الله فهل من مجيب … الى ذرا رحب ومرعى خصيب
وجنـــة عاليـــة ما تني … قطوفهـــا دانيـــة ما تغيب
إن أك آمنت فكم ليلة … جحدت ربي وأتيت المريب
ثم هداني الله وانتاشني … من ذلّة الكفر اجتهاد المصيب
فظلت أخفي الدين في أسرتي … وأعبـــد الله بقلب منيب [(١)]

يا قوم وطئت داركم بعزم لا المشق شاقه ولا الفقر ساقه ، وقد تركت وراء ظهري حدائق وأعنابا .. وخرجت خروج الحية من جحره [(٢)] والطائر من وكره مؤثراً ديني على دنياي .. فلو دفعتم النار بشرارها ورميتم الروم بحجارها وأعنتموني على غزوها مساعدة وإسعادا ومرافدة وإرفادا ، ولا شطط ؛ فكل على حسب قدرته وقدر طاقته ولا أستكثر البدرة وأقبل الذرة ولا أرد التمرة ، ولكل مني سهمان : سهم أذلقه للقاء وسهم أفوقه بالدعاء .. » [(٣)]
ولا عجب في أن يزعم الجهاد والغزو لينال المال فقد رأينا جيشاً بكامله يزعم الغزو في سبيل النهب .

ومن المكدين من يطرق عليك الباب ليلاً ليزعم أنه ابن سبيل مقطوع قال ابن هشام « ولما اغتمض جفن الليل وطرّ شاربه قرع علينا الباب ، فقلنا : من القارع المنتاب ؟ فقال : وفد الليل وبريده ، وفلّ الجوع وطريده وحرّ قاده الضرّ والزمن المرّ ، وضيف وطؤه خفيف وضالته رغيف ، وجار يستعدي

(١) المقامة القزوينية : ٩٢ .
(٢) الحية للمؤنث والمذكر ويفرّقون بينهما بالوصف .
(٣) المقامة القزوينية : ٩٤ .

على الجوع .... (١) ، ومثله أيضاً ذلك الذي ذكره ابن هشام في المقامة الناجية . (٢)

ومن المكدين من يلجأ الى استدرار عطف الناس باصطحاب أطفاله معه ، وهو لايتحدث إليك عن فقره وجوعه لأن عطف الأبوّة أنساه ذلك ، وإنما يحدثك عن جوع أولاده وعريهم ، وأنت إن لم تتألم للرجوله الذليلة أو الأبوّة الملوّعة في شخصه فلا بدّ أن تتألم للطفولة الجائعة العارية في أطفاله ، إنه يكلمك بلسانه ويكلمونك بعيونهم ، فإن لم تتأثر بلهجته فلن تقوى على صدّ نظراتهم الزائغة الضارعة . ولقد عرف ذلك خبثاء المستجدين في عصرنا فراح بعضهم يستتبع أطفالاً يزعم أنهم بنوه وما هم بنيه !

وقد ورد ذكر هذا النوع من المكدين غير مرة على لسان الهمذاني فهذا واحد « قد احتضن عياله وتأبط أطفاله (٣) » وهذا آخر « يتلوه صغار في أطمار (٤) » ، وربما قدّم المستجدي طفله ودفعه إلى الكلام فان ذلك أدعى للشفقة وأنفذ في القلب ، وقد دفع بعضهم طفله إلى الكلام فقال : « ماعسى أن أقول وهذا الكلام لو لقي الشعر لحلقه أو الصخر لفلقه ، وإن قلباً لم يُنضجه ما قلت لنيء . وقد سمعتم ياقوم مالم تسمعوا قبل اليوم فليُشغل كل منكم بالجود يده وليـــذكر غده واقياً بي ولده . واذكروني أذكركم ، واعطوني أشكركم (٥) » .

(١) المقامة الكوفية : ٣٠ .
(٢) المقامة الناجية : ١٩٩ .
(٣) المقامة الازاذية : ١٤ .
(٤) المقامة الجرجانية : ٥١ .
(٥) المقامة التجارية : ٨٩ .

ومنهم من يزعم أنه عزيز ذلّ وغنيّ افتقر ؛ « إنكم لن تأنسوا حادثاً ولن تعدموا وارثاً . فبادروا الخير ما أمكن وأحسنوا مع الدهر ما أحسن ، فقد والله طعمنا السكباج وركبنا المهملاج (١) ولبسنا الديباج وافترشنا الحشايا فما راعنا إلا هبوب الدهر بغدره وانقلاب المجن لظهره فعاد المهملاج قطوفاً وانقلب الديباج صوفاً وهلمّ جرّا إلى ماتشاهدون من حالي وزيّي (٢) » .

الكدية الجماعية : ومن الطريف أن بعض المكدّين كانوا يؤلفون جماعات يستغنون بها عن الاطفال ويقدّمون واحداً منهم يسيرون وراءه ويقول الجملة فيعيدونها من خلفه . . ؛ والحق أننا نكاد لانعرف هذا النوع من الكدية الجماعية اليوم . إذ نحن نعرف تلازم مكدّيَيْن أحدهما أعمى مثلاً أو مقعد ، أو تلازم رجل وزوجته ، أو تلازم أسرة بكاملها . أما الكدية الجماعية فقد وصفها لنا الهمذاني في المقامة الساسانية فقال : « فبينا أنا على باب داري إذ طلع علي من بني ساسان كتيبة قد لفّوا رؤوسهم ، وطلوا بالمغرة لبوسهم ، وتأبط كل واحد منهم حجراً يدق به صدره ، وفيهم زعيم لهم يقول وهم يراسلونه ، ويدعو ويجاوبونه .. (٣) » .

وهكذا استعرض لنا الهمذاني أنواع الكدية وأساليب المكدين في عصره ، وقدّم لنا صوراً مختلفة عن تلك الطبقة الفقيرة التي كانت تحتال للقوت ، والتي كانت في عددها متناسبة مع ماذكر من فساد الحال وسوء الوضع في تلك الفترة ، وهي فترة قيل إنه مامرّ على الدولة أسوأ منها ، وحسبنا منها أنها بيعت فيها الدور والمقارات بما يمسك الرمق من الخبز .

(١) المهملاج من البراذين الحسن الانقياد

(٢) المقامة النجارية : ٨٨ .

(٣) المقامة الساسانية : ٩٧ .

٥ ـ قلّة الأمن وكثرة اللّصوص

السياسة والأمن : رأينا أن الأحوال السياسية لذلك العصر كانت مضطربة وأن أوضاع الحكم فيه كانت غير مستقرة ، ولا شك أن ذلك يؤدي في أغلب الأحيان إلى فقدان الأمن وكثرة الجرائم ، ونحن لانزال إلى اليوم نشاهد الأمثلة الكثيرة على ذلك ؛ إذ لاتلبث أن ترتبك سياسة البلاد وتتزلزل أوضاع الحكم حتى تنشط الجريمة ويكثر الفساد ... وما يزال الأمر كذلك حتى يعود الأمر إلى نصابه وتتولى زمام الحكم يد قوية تعرف كيف تضرب على يد البغي والفساد ..

في التاريخ : وكان طبيعياً أن تكثر الجرائم وحوادث النهب في تلك الفترة التي اضطربت فيها شؤون البلاد وأصبحت المناصب الكبرى نهباً مرزّعاً بين الأقوياء ؛ لقد كان بين الناس لصوص يسطون على القوافل في الطرقات وعلى البيوت والمخازن في المدن ، كما كان بين السياسيين والحكام لصوص يسطون على المناصب وينهبون الوظائف ، والناس على دين ملوكهم ، وإذا كان عمران بن شاهين يغتصب السلطة في أرض البطيحة ويستقل بها أيام معز الدولة ، فقد كان معز الدولة نفسه مغتصباً للسلطة مستأثراً بها . ومما يدل على مبلغ الاضطراب وفقدان الأمن ذلك التعرّض الوقح لقوافل الحجاج والتجار حتى بات الحاج لايأمن على حياته ، لقد كان الحج في تلك العصور بسبب ماكان في الطرق البرية من المخافات وقلة الأمن غير ممكن أحياناً أو معرّضاً صاحبه للموت أحياناً أخرى [١] ، وفي كتب

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ٥٩ .

التاريخ أن الحج تعطل غير مرة نتيجة لما حلّ بقوافل الحجاج من قتل ونهب .

وليس خبر الجيش الذي زعم الغزو وقام بالسلب يبعيد عنا ، وقد ذكروا عن جنوده « المجاهدين » أنهم كانوا يخرجون ليلاً ومعهم آلاتهم من السيوف والحراب والقسيّ والسهام ويزعمون أنهم يأمرون بالمعروف فيسلبون العامة مناديلهم وعمائمهم وإذا تمكنوا من تفتيشهم وأخذ جميع ما معهم لم يقصّروا في ذلك (١) .

وحسبنا أن نقول إن العراق لم يتمتع بالأمن قط في أثناء القرن الرابع الهجري (٢) وهو مركز الدولة وفيه قوتها ، فما بالك بالمناطق والأقاليم النائية عنه وعن مركز السلطان ؟

في المقامات : يخصّ الهمذاني هؤلاء اللصوص بنصيب من مقاماتـــه ويذكر أنواعاً منهم متعددة ؛ فيحدثنـا عمن يتعرض منهم للمسافرين في الطرقات كذلك الذي خرج على ابن هشام وصحبه في طريق حمص « ثم اندمج بهم وخدمهم وعمد إلى قوس أحدنا فأوتره وفوّق سهماً فرماه في السماء وأتبعه بآخر فشقه في الهواء . وقال : سأريكم نوعاً آخر ، ثم عمد إلى كنانتي فأخذها ، وإلى فرسي فعلاه ورمى أحدنا بسهم أثبته في صدره ، وآخر طيّره من ظهره . فقلت ويحك ما تصنع ؟ قال : اسكت يا لكع ، والله ليشدنّ كل منكم يد رفيقه أو لأغصنه بريقه ... (٣) » ثم نزع عنهم ثيابهم

(١) الحضارة الإسلامية : ٦٦ .
(٢) المرجع السابق : ٢٩٤ .
(٣) المقامة الأسدية : ٣٧ .

وكاد يذهب بها لولا أن عاجله بعضهم بطعنة قضت عليه ، ومثله الذي خرج على ابن هشام وصاحبه الاسكندري وهما عائدان من الموصل فملك عليها القافلة وأخذ منها الرحل والراحلة ... [1] » .

وأما اللصوص الذين يسطون على البيوت والمحال التجارية ، والنشالون الذين يسرقون من الناس في الطرقات فقد تحدث الهمذاني عنهم طويلاً في المقامة الرصافية حيث قال على لسان ابن هشام : « خرجت من الرصافة أريد دار الخلافة وحمّارة القيظ تغلي بنار الغيظ ، فلما نصفت الطريق اشتد الحرّ وأعوزني الصبر ، فملت إلى مسجد قد أخذ من كل حسن سرّه وفيه قوم يتأملون سقوفه ويتذاكرون وقوفه ، وأداهم عجز الحديث إلى ذكر اللصوص وحيلهم والطرّارين وعملهم ... [2] » ثم يتابع ذكر أسمائهم وتعداد أنواعهم حتى زاد على السبعين نوعاً ، ثم جعل هذه المقامة مصدراً ، دعماً ، للصوص والنشالين أو لمن يريد أن يعرف شرّهم ويدفع عنه أذاهم ، كما جعلها ، من ناحية ثانية ، صورة من صور الأخلاق الفاسدة والبؤس المنتشر ...

(يتبع) الدكتور مازن المبارك

---

(١) المقامة الموصلية : ١٠٣ .

(٢) المقامة الرصافية : ١٦٥ .

دراسات في العربية[١] والألسنية[٢]

ليس بين كل البلاد التي تضاهي جزيرة العرب حجماً ، أو بين كل الشعوب التي تناهز العرب في الأهمية التاريخية والمكانة العالمية بلد أو شعب ناله من إهمال الباحثين في العصور الحديثة ما نال الجزيرة العربيـــة والشعب العربي[٣] » .

بهذه العبارة الصريحة المريرة صدر زميلنا الكبير الدكتور فيليب حتي كتابه القيم (تاريخ العرب) « مكميلان » ، لندن ونيويورك ، منذ نيف وثلاثين سنة .

والواقع أن الباحثين لم يهملوا جزيرة العرب والشعب العربي حضارة وعمراناً فحسب ، بل أهملوها لغة وأدباً أيضاً ، وربما كان لإهمال اللغة العربية سبب وجيه كصعوبة البحث فيها مثلاً من قبل بحاثين لم يقضوا في دراستها أكثر من ثلاث إلى خمس سنوات ، في معاهد أوروبية أو أمريكيـة . ويذكر عن لسان مستشرق أمريكي شغل كرسي الدراسات العربية في جامعة هارفارد أنه كان يقول : « إن صعوبة دراسة اللغة العربية لا تتجاوز سني

(١) المقصود بهذا الاصطلاح « اللغة العربية الفصحى أصواتاً وكلاماً وصرفاً ونحواً » .

(٢) أي علم اللغة التحليلي — التطبيقي ، لِنْغْوِسْتِكْس .

(٣) فيليب حتي وادورد جرجي وجبرائيل جبور : (تاريخ العرب) ، « مطول » ، بيروت ، دار الكشاف ، الجزء الأول ، الصفحة الأولى ، هذا الكتاب هو ترجمة كتاب الدكتور فيليب ك. هيتي : هِسْتْري أفْ ذي أرَبْز الذي نشرته دار مكميلان المرة الأولى في عام ١٩٣٧ .

الدراسة الخمسين الأولى . » ولا يخفى أن لتصريح كهذا أثره في نفس الطالب الغربي ؛ إنه ، بالرغم من فكاهته ، تصريح من النوع الذي يعلق في ذهن سامعه فيترك أثراً سلبياً هائلاً لا يلبث أن يفعل فعله في ميول الطالب العملية فيحوله عن العربية والأدب ويدفعه إلى سواها من الدراسات . . .

ولقد كان من نتائج إهمال البحث في اللغة العربية أن أغمط حق علماء الألسنية العرب فلم يذكر تاريخ العلوم الألسنية لهم فضلاً في تطور هذا العلم الحديث وبناء صرحه . فالطالب العربي والأجنبي على السواء يجد أبحاثاً متعددة تتناول العرب ديناً وشرعاً ، أمةً ودولاً ، وجغرافية وتاريخاً ؛ ولكنه ، إذا ما تصدى للتحري عن مصادر رئيسية في لغة أجنبية ، تبحث في لغة العرب ومساهمة علمائها العرب والمستعربين في بناء صرح العلوم الألسنية والنهوض بها وعزلها عن الخرافات والأوهام ، وجد أن دون غرضه خرط القتاد . والقليل القليل المتوفر من هذه الدراسات اللغوية النادرة لا وجود له إلا في خزائن كبار المستشرقين (١) ، وعلى رفوف مكتبات أمهات الجامعات الغربية (٢) ، ولذلك نجد النبه من خريجي الجامعات الغربية ، في العلوم الألسنية ، لا يزال يعتقد بأن هذه العلوم الحديثة ولدت في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) علماء الساميات خاصة من أمثال : دي ساسي ، ڤلايشر ، ڤرايتاغ ، فوايرس ، فيشر ، رايت ، بلوخ ، يشمانوف ، ڤليش ، بركلاند ، شبيتالر ، الخ .

(٢) كمكتبات جامعات هارڤرد ، وكولومبيا ، وبرنستن في الولايات المتحدة الأمريكية ، مثلاً .

بور رويّال [1] وبدأت نموها العلمي الحديث بفضل السِرْ وليَمْ جونْز [2] ... بينا الحقيقة العلمية تقرر بأن العرب، تسعة قرون قبل بور رويّال، ونيف وألف سنة قبل وليم جونز ، أنجبوا علماء كان لهم في ميدان العلوم الألسنية شؤون . ففي القرن الثامن الميلادي ـ وربما قبل ذلك بقرنين أو أكثر [3] ـ كان علماء الألسنية من العرب والمستعربين يتجادلون في ماهية الصوت وكيفية حدوثه ، وفي ذاتية الحرف ، وكيفية حرفه ؛ وكان منهم من يخرج إلى المناطق المنزولة في الصحراوات العربية للاستماع إلى اللغات واللهجات المتحدث بها هناك وللاستماع إلى لغة من هو في عروبته عريق من الذين إذا تكلموا أجادوا وما لحنوا .

أين هذه الحقائق التاريخية الثابتة مما يقوله مستشرقو الغرب وعلماؤه من أمثال هُلْجير پدرْسونْ الذي يقرر ، بحق ؛

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) پور رُوَيّالْ دِي شانْ ، دير يبعد ثمانية أميال تقريباً من فِرْساي ْ بالقرب من باريس ، أسست فيه مدرسة دينية عام ١٦٤٣ م درّس فيها لأول مرة غراماطيق لاتيني (١٦٤٤ م) وآخر إغريقي (١٦٥٥ م) من تأليف لانْسِلو — رَجي ، إي سانْديزْ ؛ إي هِستْري أفْ كْلاسِكالْ سْكالَرْشيپْ . نيويورك ١٩٥٨ ، المجلد ٢ ص ٢٩٠ .

(٢) السِر وليم جونز ، ١٧٤٦ — ١٧٩٤ ، مستشرق انكليزي ذائع الصيت وأول من لفت نظر علماء الغرب إلى صلة القرابة اللغوية بين اللغة السنسكريتية الهندية واللغات الأندو ـ أوروبية المنتشرة في أوروبا الغربية ، وخاصة اللغتين الإغريقية واللاتينية الكلاسيكيتين .

(٣) هناك من يقول بأن المبشرين المسيحيين قد ترجموا التوراة والأناجيل إلى العربية قبل نزول الوحي على الرسول العربي . فإذا صح هذا القول ـ وهو لا يزال بحاجة إلى إثبات ـ كان علماء الألسنية من العرب والمستعربين قد بدأوا وأتموا دراسة العربية في العصر الجاهلي .

« أورث العالم القديم (يعني بذلك الإغريق والرومان) أوروبا ميراثاً مثقلاً بالأوهام في تاريخ اللغة ... »

« وكان انتشار المسيحية مطلع المرحلة الأولى في تاريخ العلوم الألسنية في أوروبا . فلقد جلبت معها أولى الانبساطات في أفق العلوم الألسنية ... »

« وكذلك تدين العلوم الألسنية الحديثة للبوذية بدين كبير ... »(١)

ولكنه يختتم قوله بتصريح لا يمتُّ إلى الحقيقة العلمية بصلة ، فيقول :

« ليس هنالك من سبب قط لشكر المحمدية (يعني الإسلام) في هذا المضمار . » (٢) أو العلامة بِسْيِرسِنْ الذي يتجاهل في أبحاثه مساهمة العرب والمسلمين في تصعيد العلوم الألسنية والارتقاء بها إلى مصاف العلوم الحديثة في الغرب ، فيقرر بأن هذه العلوم ولدت عندما بدأ الناس يتساءلون لماذا لا يتكلم البشر جميعاً لغة واحدة ؟ كيف خلقت الكلمة ؟ ما هي الصلة بين اسم الشيء الحقيقي وذاتيته ؟ ولماذا يسمى هذا الشيء كذا عوضاً عن كيت ؟ الخ . ثم يتابع بسيرسن عرضه التاريخي هذا فيقول بأن اليهود هم سبب الفوضى في العلوم الألسنية إذ علَّم أنبياؤهم بأن اللغة هي من وضع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) إنْسْ بدرْسونْ ، سبْبروغْبيدِ نْسْكابِإيدِتْ نِيتْنْنْدي آرْهُنْدْرِدي : ميتودرْ اوغْ رِزيلْتاتِرْ كوبنهاغن ١٩٢٤ وقد ترجم إلى الانجليزية جون وِبْسْتِيرْ سبْراغو ونشر في كامبريدج ، ماس ، عام ١٩٣١ بعنوان لِنْجْوِيسْتِك سايِنْس إنْ ذي نايْنْتِينْ سِنْتْشِرِي : مِيتُدْزْ إنْد رِزَلْطْزْ . ر َ الصحيفة التاسعة حيث الاشارة إلى البوذية تهدف المدرسة اللغوية الهندية التي تبلورت أسسها العلمية وظهرت في أبحاث بانِني .

(٢) المصدر ذاته ، التعليق والهوامش ستأتي فيما بعد .

الإله ، خالق كل شيء . ويزيد فيقول بأن الاغريق القدماء أيضاً سببوا تشويشاً في هذا المضار إذ عالجوا موضوع الألسنيات معالجة فلسفية موضوعية فقال قسم من فلاسفتهم بأن اللغة وجدت وتطورت بصورة طبيعية (فوزيي) وقال آخرون بأنها وضع متوافق عليه (ثوذيي) . ثم يشير هـــذا العالم الغربي إلى أهمية ترجمة التوراة والأناجيل إلى اللغة القوطية في القرن الرابع الميلادي [1] متجاهلاً تمام التجاهل الترجمة الروسية للكتاب المقدس التي وضعها كيريلُس ومِتوديوس في القرن التاسع [2] والتي لا تقل أهمية عن الترجمة القوطية . أما القرون الوسيطة فإن يسبرسن يؤكد بأنها لم تنتج السنيًا ما يستحق الذكر وبأن هذا الحال المتم الكالح لم يزُل إلا بفضل السر وليم جونز [3] ...

وهكذا نجد الطالب المتخرج في العلوم الألسنية من جامعات الغرب ما زال كسلفه يظن بأن القرون الوسيطة وحتى القرون السبعة التي سبقتها كانت قروناً جرداء خالية لم ينتج خلالها في العلوم الألسنية إلا ما سجله پانيني وخلفاؤه من علماء الهنود . هذا الوهم هو المسؤول الوحيـــد عن تصريحات علماء الغرب الذين يقولون بأن العلوم الألسنية لم تتقدم خطوة واحدة خلال الزمن الواقع بين عهد پانيني الهندي وبور روايال الفرنسي .

---

(١) الترجمة المعروفة باسم « ترجمة وُلفيلا أو وُلفيلاس » التي يتفق المؤرخون على أن تاريخها هو ٣٨٣ ميلادية .

(٢) آ. لِسْكِين : « سْلافيشيه إيبرْسيتزونغ » في سلسلة تِيكْسْت اونْدْ ايبَرْسيتْزونغ درْ بيبلْ المنشورة في لايبزيغ عام ١٨٩٧ ص ٢١١ .

(٣) انظر المقال المعنون « غْرامَرْ إنْدْ غْرامارْ يَنْزْ » في اوكسفُرْد كْلاسْكالْ ديكْشَنَري المطبوع في أكسفورد عام ١٩٤٩ .

وإذاً ، فالهدف من هذه الدراسة (وما سيليها من دراسات في العربية والألسنية) هو تعريف القسم الأكبر من المتخرجين وذوي الاختصاص في العلوم الألسنية بفضل العرب والإسلام في تطور هذه العلوم وعرض حقائقها التاريخية عرضاً يستند إلى وثائق لا مجال للشك فيها لا تاريخاً ولا نصاً ، وثائق نشرت لا في القاهرة ودمشق وبيروت وبغداد فحسب ، بل وأيضاً في لندن وأكسفورد واوسلو ولايبزغ وبرلين وباريس . ولسوف نبدأ هذه الدراسات بالتحري عن فضل الإسلام والمسلمين من عرب ومستعربين في الأبحاث الصوتية (فُنيتيكس) .

بدءُ اهتمام العرب بالعلوم الألسنية

ليس من السهل تحديد تاريخ اهتمام العرب بالعلوم الألسنية . إن أول دليل على هذا الاهتمام هو الدليل الكتابي المتوفر لنا من خـــلال الآثار والنقوش التي عثر عليها حتى تاريخ تحرير هذا البحث . وربما عثر فيما بعد على نقوش وآثار كتابية أقدم من المراجع التي اطلعنا عليها حتى هذا التاريخ ؛ في هذه الحال ، يجب إعادة كتابة هذه المقدمة الوجزة وإبدال ما نعتبره اليوم كمطلع فجر العلوم الألسنية العربية ، ورده إلى تاريخه الصحيح الذي نعتقد بأن علماء الآثار سوف يوفّقون إلى اكتشافه . وإذاً ، فان هذه المقدمة ليست سوى حجرة مسافة موقتة نضعها على مفرق طريق طويل لا نعرف حتى الآن أين مبدأه وإن كانت لدينا فكرة واضحة عن منتهاه .

إن الآثار والنقوش التي اكتشفت حتى الآن هي كل ما لدينا اليوم من مصادر في دراسة الألسنية العربية القديمة . ومن أقدم وأوثق هذه الآثار آثار سيناء والنقوش المصرية القديمة التي يعود تاريخها إلى أولى السلالات الفرعونية ،

والتي تحتوي على ذكر وصور لأعراب عملوا في المناجم المصرية في شبه الجزيرة المذكورة (١) . وليس هنالك من شك في أن تلك الصور المصرية القديمة هي لعرب البادية ، إذ يؤيد هذا الرأي وجود صور مشابهة لها لأقوام دعوا في اللغة الأشورية أربي ، أي أعراب / عرب ، اكتشفت في العراق الحديث . فإذا ما اعتبرنا أولئك « الأربي » عربا — وهذا افتراض منطقي — تمكنّا من التقرير بأن الفكر الألسني العربي بدأ في التاريخ القديم البعيد ، وتبلور خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، أي قبل الاغريق واليهود والهنود بقرون . فأعرابنا هؤلاء اهتموا بلغتهم اهتماماً علمياً دفعهم إلى محاولة إبداع صور للكلام العربي ، أي إلى كتابة لغتهم القومية . ومعلوم أن فن الكتابة هو الدليل الأول على نضوج الفكر الألسني .

أما إذا وجد من يعارض هذا القول مشيراً إلى أن الدلائل على اعتبار « الأربي » المشار إليهم عرباً هي غير وافية — وهذا من حق العلماء ، طبعاً — فإننا في هذه الحال نملك حق الإشارة الى نقوش الجزيرة العربية — وهذا حق لا يمكن الاعتراض عليه . ففي جنوبي جزيرتنا الكبرى اكتشفت حتى اليوم نقوش يعود تاريخ أقدمها إلى حوالي عام ٩٥٠ قبل المسيح ، نقوش تدل بوضوح على نضوج التفكير الألسني لدى العرب القدماء نضوجاً تاماً لا يقبل الريب ، وصل إلى ذروته أربعة قرون قبل ولادة ارسطاطيس

(١) رْ ڤلانْدِرْزْ پِتْرى : رِيسِرْشَزْ إنْ سايْناي . لندن ، ١٩٠٦ ؛ وانظر مثلاً البحث الذي نشره غارْدْنَرْ في جِرْنال أفْهاجيپْشان أرْكيولجي ، ٣ ، ١٩١٦ ، ص ١ — ١٦ ، وأيضاً المصادر المذكورة في هوامش الصفحة السادسة من كتابنا لِنْجوِسْتِيكْس إنْ ذى مِدْل آجِز : فونِتِك سْتَدي إنْ أرْلي إسْلام ، لايدن ، ١٩٦٨ .

فيلسوف الاغريق الذي ندين له بفكرة تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف . . . .

وإن في النقوش التي اكتشفت لعرب الجنوب لأوفى دليل على أن العرب سبقوا الغرب بقرون في العلوم الألسنية وخاصة في علوم الصوت (فونتيكس) الذي يعتبر حجر الزاوية في الدراسات الألسنية . هؤلاء العرب القدماء درسوا لغتهم أصواتاً وكلاماً فأبدعوا في أبحاثهم وارتقوا بها إلى درجة من الكمال قلَّما بلغتْ حتى في عصرنا الحاضر (١) فلقد ميزوا بين أصوات لغتهم بين حروف لم يتمكن علماء (٢) الغرب من معرفة وتحقيق مخارجها بالضبط حتى اليوم فمرقوها بـ (س١ ، س٢ ، س٣) ، أي حروف السين والشين والصاد وحرف ربما كان بين السين والصاد (؟) والزاي والظاء .

إننا لعلى حق عندما نقرر ونقول بأن العرب أسدَوا أكبر الفضل وساهموا أكبر المساهمة في تطوير وتعميم المعارف الألسنية . أين هذه الحقيقة مما يقرره علماء الغرب ويقولونه كتابة ومحاضرات بأن العرب والمسلمين لم يساهموا قط في تطوير العلوم الألسنية ؟

* * *

---

(١) انظر كتاب « ألتسود أرابيشه غرامتاتيك » لماريا هيفنر المطبوع في لايبتزيغ عام ١٩٤٣ وكتاب كنرستوماتيا أرابيكا مريديونالس إيغرافيكا لكونتي روسيني المطبوع في روما عام ١٩٣١ .

(٢) هكذا عبر عن هذه الأصوات ولف ليسلو في كتابه « ليكسيك سوكوتري » باريس ١٩٣٨ » (؟) .

كان عرب الجنوب أصحاب تجارة ، وكانت قوافلهم تجوب الشرق العربي من أقصاه إلى أقصاه ، طلباً للكسب عن طريق التبادل التجاري المنتج . وكانت لهذه القوافل خانات تحط فيها طلباً للراحة بين كل مرحلة وأخرى . ونمت تلك الخانات حتى أصبحت جاليات مستقلة استوطنت طوال الطريق من الجنوب إلى الشمال ، ومن الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي . وإن لدينا من المعلومات العلمية الصحيحة المستندة إلى وثائق صحيحة الكثير مما تضمنته كتب وأبحاث كثيرة يسرنا أن نشير إلى أهمها ألا وهو الكتاب القيم الذي ألفه السيد الدكتور جواد علي في تاريخ العرب قبل الإسلام والذي طبع ، في أجزاء لدينا منها ثمانية ، بإشراف المجمع العلمي العراقي ، فليرجع إلى هذا المصدر الوثيق .

وكان من جرّاء الاتصال الحضاري بين عرب الجنوب وعرب الشمال أن توحدت الكثير من العادات المعاشية والحضارية بين القومين . ومن جملة ما تعلمه عرب الشمال من إخوانهم الجنوبيين فن الكتابة كما تدلنا عليه النقوش التي عثر عليها في جنوبي الجزيرة وشمالها ، والتي يعود تاريخ بعضها إلى القرن السادس قبل المسيح ، صاعداً بعد ذلك إلى حوالي القرن الرابع الميلادي[1] ؛ هذه

---

(١) انظر كتاب وِنِّتْ المطبوع في كندا عام ١٩٣٧ بعنوان (إي صَنْتَدي أَفْ لِهْينابِتْ إنْدْ ثَمودِكْ إنْسْكْرِبْشَنْز) وكتاب كاسْكِل المطبوع في كولونية بألمانية الغربية عام ١٩٥٤ تحت عنوان لِحْيان أُونْدْ لِحْيانِش وكتابي لِتْمان المطبوع أولهما في برلين بعنــوان تْسور إنْتْسيفِرونْغ دِرْ ثَمودِنيشِنْ إنْشْرِفْتِنْ والآخر في لايبزيغ عام ١٩٤٠ بعنوان ثَمودْ أُونْد صَفا . وراجع أيضاً كتاب فان دِرْ بْرانْدِنْ المطبوع في لوفين ، بالبلجيك تحت عنوان ليزانسْكْروبسيون ثَموديِّنْ . وأيضاً الباب الأول القسم الأول آ من كتابنا لِنْجْوِسْتِكْس إنْ ذِي مِدْلْ آجز . فونِتِكْ صَنْدِز إن إرْلي إسْلام المطبوع في لايدن عام ١٩٦٨ ومصادره والوثائق المستند إليها فيه .

النقوش تدل على وجود الفباء عربية مؤلفة من ثمانية وعشرين حرفاً تشبه شبها كبيراً الألفباء التي استعملها عرب الجنوب . وأقرب هذه النقوش الألفبائية شبهاً بحروف العربية النقش النبطي . ومعلوم أن النبط أقوام عرب استعملوا اللغة العربية في حياتهم اليومية بينا كتبوا باللغة والقلم الآرامي المؤلف من اثنين وعشرين حرفاً (١) . وربما كانت النقوش النبطية هذه أصل الخط العربي الذي تطور فأصبح الخط الذي نستعمله اليوم . وسيكون لنا في هذا المجال شوط آخر ....

أما بصدد ما يظنه العلماء من أن المبشرين المسيحيين القدماء قد تركوا أثراً في هذا المضمار فإن العلماء هؤلاء لا يزالون في حيرة من أمرهم اذ لم يعثر حتى الآن على أثر كتابي مسيحي بحت تركه المبشرون القدماء خلال عملهم الديني في شبه الجزيرة العربية ، قبل مجيء الرسول برسالته الخالدة التي كان من جملة ما أسدته للعالم من قيم ونعم لغة رفيعة معبرة خلاقة وأدباً عالياً إنسانياً نبيلاً ، "خلد" بخط جميل لم يعرف البشر مثيلاً لكماله الصوتي حتى تطور العلوم الصوتية في الغرب ، الذي أدى إلى وجود الخط المعروف بالخط الصوتي العالمي في عصرنا الحاضر .

★ ★ ★

(١) انظر الأبواب الخامس والسادس والسابع من كتاب الدكتور فيليب حتي (فِليب كي هِتّي) هِسْتُري أفْ ذي أرَبْز ، الطبعة التاسعة ، ١٩٦٧ ، والباب الثاني من كتابنا المذكور في الحاشية السابقة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان فن الكتابة معروفاً في الجاهلية ، وقد استعمله المكيون في معاملاتهم التجارية كما استعملوه وغيرهم من العرب في بعض الأحوال غير الاقتصادية في العصر الجاهلي [1] . وهنالك على الأقل دلائل ثلاث تؤيد هذا الرأي :

أولاً : كلام الله في قرآنه العربي حيث وردت كلمات عديدة تشير إلى هذا الفنّ ودقائقه ومفرداته كـ : كتاب ، قلم ، صحيفة ، قرطاس ، سفر ، قطّ ، رقّ ، دواة ، سطر ، حبر ، مجلة ، نسخة ، سجل ، قمطر ، جرسيس ، ختم ، الخ .

ثانياً : إشارات عديدة إلى فنّ الكتابة في القرآن الكريم وفي سيرة رسول الله (ﷺ) ، مثلاً :

آ : القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجَل مسمّى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علّمه الله ، فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتّق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً ، فان كان الذي عليه الحقّ سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يملّ هو فليملل وليّه بالعدل ،

(١) انظر مثلاً مارك لدزبارسكي : هاندبوخ در نوردميتيشين إبغرافيك نيبست أوسغيفيلتين إنشرفتين (فايمار ، ١٨٩٨) ، خليل نامي (أصل الخط العربي وتاريخ تطوره قبل الإسلام) (القاهرة ، ١٩٣٥) . وج . كانتينو لي نابانيين (باريس ، ١٩٣٠ ـ ١٩٣٢) .

واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين ، فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ، إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا إذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وإن تفعلوا فانه فسوق بكم ، واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ». وأيضاً سورة النور ، الآية ٣٣ : « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ، والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ، ... إلى نهاية الآية ... » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب — سيرة سيدنا محمد رسول الله ، ﷺ (تحقيق ف . فوستنفلد ، غوتنغين ، ١٨٥٨ ، ص ٣٣٢) وسواها [١] حيث نجد الرسول يأمر كتبته بالكتابة ، مثلاً ، السيرة : « أنا سراقة بن جشعم انظروني أكلمكم فو الله لا أريبكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه قال فقال رسول الله (ﷺ) لأبي بكر قل ما تبتغي منا ، قال فقال لي ذلك أبو بكر ، قال فقلت تكتب لي كتابا يكون آية بيني وبينك ، قال اكتب له يا أبا بكر ، قال فكتب لي كتاباً في عظم أو في رقعة أو في خزفة ثم ألقاه إلى ... »

---

(١) مثل الكامل للمبرد ، وأسد الغابة لابن الأثير ، وتاريخ اليعقوبي وخميس الديار بكري ، حيث يجد الباحث كثيراً من الاشارات الدالة على معرفة العرب القدماء بفن الكتابة .

ثالثاً : في الشعر الجاهلي حيث نجد عدداً كبيرا من الأبيات التي تحتوى على إشارة الى فنّ الكتابة العربية ، مثل :

أتت حجج بعدي عليها فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان

من شعر امرىء القيس في ديوانه الذي حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ونشرته دار المعارف بمصر في سلسلة ذخائر العرب رقم ٢٤ — ص ٨٩ (١) .

ولكن هذا الفن العقلي — العملي الهم لم يتقدم تقدماً محسوساً حتى بزوغ فجر الاسلام وشمسه على العالم في شبه الجزيرة العربية . فالإسلام هو دين سماوي أساسه « الكتاب » والكتاب كتاب الله أنزله على رسوله في أوانه ، معجزة ما زال البحث في ماهيتها أمراً غير مستحب ، كما هو الحال في جميع الأمور الروحانية التي هي من الله وله . وعليه فإننا في ذكرنا لكتاب الله لن نحاول أكثر من النظر فيه شكلا ووصفا لغويا من حيث انه ، علاوة على كونه وحدة روحانية تامة ، هو أيضا ، في شكله المادي ، وحدة لغوية تامة ، كتاب في صحائف معدودة يحتوي على مادة لغوية معينة غير قابلة للتصحيف والتغيير . ففي هذا الصدد ، نجد آيات القرآن الكريم إنما كتبت اول ما كتبت بخط قريب الشبه بالخط النبطي ، متحدر منه بلا شك . ومعلوم ان الأنباط كانوا عربا .. وبظننا أنه لو لم يمن الله على العرب برسول منهم تلقى « الكتاب » وحياً أنزل عليه بلسانهم لما تطورت العربية لسانا وكتابة وأدبا وعلوما ، ولما وصلت إلى ما وصلت إليه من الكمال بتلك السرعة الهائلة ، التي لا نجد في تاريخ الأمم وتاريخ الألسنية ما يماثلها ويضاهيها .

---

(١) جمع ج فيدَرْ كَرْن الكثير من هذه الشواهد ونشرها في العدد العاشر من اوبْسالا اونيفِيرْسيتيتس اورْسْكْرِفْتْ عام ١٩٤٨ ، وانظر أيضاً بحثاً لنا في مجلة (ذى مسلم ورلد) الأمريكية ، العدد ٥٦/٣ لعام ١٩٦٦ بعنوان « اِدْجوكيشَنْ إنْ إسْلامْ فْرَمْ ذي جاهلية تو ابن خلدون » ص ١٨٨ ــ ١٩٨ .

هذا ما نراه على أساس معرفتنا الشخصية التي وصلنا إليها عن طريق الدرس والتمحيص . وطبعاً ليس هنالك ما يمنع الغير من مخالفة رأينا هذا ومعارضتنا فيه معارضة علمية رصينة . والواقع أن هنالك البعض ، من عربي أديب ، ومستشرق عالم ، ممن لا يرون رأينا هذا ... والفرق بيننا ان الرأي الذي نبديه تدعمه دلائل وشواهد نظرية ومادية ، بينما لا يدعم رأي معارضينا سوى نظريات احتمالية لا قيمة علمية لها .

أما وقد قررنا بأن الدين الحنيف هو المسؤول الأول عن تطور العربية وعلومها ، فانه ليجدر بنا الآن أن نبين بايجاز كيفية ذلك ونتائجه .

في القرآن الكريم ، سورة المزمل ، الآية الرابعة ، نجد الأمر بترتيل « القرآن ترتيلا » ، وبرأينا أن هذا الأمر الصريح هو نقطة الانطلاق في تطور العربية وعلومها . ومعلوم أن العرب القدماء « أنشدوا » الشعر إنشاداً ولم يلقوه إلقاء كما هي العادة في النثرمن خطاب وخطابة وقصة . ومعلوم أن إنشاد الشعر لم تكن له قواعد يعرفها الإخصائيون بذلك ، ويتبعونها بدقة وإخلاص . فلقد كان كل شاعر وراوية إنما ينشد الشعر انشاداً على سليقة فردية . أما « ترتيل » القرآن — والفرق بين القرآن والشعر هو فرق أساسي واضح — فما كان ليجوز فيه التحرر من تقليد أقرأه الرسول ووجب التقيّد به . وطبيعي أن يجري هذا التقليد النبوي مجرى القانون على كل من آمن بالله ورسوله . وهنا ظهرت عوامل ثلاثة :

اولاً : لم تكن لغة سكان الجزيرة العربية واحدة موحدة في القرن السابع الميلادي ، إذ كان هنالك لغات قبلية تختلف واحدتها عن الأخرى أصواتا ومفردات وتركيباً . ومعلوم أن الرسول كان قرشياً ، وان قريش كانت قمة

ARCHIVE

الهرم الاجتماعي العربي ، وإذاً ، مرجعه في جميع الأمور الحضارية ، بما في ذلك اللغة . ونزل القرآن على محمد بن عبد الله بلسان لا يمكن ان يكون فيه أي اختلاف عن لسان الرسول . ويؤيد هذا ما نقرأه عن أوائل المسلمين ، وإصرارهم على تدوين كلام الله بلغته الأصلية ، لغة قريش ، مقرّين عن علم ومعرفة بأن ذلك الكلام إنما أنزل على رسولهم بلغة قريش نفسها [1] .

ثانيا : عندما توسعت رقعة الاسلام وامتدت عبر حدود الجزيرة العربية ، ابتدأ الناس ، من غير العرب ، يدخلون في الدين الحديث زرافات . ومعلوم أن المسلم ، مهما كانت جنسيته ومهما كان لسانه ، يدين لربه بواجب الصلاة وقراءة ماتيسر من « الكتاب » بلغة « الكتاب » .

وإذاً ، فلقد كان على كل مسلم ، عربياً كان أم أجنبياً تعلّم قراءة العربية تعلّماً صحيحا يمكّنه من تأدية واجباته الدينية على سنّة الله ورسوله .

ثالثاً : كان المسلمون الذين اعتنقوا الإسلام في الشام ومصر وفي العراق وفارس أقدم عهداً بالحضارة من عرب الجزيرة ، وكان جلهم من المسيحيين وبعضهم يهود . وهؤلاء كانوا على معرفة بتقاليد الشريعتين : المسيحية والموسوية ، فيما يتعلق بكتبهم الدينية من توراة وأناجيل ، وكذلك كان بعض العرب ممن تنصّر وتهوّد ، أو عاشر أهل الكتاب ، أو على الأقل ، رأى رهبان وكهنة المسيحية يمارسون طقوسهم الدينية ويعنون بكتبهم المقدسة [2] ، فكان من

---

(١) انظر المقنع للداني والإتقان للسيوطي واو. بْرِتْزِل ْ اورتوغرافي اوبْدْ بونْكتيروتْغْ دِسْ كُرانْ (اسطنبول ، ١٩٣٢) و آ . جِفْري مَتِيرْيلْزْ فورْ ذي هِسْتْرِي أفْ ذي تِيكْسْتْ أفْ ذي قُرآنْ لايْدِن ، ١٩٣٧) وأيضاً ح . رابين آنْشِنْتْ وَسْتْ أرابْيَنْ (لندن ، ١٩٥١) وحوده (القراءات واللهجات) (القاهرة ، ١٩٤٨) .

(٢) أتت حجج بعدي عليه فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان

وقد تقدم ذكر هذا البيت في حاشية سابقة .

الطبيعي أن ينظر هؤلاء المسلمون الجدد إلى كتاب الله ، ويقرءونه بكثير من التقوى والخشوع . والقرآن الكريم ، كان ولا يزال في نظر المسلمين ، أعظم شأناً من الكتب السماوية الأخرى ، ولذلك كانت هنالك حاجة ماسة لحفظه تاماً كاملاً لا يشوبه نقص لا في كلامه وتركيبه ولا في تجويده : وكانت هنالك ضرورة لتعليم الناس قراءة آياته البينات قراءة صحيحةً لا لحن فيها ، خاصة وقد وقف بعض الصحابة على ما كان المستعربون يرتكبونه من الخطأ في قراءة « الكتاب » إذكانوا يجوّدونه دون إلمام علمي بإعرابه فيقعون في أخطاء شنيعة (١) .

وهنا بدأت المصاعب تظهر للعيان . فالخطّ العربي الذي رُسم به المصحف في عهد عثمان ، والذي أرسلت نسخ منه إلى كل من مكة المكرمة والبصرة والكوفة والشام ، كان خطاً لم يصل بعد إلى الكمال ، مثلاً :

آ . كان الحرف غير منقوط ، وكانت بعض الحروف . تمثل عدداً من الأصوات فالباء ، والتاء ، والثاء والنون في مطلع الكلمة ووسطها ، كانت تكتب سواء ، وكذلك الجيم والحاء والخاء ، والدال ، والذال ، والراء والزاي ، والسين والشين ، والصاد والضاد ، الخ .

ب . وكانت الكلمة غير معجمة ، غير محركة او منقوطة بالشكل ، فكانت آنذاك تمثل عدداً من الكلم : و َكلم ، مثلا ، كان يمكن ان ُتقرأ : كَلَمَ ، كَلِمَ ، كُلْمٌ ، كِلَمٌ ، الخ .

ج . ولم يكن هنالك ما يعبر عن الألف الطويلة وما يشير إلى الإدغام ، فكانت كلمة كلم يمكن ان تقرأ كلّمَ ، كُلّامٌ ، كالَمَ ، كِلامٌ ، الخ .

واذا ، كانت المشكلة الأولى التي وجب التغلب عليها هي تمييز حروف العربية التي شابه أحدها الآخر . ولم يمكن تمييز الحرف بالنقط غريباً عن ثقافات

(١) سوف نتعرض لهذه الناحية الفنية بالبحث مطولاً في القسم الثالث من هذا المقال .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشرق الأوسط ، فاللغة السريانية مثلا ، وقد تشابه في البدء بعض حروفها ، استعملت النقط بنجاح لتمييز حرف عن شبيهه (١) . وطبيعي أن يكون أول ماخطر لذهن العالم العربي آنذاك ، استعمال النقط لتمييز حروف العربية . وطبيعي أيضاً أن تكون هذه الطريقة وتطبيقها قد استغرقت أمداً من الزمن قبل استقرارها على حال نهائي ، يدلنا على ذلك :

أولاً : ان تمييز حرف الفاء عن القاف كان بنقطة فوق الأولى وأخرى مثلها تحت الثانية (ولا يزال هذا التقليد شائعاً في المغرب العربي حتى اليوم) ثم تطور فأصبح تمييز هذين الحرفين بنقطة فوق الفاء واثنتين فوق القاف .

ثانياً : ان حرف الشين ميّز أول الأمر عن السين بنقط ثلاث متوازية (أفقية لا هرمية كما هي الحال الآن) ، ويظهر أن هذا الحال قد أدّى إلى الخلط بين الشين وبين الثاء والنون أو النون والثاء فنجم عن ذلك إبدال نقط الشين بالشكل الهرمي المعروف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثالثاً : ان نقط التاء المربوطة لم يصبح تقليداً مفعولاً به إلا بعد انصرام مدة من الزمن كتبت التاء المربوطة خلالها كالهاء .

أما هذه الطريقة في تمييز حروف العربية المتشابهة فقد عرفت منذ البدء بالإعجام أو التنقيط أو النقط (٢) . ويظهر أن النقط قد دخل العربية بالتدريج كما تدلنا على ذلك مخطوطات عربية قديمة . ولم يرق هذا التجديد في نظر

---

(١) انظر كتابنا لِنْغْوِيسْتِكْزْ إنْ ذى مِيدْلْ آجْزْ : فونِيتِكْ سْتَدِيزْ إنْ إرْلى إسْلامْ (لايدن ، ١٩٥٨) ص ١٣ .

(٢) انظر (كتاب النقط) للداني ، ص ١٣٢ — ١٣٣ ، وأيضاً (العقد الفريد) ج ٣ ص ١٥٤ .

رجال العلم والدين والأدب فعارضوه معارضة شديدة ، واعتبروا استعماله في الخط حطاً من كرامة العلم والعلماء ، وأيضاً ، تجديداً مكروهاً في رسم المصحف الكريم (١) .

أما المشكلة الثانية فكانت مشكلة الحركات . وهذه العقبة اللغوية ، كسابقتها ، لم تكن غريبة عن ثقافات الشرق العربي القديم ، وقد اعترضت الكتابة السريانية فقررها علماء اللغة السريان باستعمال النقط وباستعارة الحركات من اللغة الإغريقية (٢) . أما العربية ، فلم تلجأ إلى الإستعارة بل عملت على خلق طريقة عربية أصيلة وفت بالحاجة . وإننا لنرى آثار تطور النقط والإعجام واضحة في الكثير من أوراق المصاحف القديمة ، حيث نجد نقطة واحدة فوق الحرف تقوم مقام الفتحة وتحته للكسرة وبجانبه للضمة ، كما نجد الألف والواو والياء تعبّر عن حركات المدّ . وبعض هذه النقط التي نلاحظ وجودها خاصة في ما لدينا من أوراق مصاحف قديمة وضعت بألوان مختلفة لتمييزها عن سواها . وهكذا ، وبالتدريج ، وأبدعت الثقافة العربية الحركات الثلاث ، الفتحة والكسرة والضمّة (٣) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكما جرى الحال في نقط حروف العربية عارض رجال الثقافة العرب

(١) الاتقان للسيوطي ج ٢ ، ص ١٧١ ، حيث يذكر عن عبد الله بن مسعود أنه قال : « جوّدوا القرآن ولا تخلطوه بشيء » ؛ وأيضاً (كشف الظنون) ج ٣ ، ص ١٥٥ .

(٢) كتابنا المذكور في الحاشية الأولى ، ص ١٤ ؛ وأيضاً ت . نولدكه : كومْبَنْدِيوسْ سيرِيَاكْ غْرَامَرْ (لندن ، ١٩٠٤) ، ص ٦ — ١٤ .

(٣) انظر كتاب النقط للداني ص ١٣٢ .

هذا التجديد معارضـــة قوية أدت إلى تأخر استعماله بعض الوقت ، وإلى حين (١) .

وبالرغم من هذا كله ، بقي لفظ العربية معقداً بعض التعقيـد إذ لم يكن هنالك من الأشياء ما يمكن القـارئ من تمييز الحروف المدغمـة والمنوّنة والمهموزة ، ولم يكن من السهل تمييز هـذه الحروف في الـكلام المكتوب . وعليه فقد كان على علماء العربيـة إيجاد أشكال تفي بالغرض وتؤمن إجادة قراءة الكلام العربي المكتوب . ونجح علماؤنا في إيجاد الحلول المناسبة إذ قرروا إدخال نقطتين على الحرف إبانة للتنوين ، تطورتا تدريجياً فأصبحتا ما يعرف اليوم بالفتحتين والكسرتين والضمتين . ثم ابتدع علماؤنا الأوائل السكون فالشدة فالهمزة كما فصّل ذلك الداني في كلامه عن الإدغام والإشمام والإمالة والإشباع والاختلاس (٢) ، وأبو داوود في « المصاحف » (٣) والسيرافي في « الأخبار » (٤) ، الخ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدكتور خليل سمعان
جامعة ولاية نيويورك في بنغمتن

(١) النقط ، ص ١٣٣ وكتاب المصاحف لابن أبي داوود ص ١٤١ ، والرسالة العذراء لابن المدبر ، ص ٢٥ ، والعقد الفريد ، ج ٣ ، ص ١٢ ، والاتقان للسيوطي ج ٢ ، ص ٢٧١ ، وكتابنا المذكور آنفاً ، ص ١٥ وحواشيها .
(٢) النقط ، ص ١٣٥ — ١٣٧ و ١٤٤ — ١٤٧ .
(٣) ص ١٤٤ — ١٤٧ وكتاب النقط ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥٠ .
(٤) ص ١٦ وأيضاً كتاب النقط ، ص ١٣٣ والفهرست ، ص ٤٠ .

بين كاتب وشاعر

في التاريخ الأدبي مصادفات عجيبة ومفارقات غريبة توحي إليك بأن القدر يهيء أشخاصاً لأشخاص ، ويخلق أناساً من أجل أناس ، لخيرهم أو لشرهم ، هذا يكسب وذاك يخسر ، ولكن هذا الكسب وذاك الخسار ، كلها ، يظلان خالدَيْن في بطون الكتب ، باقيين في أثناء التاريخ على مر العصور والأيام

لقد وجد النابغة والنعمان ، وخلق جرير والفرزدق والأخطل ، وعرف الزمن أبا تمام والبحتري ، ورأينا المتنبي إلى جانب سيف الدولة ، لولا هذا لما عرف ذاك ، ولولا ذلك لكانت شهرة هذا أقصر أمداً وأخصر مدى .

من هذه اللقاءات العجيبة في الفن والأدب اللقاء الذي جمع الشريف الرضي الشاعر الكبير ، وأبا إسحق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب الألمعي والمتفنن اللوذعي ، لقد جمعتها صحبة خالدة ، ولاقت بينها علاقة وشيجة من الفن في الشعر والنثر أوحت إليها بالكثير من القصائد والمراسلات والعبارات التي ذهبت مذهب الأمثال ، يستشهد بها الناس ويرون فيها آثاراً عريقة الأصالة ، بعيدة الأثر في النثر والشعر العربيين .

أما الصابي ، فهو أبو إسحق الحرّانيّ (١) ، واسمه إبراهيم بن هلال الصابي ، ولد سنة ثلاثَ عشرة وثلاثمائة للهجرة وتوفي يوم الخميس ، لاثنتي عَشْرَةَ ليلة خلت من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة (٢) .

(١) بلدة بينها وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم (معجم البلدان — ياقوت) .

(٢) معجم الأدباء (الجزء الثاني ص ٢٠) .

وأسرة الصابي أسرة حفل التاريخ بذكرها لما عرف من رجالها الكثر الذين خدموا الأدب والعلم ، وكانوا من مذهب يعرف أهله بالصابئة أو الصابئين ، وصَبَأ وصَبُؤَ ، صَبْأً وصُبُوءاً ، خرج من دين إلى آخر ، وصبأ فلان في دينه ، صار صابئاً ، وصبأ النجم ؛ خرج من مطلعه وظهر ، وصبأ فلان عليهم : طلَع (١) .

والصابئة والصابئون ، يزعمون أنهم على ملة نوح ، ويعرفون في العراق باسم : الصبّة ، واحدهم : صابيء . وما زال منهم جماعة حتى الآن . ويقال إن دينهم عبادة الكواكب ، ومذهبهم أن للعالم صانعاً حكيماً مقدساً عن سمات الحدثان وهم عاجزون عن الوصول إلى جلاله (٢) .

كان الصابي في عصر بني بويه ، وقد عاش مدة القرن الرابع للهجرة ، وهو العصر الذي تكشفت عبقرية الأدب العربي والفكر الإسلامي ، وبلغ الشعر فيه أوجه ، كما وصل النثر فيه إلى المحل الأعلى ، وبحسبك أن تعلم بأن من رجال هـذا العصر : المتنبي وابن العميد والصاحب بن عباد وأبو اسحق الصابي ، وعضد الدولة وسيف الدولة وأبو فراس الحمداني وغير هؤلاء كثيرون ممن حفلت كتب التاريخ بذكر مآثرهم وتدوين أخبارهم .

كان صديقاً لعز الدولة بختيار (٣) بن معز الدولة بن بويه ، وقد أراد له هذا الصديق الحاكم كل خير وحاول أن يسلمه الوزارة لديه شريطة أن يعتنق الإسلام ، ولكن الصابيء امتنع من ذلك ، ويروي الصفدي أن

(١) معجم متن اللغة .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني .

(٣) بختيار : لفظ فارسي مركب من بخت وهو الحظ ويار بمعنى صاحب ، أي صاحب الحظ وكان هذا لقب عز الدولة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عز الدولة بذل له ألف دينار على أن يأكل الفول فأبى ، لأن الصابئة تحرم أكل الفول .

وصفه مؤرخوه بالعفة وحسن المعاشرة ، ولكنه ، على مايبدو ، كان متعصباً لمذهبه لايهادن فيه ولا يداهن ، من ذلك رفضه للأعطيات والمناصب التي عرضت عليه حين اشترط عليه الإسلام أو مخالفته اعتقاد من معتقداته ومع ذلك فقد وصل إلى المراكز العليا في الدولة فقد عمل نائباً للوزير أبي محمد المهلبي في ديوان الإنشاء وأمور الوزارة (١) .

ولكن الأمور لم تسر على مايشتهي فقد اعترضت حياته مشاكل عديدة وصعاب كثيرة كادت أن تودي بحياته ، إذ كان العصر قد بلغ المرحلة الدنيا من الناحية السياسية ، وإن كان متقدماً ، كما أسلفنا ، من الناحية الأدبية والعلمية والثقافية ، وقد نقم عضد الدولة عليه أموراً لم تكن للصابىء يد فيها وأساء الظن به حين قدم بغداد ، وذلك بسبب بعض الرسائل التي كتبها عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار ، فحبس من أجل ذلك ، ولكن الناس ، من المعجبين بالكاتب الأديب ، توسطوا لدى عضد الدولة وعرفوه مكانة الرجل وفضله ، وأوضحوا له عذر الموظف في وظيفته ، والعامل في عمله ، فاستجاب الوساطة ، ورضي بأن يخلي سبيله على أن يعمل كتاباً يضمنه أخبار بني بويه وتاريخهم ومآثرهم وهو الكتاب الذي أسماه « التاجي » (٢) .

ولكن الصابي لم يسلم من التعرض لخطر الموت حين صرّح لأحد زائريه في السجن أنه غير راضٍ عن تأليف هذا الكتاب وأنه إنما حمل

(١) معجم الأدباء (جزء ٢) .

(٢) أخذ الاسم من : تاج الملة ، وهو من ألقاب عضد الدولة .

على تأليفه حملاً ، وربما كانت الكلمة التي نقلت إلى عضد الدولة ، ملفقة تلفيقاً ، أو مدسوسة دساً ، فان مثل الصابي ، وهو من عرف بفضله ورزانته وفهمه ، لايقدم على البوح برأيه والإدلاء بذات نفسه لكل زائر أو عابر ، فقد روت الأخبار أن أحد أصحابه زاره في السجن ، وكان الصابي متهماً في كتابة كتابه ، فسأله عما يعمله ، فقال : أباطيل أنمقها ، وأكاذيب ألفقها ، ووصلت العبارة بنصها إلى عضد الدولة ، فأمر بإلقاء الصابي تحت أرجل الفيلة ، ولكن إخوان الرجل ، شفعوا إلى عضد الدولة في أمره ، وروى أنهم قبلوا الأرض بين يديه (١) فرضي أن يبقيه حياً ، ولكنه أخذ أمواله ، وأبقاه بالسجن بضع سنين ، إلى أن أفرج عنه في أيام صمصام الدولة ابن عضد الدولة (٢) .

كان أبو أسحق يمثل الرجل المحترم ، هذه الأيام ، فقد كان الوزراء يقدرونه ويثقون بقدرته وعلمه وادبه ، كالوزير المهلبي وسيف الدولة وآل بويه والصاحب بن عباد .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا أدل على قيمة أبي أسحق الصابي الأدبية من هذه القصة يرويها عنه ابنه أبو عليّ المُحسِّن بن إبراهيم بن هلال أن أبا أسحق قال : راسلت أبا الطيب المتنبي - رحمه الله - في أن يمدحني بقصيدتين وأعطيه خمسة آلاف درهم ، ووسطت بني وبينه رجلاً من وجوه التجار ، فقال له (٣) قل له : والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدحَ غيرك ، ولا أوجبَ علي في هذه البلاد واحدٌ من الحق ما أوجبتَ، وإن أنا مدحتك ، تنكَّر لك الوزير ، يعني — أبا محمد المهلّبي — وتغير عليك لأنني لم أمدحه ،

(١) معجم الأدباء (جزء ٢) .
(٢) المصدر السابق .
(٣) أي المتنبي .

فانٌ كنت لا تبالي هذه الحال فأنا أجيبك إلى ما التمستَ ، وما أريد منك مالاً ، ولا عن شعري عوضاً ؛ قال والدي ، فتنبهت على موضع الغلط ، وعلمتُ أنه قد نصح ، فلم أعاوده (١) .

ولكن أبرز حدث في حياة هذا الرجل يتلخص في الصداقة الأدبية التي كانت بينه وبين الشاعر الكبير الشريف الرضي ، والشريف هذا هو أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي ، وقد كان شاعراً مرموقاً وشريفاً منظوراً ، ونقيباً للطالبيين في عهده كما كان أبوه نقيبـــاً ، وأخوه هو الشريف المرتضى صاحب الأمالي .

كانت الصداقة ، والعلاقة الأدبية بين الصابي والشريف ، موضع تساؤل واستفهام ، فالصابي رجل يدين بغير الإسلام ، وهو حرّاني الأصل بعيد عن الوسط العربي في تفكيره وعقليته ، وإن كان يحترم رجال المسلمين ويسايرهم ، إذ كان يصوم شهر رمضان ، كما يقال ، ولو أنه لا يؤمن بهذا الصيام ، ولكن الشريف رجل من آل البيت ، ومن بيت النبوة ، ونقابة الطالبيين لم تكن بالمكان الهيّن في مقامها ومحلها ، لأن هذه النقابة كانت تنافس الخلافة في نظر المسلمين ، وكانت الشيعة العلوية ترى في النقيب الطالبي مثلاً للفكرة العلوية التي كانت ترمي في أهدافها البعيدة إلى استرداد الحق العلوي في الخلافة فإن العلويين كانوا وما زالوا يرون بأن سيدنا علياً هو أحق رجل بالخلافة بعد النبي ، لأسباب كثيرة لا مجال لسردها الآن ، وقد كانت نقابة هؤلاء الطالبيين بالحق الضائع تمثل الحق الذي لا يموت ، والأمل الذي لا يعبث به الزمن ، ولقد رأى الشريف الرضيّ الطالبيين بالخلافة من أبناء عمومته يذهبون قتلاً أو تشريداً أو تعذيباً منذ الحسين إلى عبد الله

(١) معجم الأدباء (جزء ٢) .

ابن الحسن ، إلى زيد بن علي وغيرهم لأنهم أقدموا على المطالبة بالحق الطالبي علناً وصراحة ، ولأنهم لجأوا إلى القتال بدلا من السعي إلى غايتهم عن طريق السياسة وتكثير الأعوان ، والتقرب من الناس ، وخاصة الأدباء وأصحاب المواهب والناقمين على الدولة العباسية .

ولقد أخذ الشريف الرضي يلمح إلى حقه شعراً وحديثاً ، ثم اشتد صراحة وتعريضاً حين رأى قيام الدولة الفاطمية في مصر ، ويروى أن الخليفة — وهو القادر بالله يومئذ — قد استدعاه اليه وسأله عن معنى قوله حين افتخر بالخليفة العلوي في مصر ، ويُروى أن الشريف أنكر هذا القول ، وإن كان الأسلوب الشعري يدل عليه دلالة واضحة ، وهذه الأبيات من قصيدة يقول فيها :

كم مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وأنف حميٌّ
وإباء محلق بي عن الضيم كما راغ طائر وحشيٌّ
أي عذر له إلى المجد إن ذلَّ غلام في غمده مشرفي
ألبس الذلَّ في ديار الأعادي وبمصر الخليفة العلويُّ
من أبوه أبي ، ومولاه مولاي اذا ضامني البعيد القصيٌّ
لفَّ عرقي بعرقه سيدا النا س جميعاً محمد وعليُّ

إنها مطالبة صريحة بالحق الطالبي ، واستنجاد صارخ بالخليفة الفاطمي العلوي في مصر واعتراف بتحمل الضيم في ظل الخليفة العباسي ، وألم نفسي من هؤلاء البويهيين الديلم ممن استولوا على الخلافة وأعمالها ، واضطلعوا بشئونها رغم الإرادة العربية هاتيك الأيام .

كان الشريف إذن يلجأ إلى الصراحة في طلب حقه بأن يكون خليفة ، لأنه من أولاد علي بن أبي طالب صاحب الحق الأول ، ولقد غرر به شعره مرة فعرض نفسه لخطر محقق يوم خاطب الخليفة العباسي القادر بالله

بهذه الأبيات الصريحة التي تجعل من الشريف منافساً قوياً ونداً علوياً لا يسكت عن حق ولا يهادن في طلب .

عطفاً أمير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ، ميزتك فانني أنا عاطل منها وأنت مطوّق

لقد قامت الخلافة العباسية على الفكرة العلوية ، فالطالبيون هم أساس الدعوة التي استند اليها أبو مسلم الخرساني وابراهيم الإمام وأبو عبد الله السفاح ، ولكن العادة محكمة ، كما يقول الفقه ، فإن العباسيين حين وصلوا إلى الخلافة استأثروا به ونسوا أبناء عمومتهم وشركاءهم في الدعوة إلى الحق الهاشمي ضد الأمويين — بل لقد صار الطالبيون الأعداء الألداء للعباسيين وخاصة في زمن أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن العلويين لم ينسوا حقهم هذا ، وظلوا يطالبون به إلى أن سكنت ريحهم وذهبت الخلافة الاسلامية عنهم وعن خصومهم الهاشميين إلى الأتراك والديلم والسلاجقة وغيرهم ، ممن تسلقوا إلى الحكم عن طريق هذه الفكرة الهاشمية ، ثم نسوا أهلها حين وصلوا إلى غايتهم .

لذلك لجأ الشريف الرضى إلى الطريقة المعقولة ، لجأ إلى الأصحاب وأكثر من الدعاية ، والأدباء من الكتاب والشعراء هم أولى الناس بأن يتقرب إليهم صاحب الهدف السياسي ، لأن هؤلاء هم وسيلة الدعاية الأولى هاتيك الأيام .

ولقد لام أناس الشريف الرضي يوم رثى الصابي ، فما يحق لرجل مسلم

شريف ونقيب للأشراف أن يبكي رجلاً غير مسلم ، ولكن الشريف أجاب اللائمين بقوله : إني رثيت علمه وفضله (١) .

وقد اتهم المؤرخون الشريف الرضي بأنه انما سمح لنفسه برثاء الصابي لأنه كان يطمح إلى الخلافة وأن الصابي كان يرشحه لها — وأنه كان من أكبر أعوانه (٢) .

ولا بد من الوقوف قليلاً قبل الاقتناع بهذا الرأي ، لأن الصابي لم يكن في ذلك الزمن إلا شخصاً ينتمي للعلم والفضل الأدبي ، فلم يكن له أنصار ولا قوم ، لقد قضى ردحاً من حياته يتنقل بين الاضطهاد ، والسجن واستصفاء الأموال ، وليت شعري ما عسى أن يستطيعه رجل مثل هذا لا يأمن على نفسه غائلة الظلم ولا عادية الاضطهاد ، أمثل هذا يمكن أن يعتمد عليه الشريف الرضي في أكبر مطمح يخطر على بال عربي هاتيك الأيام وهو الخلافة الإسلامية .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذي اعتقده أن الشريف لم يعتمد على الصابي في سعيه للخلافة ، بل اتخذ الرجل الأدب وسيلة للدعاية ، بدلاً من أن يكون وسيلة للمعارضة ، وأرجح أن العلاقة بين الرجلين الأديبين لم تتعد الحدود الأدبية إلا قليلاً — ولهذا فقد كان الشريف صادقاً في رثائه متفجعاً في بكائه ، ولعلك تحس صدق العاطفة وأثر الحزن في قوله :

يا ليت أني ما اقتنيتك صاحباً كم قنية جلبت أسى لفؤادي

ويرجح لدينا قوة هذه العلاقة الأدبية قوله :

العقل ناسب بيننا إذ لم يكن شرفي مناسبه ولا ميلادي
إن لا تكن من أسرتي وعشيرتي فلأنت أعلقهم يداً بودادي

---

(١) معجم الأدباء .

(٢) معجم الأدباء (جزء ٢ الصفحة ٢٦ وفاتي) .

تلك الصداقة ، ما نظن إلا أنها بريئة ، وإن شابها الزمن بشوب من السياسة لم يكن منه بد في ذلك الزمن فلم تزل صداقـــة الأدباء أقوى الصداقات كما قال أبو تمام قبل الشريف :

إن يختلف نسب يؤلف بيننـا أدب أقمناه مقـــام الوالد

ولقد عرف الشريف بالوفاء لإخوانه والإخلاص لأخدانه من الأدباء والشعراء ، ويكفي تأييداً لهذه الفكرة ، أن تعلم عطفه وحدبه على مهيار الديلمي ، تلميذه وربيبه ، فلولا أدب مهيار وموهبته الفنية لما كانت علاقته بالشريف متسمة بهذه القوة التي ذهبت مضرب الأمثال .

لقد كان الزمن الذي عاش فيه الأديبان الكبيران — الصابي والشريف — زمن اضطراب في السياسة والمفهوم الأخلاقي بحيث تغيرت الأفكار وساءت الظنون . ومن هنا جاء هذا الرأي الذي لم يستطع قبول الصداقة البريئة حتى رماها بالقصد المادي والغاية الدنيوية . وإن رجلاً مثل الشريف ، في أخلاقه وفنه وثقافته وكرم محتده ، لأبعـــد ما يكون عن سوء القصد وزيغ النية .

أحمد الجندي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكلمات التركية

في اللهجات العربية الحديثة

لما ذهبت إلى القاهرة في سنة ١٩٦٤ واستمعت إلى لهجتها شد انتباهي بعض الكلمات فيها مثل سادة ، وطازه ، وخانه وبقشيش وبهلوان وترزي وجنزير ، وعشرات أخرى من هذا القبيل شدت هذه الكلمات انتباهي لأنني استعمل الكلمات نفسها في لغتي — الأردنية — وتفيد نفس المعاني أو معاني متقاربة — فما سر وجود هذه الكلمات في هاتين اللغتين : اللغة الأردنية وبعض اللهجات العربية الحديثة . لم تدم دهشتي طويلاً فبعد بحث يسير تبين لي أن هذه الكلمات فارسية الأصل دخلت اللغة الأردنية مباشرة بينما دخلت اللهجات العربية الحديثة عن طريق التركية والمعروف أن اللغة التركية غنية بالكلمات الفارسية . فلما تأثرت اللهجات العربية الحديثة باللغة التركية . وأخذت بعض كلماتها كانت من ضمنها هذه الكلمات الفارسية « المتركة » .

لقد دفعني حبي لدراسة الكلمات وتاريخها إلى جمع هذه الكلمات الفارسية ثم توسعت وجمعت الكلمات التركية المستعملة في اللهجة المصرية بغض النظر عن أصلها . ولما اتسع المامي بلهجات عربية أخرى أضفت إلى هذه الكلمات كلمات أخرى تركية تستعمل في بعض اللهجات العربية الأخرى مثل اللهجات السودانية والأردنية واللبنانية .

لقد دخلت اللهجات العربية الحديثة — لاسيما اللهجة المصرية — مئات من الألفاظ التركية طوال حكم المماليك والأتراك غير أن معظم هذه الكلمات

انقرضت وما بقي منها إلا قدر يسير — ولقد استقر بعض هذه الكلمات في اللغة العربية وارتقى عن مستوى الكلام العامي إلى مستوى اللغة الأدبية مثل بشرف وبصمه ، وبوغاز وجمرك وطابور وطاقم وقنبلة ونيشان . ومن ثم اكتسبت دراسة هذه الكلمات نوعاً من الأهمية والخطورة .

إني أذكر الكلمات التركية المعربة وأشرحها وإذا كانت الكلمة مستعملة في لهجة غير لهجة مصر فإني أشير إلى ذلك ثم آتي بأصلها التركي مكتوباً بالحروف اللاتينية وفيما يلي بيان نطق بعض الحروف وما نطق يخالف مثيلاتها في اللغات الأوربية .

★ ★ ★

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تكتب اللغة التركية الحديثة بالحروف اللاتينية ، وتنطق معظم هـــذه الحروف كما تنطق في اللغة الانجليزية . أما الحروف التي يختلف نطقها فسنذكرها فيما يلي ونشرح نطقها :

C ينطق مثل j في اللفظ الانجليزي Jam , Judge

ç ينطق مثل ch في اللفظ الانجليزي Church

ğ هذا الحرف في الغالب يطول الحركة السابقة .

j ينطق مثل j في اللغة الفرنسية .

ş ينطق مثل الشين العربية .

I (بدون نقطة) صوت الضمة بدون تدوير الشفتين .

ö صوت e مع تدوير الشفتين .

ü صوت i مع تدوير الشفتين .

u صوت u كما في Put في الانجليزية .

★ ★ ★

« أ »

أبلة : كلمة تخاطب بها امرأة صغيرة السن من غير الأقارب
تركي Abla الأخت الكبيرة .

أجزجى : الصيدلي
تركي Eczaci

أجزخانه : الصيدلية
تركي Eczabane ، Eczàne واللفظ مركب من الكلمة العربية « أجزاء » التي تفيد معنى الأدوية بالتركية ، والكلمة الفارسية « خانه » بمعنى البيت أو الدار .

ادبخانه : المرحاض
لا يوجد هذا اللفظ في التركية الحديثة ، وهو مركب من الكلمة العربية « أدب » والكلمة الفارسية « خانه » بمعنى الدار .

اشكره خبر : على المكشوف ، كما في قولهم : فعل كذا أشكره خبر .
لقد انقرض هذا اللفظ في اللهجة المصرية ولكنه لا يزال يستعمل في اللهجة الأردنية .
تركي Aşikàre : علناً ، واضحاً ، واللفظ فارسي الأصل : آشكار .

أفندم : كلمة مفادها (١) (لبيك) (٢) أعد ما قلت من فضلك .
تركي Efendim .

أفندى : لقب كالسيد ؛ المثقف ثقافة غربية والمتزي بالزي الأوربي .
تركي Efendi ؛ واللفظ يوناني الأصل .

الاى : فرقة كبيرة من العسكر ،
تركي Alay .

انجليز : جيل من الناس يقطنون انجلترا .

تركي Ingiliz من الإيطالية Inglese .

أوروبا : القارة المعروفة .

تركي Avrupa من الإيطالية Europa .

أورطه : وحدة من ألف جندي .

تركي Ordu : الجيش ، المعسكر ، والجدير بالذكر أن من هذا اللفظ جاءت كلمة « أردو » وهي اسم إحدى اللغات الهندية وسميت بهذا الاسم لأنها نشأت في المعسكر ، كما جاءت من هذا اللفظ الكلمة الانجليزية Horde بمعنى القبيلة المتنقلة .

اورمان : اسم حديقة في القاهرة .

تركي Orman : الغابة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أورنيك : الاستمارة ، وجمعه أرانيك . يكثر استعمال هذا اللفظ في السودان .

تركي Örnek العينة ، النموذج .

أوسطى : صاحب صنعة ، ميكانيكي ، سواق السيارة .

تركي : Usta .

اوضه : الحجرة ، جمعها أوَض .

تركي Oda .

أونباشي : رتبة في الجيش والشرطة . ويكتب أيضاً « امباشي » ويجمع على اونباشية .

تركي Onbaşi وأصل معنى الكلمة قائد العشرة وهو مركب من On أي العشرة Baş أي الرئيس (١) .

---

(١) الياء في لفظ « باشي » ضمير الاضافة فاصل معناه : رئيسهم . يقول الأتراك : العشرة رئيسهم بمعنى رئيس العشرة . وهكذا في بكباشي ويوزباشي وحكيمباشي .

« ب »

باش : الرئيس كما في باشكاتب أي رئيس الكتبة ، وباشمهندس أي رئيس المهندسين .
تركي Baş الرأس ، الرئيس .

باشا : لقب شرف تركي .
تركي Paşa .

باشتخته : مكتبه ، سبوره .
تركي Paştahta من الفارسية : پيش‌تخته ، پيش معناه إمام وتخته معناه لوحة من الخشب ، والجدير بالذكر أن « باش » في هذا اللفظ محرف من پيش ولا صلة له بباش بمعنى الرأس .

باميا : الخضار المعروف .
تركي Bamya .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بخشونجي : مدير الحديقة .
تركي Bahçivan والكاسعة ci .

بدروم : الطابق السفلي من الدار . ويقال له أيضاً « بدرون » .
تركي Bodrum وأصل معناه السرداب .

برتقال : فاكهة معروفة .
تركي Portakal من الإيطالية Portogalle أصل معناه البرتقال .

برجل : أداة من أدوات الرسم الهندسي .
تركي Pergel .

برضه : أيضاً ، مع ذلك .
تركي Pirde . يظن بعض الناس أن الهاء في برضه ضمير الغائب ، ويستبدلونها بالكاف عند الخطاب فيقولون : انت برضك .

برطمان : وعاء من زجاج . ويقال له أيضاً مرطبان وهو الأصل .
فارسي مرتبان .

برنجي : الأول وهو من المصطلحات العسكرية ، واسم سيجارة في السودان .
تركي Birinci الأول .

برواز : الاطار .
تركي Pervaz .

بروجي : من ينفخ في البوق (مصطلح عسكري) .
تركي Boru البوق والكاسعة ci .

بزونج : القواد ، (يستعمل هذا اللفظ في اللهجة الأردنية) .
تركي Pezevenk .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بسطرمه : لحم مملح مجفف .
تركي Pastarma .

بشتى : من يتصل به جنسياً من الرجال (في اللهجة السودانية) .
تركي Puşt .

بشرف : مقدمة اللحن في الموسيقى .
تركي Peşrev من الفارسية وهو مركب من « پيش » أي أمام و « رو » أي الذاهب يعني المتقدم أو المقدمة .

بصمة : خطوط الأصابع .
تركي Basma الختم .

بقساط : نوع من البسكويت الصلب .
تركي Peksimet .

بقشيش : ما يعطى من نقد لخدم الفنادق والمطاعم وغيرهم .
تركي Bahşiş من الفارسية بخشش أي العطاء والجدير بالذكر أن في هذه الكلمة المعربة أبدلت الخاء قافاً وهذا شاذ .

بك : لقب تركي . وينطق « بيه » ويجمع على بهوات .
تركي Bey .

بقجه : الصرة .
تركي Bokça .

بكباشي : رتبة عسكرية وينطق بمباشي .
تركي Binbaşi وأصل معناه قائد الألف ، وهو مركب من Bin أي الألف و Baş أي الرئيس .

بلكه : يمكن ، لعل . يكثر استعمال هذه الكلمة في اللهجتين الأردنية والفلسطينية .
تركي Belki من الفارسية وهو مركب من « بل » العربية و « كه » الفارسية .

بلطجي : الحارس المسلح بالفأس ويطلق مجازاً على رجل مستبد متشدد .
تركي Baltaci .

بلطة : الفأس .
تركي Balta .

بلوك : فوج أو جماعة (مصطلح عسكري) .
تركي Bölük .

بلياتشو : المهرج .
تركي Balyaço .

بمبه : القنبلة ، نوع من اللعبة المفرقعة .
تركي Bomba من الايطالية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنج : خمسة في لعبة الطاولة . بنج وسه : خمسه وثلاثة .
فارسي پنج .

بنجر : خضار معروف .
تركي Pancar .

بهار : التوابل .
تركي Bahar .

بهريز : نوع من الشوربه .
تركي Perhiz ، Pehriz الامتناع ، الحمية ، من الفارسية .

بهلوان : اللاعب على الحبل ومنه أيضاً « الفهلوة » .
تركي Pehlivan : اللاكم ، البطل ، من الفارسية .

بوظة : في اللهجتين السورية واللبنانية الآنس كريم ، وفي للهجة المصرية
نوع من الشراب المسكر .
تركي Buz الجليد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بوغاز : المضيق .
تركي Boğaz .

بوية : الدهان . وفي اللهجة السودانية بوهيه .
تركي Boya .

پياده : المشاة .
تركي Piyade من الفارسية پياده ، وقديماً عرب هذا اللفظ الفارسي
« بياذق » ، واشتق منه بيذق ظناً أن بياذق جمع .

بيره : شراب معروف .
تركي Bira من الإيطالية .

بيش : خمسة في لعبة الطاولة .
تركي Beş .

(يتبع) السودان : ف . عبد الرحيم

التعريف والنقد

أمراء البيان

أعادوا طبع كتاب : أمراء البيان ، للأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، أدخله الله في واسع رحمته ، ولقد أعيد طبع هذا الكتاب النفيس في وقت زامت فيه الشقة بيننا وبين البلغاء من كتّابنا المتقدمين واشتدت فيه الحاجة إلى الاقتباس من خالد بيانهم ، فنحن نعيش في عصر تكاد الصلة بيننا وبين أدبنا القديم تكون منقطعة الأواصر ، لقد انقلب عالمنا كلّ منقلب ، أدبه وثقافته ، ودخلت علينا مذاهب حديثة في كل أفق من آفاق الحياة حتى كاد بياننا يعجز عن الإفصاح عن هذا الانقلاب العظيم ، على أن المتقدمين من بلغاء كتّابنا وكبار علمائنا لم يضعفوا عن تمثيل الانقلاب الذي وقع في عصرهم في كل ناحية من نواحي الحياة ، فقد استطاعوا أن يجدوا لغة وأسلوباً لكل ماجرى في أيّامهم ، أما نحن فقد ظهر عجزنا في هذا الأمر حتى كاد بياننا ينفصل عن بيان المتقدمين ولذلك نجد الحاجة ماسّة إلى تذكيرنا ببلاغة أولئك الأئمة والغرف من بحرها ، وهذا مايحملنا على أن ننظر إلى كتاب : أمراء البيان نظرة خاصة ، ونشكر للذي ألّفه والذين أعادوا طبعه .

طبع الكتاب مرتين وأعيد طبعه هذه السنة ، وقد صدّر الدكتور سامي الدهّان ، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ، الطبعة الجديدة بمقدمة بلينة لم يبخس فيها الأستاذ الرئيس حقّه كما لم يبخس كتاب أمراء البيان حقّه ، لقد أنزل في مقدمته الأستاذ الرئيس المنزلة الرفيعة التي تليق بمقامه كما أنزل

الكتاب نفسه المنزلة السامية التي يستحقها ، كل هذا في بيان يدلّ على ذوق خالص وبراعة فائقة .

أما الأستاذ الرئيس فان هذه السطور عاجزة عن أن تعطيه حقه أو تصوّر مقامه الجليل في فهم الأدب وقدره حق قدره ، لقد فصّل الكلام في مقدمته على بيان العرب أبلغ تفصيل ، فلم يغفل عن شيء من خصائص الأدب في عصوره بأجمعها ، كما لم يغفل عن شيء من تصوير الأطوار التي تقلّب فيها هذا الأدب ، وكما ظهرت بلاغته في المقدمة فكذلك ظهرت هذه البلاغة في الكلام على كل إمام من أئمة البيان مثل عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وابن هارون وابن مسعدة وابن يوسف الكاتب والصولي والزيات والجاحظ والتوحيدي وابن العميد .

من هذه الطبقة الرفيعة من رجال البلاغة ندوك مقادير هذا النثر الذي انتخبت منه نماذج في كتاب : أمراء البيان ، فاذا كنّا نقدّس هذا النثر فلا يرجع تقديسنا إلى مجرّد الإعجاب ولكنّا نشعر بتقصيرنا عن طبقته وبالجد في ذوق محاسنة حتى نصل إلى درجته على الأقل ، هذا إذا كنّا لانستطيع أن نجاوز هذه الدرجة .

لقد استطاع الأستاذ الرئيس محمد كرد علي أن يبلغ الدرجة الرفيعة من بلاغة المتقدمين ، فما علينا أن نضمّ اسمه الكريم الى أسماء أمراء البيان .

شفيق جبري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حكاية الأيام الثلاثة

لا نرى الدكتور عمر النص غريباً عن فن الرواية ، لقد ظهرت قدرته على هذا النوع من الأدب في روايته الأولى : شهريار ، التي كانت جذّابة من أولها إلى آخرها ، وإذا كان من شروط الرواية محاسن اللغة ، فلغة الدكتور عمر النص لاتفتقر إلى هذه المحاسن ، ويكاد يكون شرط هذا الحسن أبرز شروط الرواية ، ولما أنثى « أنا تول فرانس » على « موباسان » في أحد كتبه الأدبية كانت مسألة اللغة مظهراً من مظاهر هذا الثناء .

وقد يضاف إلى إتقان اللغة في الرواية إتقان الحوار ، فالحوار إنما هو روح الرواية على ما أعتقد ، ولقد نشاهد براعة الحوار ومحاسن اللغة في رواية الدكتور عمر النص الثانية وهي : حكاية الأيام الثلاثة ، فان أكثر الروايات في أدبنا لانزال تحتاج الى أشياء كثيرة من قواعدها ، مثل سلامة اللغة وبساطة التعبير ودقة التحليل وحسن الحوار وماشا كل هذه الأمور .

إنا نجد في رواية : حكاية الأيام الثلاثة قوة في جذب القارىء إلى تتبع حوادثها ، فالقارىء لايكاد يفرغ من قراءة الفصل الأول من فصولها حتى يشتدّ به الميل إلى الاطلاع على الفصل الثاني .

لقد جرت حوادث حكاية الأيام الثلاثة في مدينة « جالوق » سنة ١٤٠٢ الميلادية ، خلال غزو التتار لبلاد الشام ، ومن ذكر التتار وبلاد الشام نعرف روح موضوع الرواية ، لقـــد تجلّت البلاغة في وصف بطولة « جالوق » أي بطولة رجالها ومجدهم وضحاياهم ، ثم تجلت هذه البلاغة في وصف إهمال المدينة وخضوع رجالها ونومهم عن الدفاع عنها ، وقد نجد في

أعمال « تيمورلنك » صورة لأعمال كل معتدٍ أثيم ، فكل كلمة من كلمات الرواية في وصف هذه الأعمال تعبّر عن حالة كل مغلوب على أمره في أي عصرٍ من العصور ولعلّ بلاغة الصبر على احتمال الأذى والإصرار على دفع هذا الأذى تتمثل في هذه الجملة : ولكن « جالوق » ستظل تضيء ... » هذه العبـــارة تتضمن الاشارة إلى كل مدينةٍ من المدن التي تحتمل الشر حيناً من الدهر ثم توطن النفس على دفع هذا الشرّ .

لسنا نبالغ إذا قلنا ان الدكتور عمر النص خلق للرواية وإتقانها ، وليس هذا بشيء قليل بالنسبة إلى عصرنا الذي استفاض فيه هـــذا النوع من الأدب .

ش . ج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

※※

اتجاهات النقد الحديث

للدكتور جميل صليبا

عهدُنا بأستاذنا الدكتور جميل صليبا أنه قد نذر نفسه للفلسفة فهـو منذ قرابة أربعين عاماً ما انفك يعلّمها ، ويدرُس قديمها وحديثها ، ويحقق بعض ذخائرها وكنوزها ، ويضع معجماً لمفرداتها ، وينقل إلى العربية بعض روائعها الغربية ، بأسلوب عربي مشرق أصيل ، نبتت أصوله في « مكتب عنبر » ، واخضرت غصونه وفروعه مع طول مصاحبة كتب الأمهات . وهو حين علّم وحقق ألف ونقل ، المثال الذي يحتذى ، والأسوة التي تقتفى . لمن استمع إلى دروسه وهي في فجرها البكر ، رأى عليها مسحة من الأدب ظاهرة ، وطلاوة تنبع من حسن اختيار الألفاظ ، وضم الكلمة إلى أختها ، ومن حسن التوفيق في الجمل والتراكيب . وطلابه الأولون يذكرون أنه لم يعلمهم الفلسفة ليس غير ، ولم يلقنهم مذاهبها وفرقها ، شرقيها وغربيها ، وما حفلت به كتب القدامى والمحـدثين من مناقشات ومساجلات وردود ليس غير ، وإنما أخذوا عنه كذلك أدباً ولغةً ، ولقد كان يؤكد لطلابه دوماً الصلة الوثقى بين الفلسفة والأدب فيقول : الأدب يتوّج الفلسفة ، ولهذا لم أعجب حينما أهدى إليَّ كتابه الأدبي الأول عام ١٩٥٨ الذي سماه (الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث) ، ولم أسأل نفسي : ما لهذا الإخصائي في الفلسفة يغير على الأدب ، فيبحث عن تأثير الاتجاهات الفكرية فيه ؟ فلقد كان جميل صليبا دوماً فيلسوفاً أديباً ، وأديباً فيلسوفاً .

كذلك لم أعجب يوم أهدى إليّ كتابه الجديد (اتجاهات النقد الحديث في سورية وهو مجموع محاضراته التي ألقاها في هذا العام (١٩٦٩) على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة ، قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية ، التابع لجامعة الدول العربية . فالنقد من الأدب ، ولم نعرف في أدبنا العربي عصراً من العصور خلا من النقد ، منذ أن قام سوق عكاظ وجلس فيه مقدم من الشعراء ، حكماً بين الشعراء ، إلى يومنا هذا . فمن حق جميل صليبا الأديب الفيلسوف أن يبحث في النقد الحديث واتجاهاته في سورية ، ولا جناح عليه في أن يخوض ميدان الفن الذي يتوج اختصاصه .

قسم أستاذنا المؤلف كتابه إلى اثني عشر فصلاً وخاتمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتناول في الفصل الأول ركود الأدب في سورية خلال العهد العثماني ، وحالة الأدب في سورية خلال الحكم العربي ثم خلال الانتداب الفرنسي ، ثم خلال عهد الاستقلال ، وعوامل الإنتاج الأدبي وتأثيرها في النقد ، والمحافظون والمجددون .

وتناول في الفصل الثاني : رواد النقد الأدبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وفي الفصل الثالث : النقد اللغوي : المحافظون المتشددون ، وفي الفصل الرابع : المحافظون المتعدلون ، وفي الفصل الخامس : طلائع التجديد في النقد ، وفي الفصل السادس : تحرير الأسلوب العربي من العيوب التي علقت به في عصور الانحطاط ، وفي الفصل السابع : الثورة على الأدب التقليدي ، تحطيم الأصنام ، وعقد في الفصل الثامن فصلاً سماه : من النقد البياني إلى النقد التحليلي ، وفي الفصل التاسع فصلاً سماه : بين النقد الذاتي والنقد الموضوعي ، وبحث في الفصل العاشر : نقد

أنواع الأدب ، وفي الفصل الحادي عشر : مذهب الالتزام ، وفي الفصل الثاني عشر : مذهبه في النقد . وأنهى الكتاب بالخاتمة .

ومن العسير أن نبحث في هذه الكلمة مضامين العناوين التي أوردناها فيما سبق ، فالكتاب يقع في (٢٦٦) صفحة من القطع المتوسط وحسبنا أن نلم ببعض المواضيع التي نرى أنها تستحق البحث ، لنعطي صورة قريبة من الوضوح عن هذا الأثر القيم الذي قدمه أستاذنا الدكتور صليبـــا إلى المكتبة العربية .

فالكتاب كما ترى من تعداد فصوله يغلب عليه الترتيب المنطقي ، فهـو يتدرج منذ أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا ، وهو يبدأ بالمحافظين المتشددين ، ويثني بالمتحررين وبالملتزمين ، وليس بدعاً في التأليف أن يأتي كتاب من عالم المنطق أربعة عقود منطقيّ الترتيب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى الرغم من أن أستاذنا قد عاش في الأدب والنقد واللغة فإنـه لم يستطع التحرر في بعض مواضيع الكتاب من أسلوب الفلاسفـة وتعابيرهم وألفاظهم ، فقد غلبت عليه أحياناً بشكل واضح ، كقوله (ص ٢٥١) :

« قيل ان بين النقد والعلم فرقاً كبيراً ، لأن العلم ينظر في الأشياء للكشف عن القوانين الطبيعية التي تضبطها ، والنقد ينظر في قيم هـــذه الأشياء . وإذا كان النقد مؤلفاً من أحكام إنشائية أو تقديرية تفاضل بين قيم الأشياء ، بحسب قربها من المثل العليا أو بعدها عنها ، فان العلم مؤلف من أحكام خبرية أو وجودية تعبر عما هو كائن بالفعل . وإذا علمت أن مايكتبه الكاتب أو يصوره الفنان أو يقوله العالم أو الفيلسوف يرجع في النهاية إلى أحكام خبرية أو إنشائية ، علمت أن حكم الناقد على قيمة هذه الأحكام كلها ليس حكماً بسيطاً ، وإنما هو حكم مركب أي حكم على حكم . »

فإذا كان النقد « حكماً على حكم » كما قرر أستاذنا المؤلف ، فان كتابه لم يخل من هذه القاعدة ، فكثيراً ما أصدر « حكماً على حكم » أو إن شئت « نقداً على نقد » . ولنضرب على ذلك مثالاً واحداً فهو من جهة شديد الإعجاب بالأستاذ الرئيس محمد كرد علي رحمه الله ، يقول عنه بعرض الرد على أحمد شاكر الكرمي (ص ١٣٧ — ١٣٨) : « فمحمد كرد علي الذي تربع في دست الوظيفة لم تخمد شعلة مواهبه ، بل ترك الكتابة في الجريدة وانصرف إلى الكتابة العلمية والأدبية ، ونشر خطط الشام والإسلام والحضارة العربية ، وأقوالنا وأفعالنا ، وكنوز الأجداد ، والمذكرات وغيرها ، حتى صار — بما قبسه من الثقافة العربية والثقافة الغربية . قائد الحركة الأدبية في بلاد الشام ، ويعد أسلوبه الأدبي من الأساليب البليغة الواضحة في غير تصنع ولا إفراط » . إلا أن قائد الحركة الأدبية ليس في نجوة من نقد أستاذنا المؤلف كقوله عنه : « وبلغ من ضعف ملكته الموسيقية أنه كان يستعين ببعض أصدقائه على ضبط أوزان الأشعار التي يستشهد بها في مقالاته » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويشير أستاذنا المؤلف إلى نقد قائد الحركة الأدبية في بلاد الشام لكتاب قواعد التحديث الذي ألفه جمال الدين القاسمي (ص ١١٩) ، وينقل قوله في مؤلفه : « إنه ينقل عن مجلات غاضاً من ذكر أسمائها ترفعاً ، وأنه يقتصر على نقل كلام غيره من أول الكتاب إلى آخره ، وأنه من العلماء المشهورين المكثرين من التأليف على هذه الطريقة في الجمع والنقل وأنه آخر من جرى على تلك الطريقة التي ضعفت فيها ملكة التأليف ، فاكتفى في أكثر تآليفه ببسط آراء غيره .... » ثم يشير إلى المساجلة التي جرت بين شكيب أرسلان ومحمد كرد علي حول هذا الموضوع ، ويعلق على رأي كرد علي بقوله (ص ١٢٢) :

« وإذا عدنا الآن إلى رأيه في طريقة النقل والجمع ، قلنا : انه لم يسلم هو نفسه من اتباع هذه الطريقة في بعض تآليفه ، فإن تراجم بعض الرجال الذين ذكرهم في كتاب كنوز الأجداد لا تختلف عن تراجم ابن خلكان والبيهقي والقفطي وابن أبي أصيبعة إلا قليلاً » .

ويتضح إنصاف أستاذنا المؤلف ، وغيرته على المجمع ، في رده على سامي الكيالي الذي اتهمه بأنه (ص ١٦٤) : « كان يضم الكثير من الأطباء ولكنهم كانوا يحاولون إنقاذه بطب إبن سينا لا بطب باستور ... ولم يستطع أن يخطو أي خطوة في تطوير الأدب » . فيقول : « وفي هذا القول حيدة عن الطريق ، لأن المجامع اللغوية لم تنشأ لتطوير الأدب ، بل أنشئت للحفاظ على سلامة اللغة ونقاوتها وتطوير ألفاظها حتى تصبح صالحة للتعبير عن حاجات العصر ... ويكفي المجمع العلمي شرفاً أن يعمل على صيانة اللغة ، وتطوير ألفاظها ، ونقد أساليبها ... » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي فصل « الثورة على الأدب التقليدي — تحطيم الأصنام » الذي اتخذ له أنموذجاً مازكه أحمد شاكر الكرمي ، يحلل الأسباب التي دعت إلى هذه الثورة « التي أرادت أن تطور الأدب ، وأن تنهض به ، وأن تبث الحياة فيما ركد منه ، ولكن بشرط المحافظة على الفصحى ، وعلى اللغة وقواعدها ، « لأنها من أهم أركان الأدب » وتتبين نصرة أستاذنا المؤلف لهذه الثورة بما نقل من أقوال الكرمي ، وبالمقتطفات التي اختارها . مثال ذلك قول الكرمي (ص ١٤٦) :

« أول مايجب الشروع به لاحياء الآداب العربية هو القضاء على العجمة الخبيثة ، واجتثاث أصولها ، وإقصاؤها عن الناشئين جهد المستطاع : لكي لا تعلق بأذهانهم فتفسد ملكاتهم . » .

وأحمد شاكر الكرمي يسمي الذي يهملون شأن اللغة بالمتمردين، ويقول عنهم (ص ١٤٧): تعصف في رؤوسهم عاصفة الطموح، وتدب في عروقهم حمى الطمع في الشهرة وبعد الصيت، فيندفعون إلى الكتابة دون تعلم قواعدها، فيشوّهون وجه الأدب بالخبائث التي ينفثونها، والجرائم التي يبثونها . . ».

ولهذا فإن أستاذنا المؤلف يحكم على الكرمي هذا الحكم المنصف الجليل (ص ١٥١):

« وإذا أضفنا إلى ذلك كل ماعرفناه من حماسته وإخلاصه وصدقه وعدالته أمكننا أن نقول أن ذلك النجم المتوقد كان لايزال في دور التكوين يوم أدركه الاحتراق ».

وكما يبدو أن أستاذنا المؤلف كان نصيراً للثورة الكرمي فانه يبدو أيضاً أنه كان رفيقاً بأصحاب المذهب الحر وبدعاة مذهب الالتزام، وعلى الرغم من أنه قد عرض آراء الموافقين والمخالفين، فان عرضه كان مجرداً، ولم يصدر فيه « حكماً على حكم . ».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليس هنا مجال بحث البدعة التي استحدثوها، وزعموا أنها تحرير للشعر من الوزن والقافية ومن كل قواعد « عمود الشعر » التي أشار إليها الأقدمون، منهم المرزوقي في مقدمة شرحه لحماسة أبي تمام. وإنما نكتفي بالإشارة إلى أن هذا المذهب إذا كتب له البقاء، وهذا المحال، فيمكن أن يكون كل شيء إلا الشعر .

وأما ماسموه « الالتزام » فهو أيضاً بدعة جديدة منكرة، لايمكن أن تستقيم في أي زمان أو مكان .

لو عدت إلى أقوال أصحابها لوجدت فيها برقاً خُلَّباً ، وسراباً بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، ذلك بأن نصرة الأماني الوطنية ، والتحدث عن المآسي الاجتماعية ، والنكبات القومية ، أمور قد التزمها الشعراء والأدباء في سورية ، في جميع العصور ، وفي العصر الحديث خاصة ، من غير إلتزام وإنما دفعهم إليها شعور قومي عميق صادق ، وحس دافق يتألم لأرزاء المجتمع ، وجراح نازفة لما حل بأرض الوطن من النكبات . ولا أدل على ذلك من مجموعة القصائد التي قيلت في الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ — ١٩٢٧) التي جمعها الأستاذ محب الدين الخطيب في كتاب سماه « ديوان الثورة » . هذا الديوان لم يوح به مذهب سياسي معين ، ولا أملاه تسخير لقرائح الشعراء ، ولم يستلهم أصحابه قصائدهم إلا من وحي وجداناتهم . ولا ريب عندي في أن الذين يتحدثون عن « الالتزام » إنما ينظرون من وراء الأفق إلى ردة « باسترناك » فيما زعموا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وخلاصة القول فإن الكتاب الذي بين أيدينا يمكن أن يوصف بأنه جديد في موضوعه وفي أسلوبه ، وهو من خير الدراسات اللهمة الرصينة التي ينبغي أن يحرص عليها المتأدبون الناشئون ، وأن تزين بها مكتبات العلماء والأدباء والنقاد .

ضهور الشوير (لبنان) ظافر القاسمي

دراسات في فقه اللغة

تأليف الدكتور صبحي الصالح

طبعة دار العلم للملايين في بيروت سنة ١٩٦٨ (الطبعة الثالثة)

الأستاذ الدكتور صبحي الصالح علم من أعلام التأليف في دنيا العرب . عرفناه أول ما عرفناه في كتابه (مباحث في علوم القرآن) الذي أصدره سنة ١٩٥٨ ، ثم في كتابه (علوم الحديث ومصطلحه) الذي أصدره سنة ١٩٥٩ ، ثم في كتابه (دراسات في فقه اللغة) الذي أصدره سنة ١٩٦٠ . وقد صدرت هذه الكتب جميعاً أول مرة في دمشق حين كان المؤلف أستاذاً في كلية الآداب بجامعتها .

وسرعان ما عرفت هذه الكتب ، ولقيت عناية فائقة من الدارسين والباحثين ، كما طارت شهرتها بين طلبة الجامعات العربية خاصة . ثم تتابعت طبعاتها لذلك ، حتى صدرت الطبعة الثالثة من كتاب (دراسات في فقه اللغة) في السنة الماضية منقحاً ، ومزيداً فيه بحثان جديدان كما يقول المؤلف [١] .

وهذا الكتاب الأخير هو الذي يعنينا في هذه الكلمة المجلى . وهو كتاب قيم قويم ، أقامه المؤلف على أصول الدروس التي كان يلقيها على طلابه في كلية الآداب بجامعة دمشق .

أجاد الدكتور صبحي تأليف هذا الكتاب وتبويبه ، وأحسن فيه دراسة كثير من خصائص العربية ومسائلها وقضاياها التي تدارسها علماؤنا في القديم والحديث ، مثل مسألة اللهجات العربية القديمة وأثرها في تكون العربية

(١) انظر مقدمة المؤلف للطبعة الثالثة ص ٥ — ٦ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفصحى ، ونقل اللغة وتدوينها ، ومثل ظاهرة الإعراب ، ومسألة الاشتقاق وأنواعه المختلفة ، ومسألة الدخيل وتعريب الألفاظ الأجنبية ، ثم المشكلات التي تواجهها العربية في العصر الحديث ولا سيما مشكلة المصطلحات العلمية ، وغيرها من قضايا العربية .

وكلها قضايا معروفة ، بحث فيها العلماء من العرب والمستشرقين ، وأبدؤوا فيها القول وأعادوا في أبحاث ومقـــالات متفرقة في كتب وصحف دورية كثيرة . ولكننا لم نرها مرتبة مجموعة معروضة معاً بين دفتي كتاب قبل أن يصدر الدكتور صبحي كتابه هذا . فهو لذلك يعد فريداً ، لا صنو له في بابه . وهذا إلى بيان عربي أصيل جميل ، ولغة صحيحة فصيحة ، طبع عليها الدكتور صبحي ، فتجلت في كتبه جميعاً . ومن وراء هذا البيان الجميل واللغة الفصيحة حماسة ظاهرة للغة الضاد ، وإشادة دائمة بأصالتها وعبقريتها في القديم والحديث . ومنشأ هذه الحماسة حب للعربيـــة خالص ، يتملك نفس الدكتور صبحي ، ويجعله دائماً راضياً عمن يحب ، مستحسناً لأحواله جميعاً . وهو على حق لا ينكر ولا يدفع في حبه الكريم هذا ، والموقف النبيل الذي يؤدي إليه . ولقد أوتينا مثله حظاً وافراً من هذا الحب ملأ ليالي عمرنا ، واستنفد منا طاقة الشباب الغالي .

ولا يمكننا هنا أن نوفي القول في هذا الكتاب القيم . وغايتنا القصوى هو التعريف به والإشارة إلى قيمته وحسب . وقيمة الكتاب الأساسية كائنة ، كما نرى ، في براعة المؤلف في رسم المعالم الكبرى في طريق الباحثين في كثير من قضايا العربية التي ذكرنا طرفاً منها آنفاً ، مثل قوله في كلامـه على قضية اللهجات العربية القديمة : « هذه خلاصة الفوارق الرئيسة بين لهجتي تميم والحجـــاز ، رأينا من خلال عرضها أننا من تميم أمام لهجة

خاصة قائمة بذاتها ، لها خصائصها ومميزاتها . وعسى أن نكون قد استنتجنا من معرفتنا لذلك أن لهجة تميم قد أمدت العربية الفصحى بروافد غنية غزيرة ، ساعدت على استقرار نحوها وصرفها ، وسعة اشتقاقها ، وبعد دلالاتها ، وانبساط مدرجها الصوتي ، وحياة عدد كبير من مفرداتها . فإذا أردنا أن ننتقل إلى دراسة خصائص العربية ومميزاتها كان لزاماً علينا أن نفهم لدى أول خطوة نخطوها حتى آخر نتيجة نعطيها أن تميماً تشارك قريشاً بنصيب كبير من هذه الخصائص ، وأن إغفال دور تميم في هذا إنما هو تهاون بجزء لا يتجزأ من لغتنا العربية الفصحى(١) » .

وهذا حق مبين ، وهو أيضاً تخطيط وجيز دقيق لدراسة لهجة تميم ، وبيان أثرها في تكوين العربية الفصحى . ومثل هذا كثير في الكتاب .

ولنا بعد كلمة أخيرة نحب إسماعها ، وهي أن المؤلف الكريم قـــد صرف أكبر همه إلى بعض قضايا العربية دون بعضها . فقد أولى الاشتقاق وأنواعه مثلاً عناية خاصة ، وبذل في بحثها جهداً جاهداً ، على حين مرّ مراً سريعاً بقضايا أخرى مثل مسألة الترادف ، والمشترك في اللفظ ، أو ما اتفق لفظه واختلف معناه كما يسميه القدماء ، ومثل مسألة الأضداد . وهي كلها لا تقل أهمية عن مسألة الاشتقاق ، بل تفوق في أهميتها مسألة مناسبة حروف العربية لمعانيها من مباحث الكتاب . وهي في الدراسات اللغوية أقرب إلى مسائل ما وراء الطبيعة في الدراسات الفلسفية .

ونحن في انتظار مزيـــد من الخير من الدكتور صبحي ، وهو أهل لذلك . قوّاه الله ولقاه برّاً .

الدكتور عزة حسن

---

(١) انظر ص ١٠٣ — ١٠٤ من الكتاب .

المـــورد

قاموس انكليزي عربي

تأليف منير البعلبكي

كتب منير البعلبكي في صدر مقدّمته لمعجمه المورد(١) أن مؤلَّفه كان ثمرة عمل متواصل طوال سبع سنوات أنفقها في تأليفه وطبعه ، وجاء في ثبت المراجع التي اعتُمدت في تأليف هذا المعجم أن معجم وَبْستَر الجامعي السابع المطبوع في الولايات المتحدة الأميركية في عام ١٩٦٥ كان في جملة هذه المراجع . وقد تصفحت معجم وبستر المنوه عنه ، وأنا أتصفح هـذا المعجم في كل يوم تقريباً منذ صدوره ، فاذا بأصحابه يدوّنون على غلافه أنه نتيجة خبرة تنيف مدتها على القرن . أفلا يحق لنا إذن أن نأخذ من ذلك أن معجم البعلبكي الذي هو وليد معجم وبستر أشهر معاجم العالم الأنكلو أميركي على الإطلاق ، إنما هو ثمرة عمـــل وجهد وخبرة يزيد أمدها على قرن كامل .

وكم كان إعجابي شديداً بقاموس المورد ، وبرسوخ قدم صاحبه في اللغتين العربية والإنكليزية لدى قراءتي مقدمة القاموس التي سماهـا المؤلف تصديراً . وكنت قرأت فيا سبق لأحد الكتبة المتأخرين مقالاً كتبه عن اللغوي والمحقق المشهور الشيخ إبراهيم اليازجي ، فقد قال هذا الكاتب في معرض وصفه لشرح ديوان المتنبي الذي وضَعَهُ اليـازجي ، والدراسة المستفيضة التي كتبها اليازجي عن المتنبي وجعلها ذيلا لشرح الديوان « لو لم

---

(١) صدر هذا المعجم عن دار العلم في بيروت وأنجز طبعه على المطابع الأهلية اللبنانية في عام ١٩٦٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يكن لليازجي غير هذه الدراسة لكفى بها دليلاً على علو كعبه في اللغة العربية وآدابهـــا ، وأنا أقول ، وأراني على حق فيما أقول ، لو لم يكن لمنير البعلبكي غير هذا التصدير الذي مهّد به لقاموسه لكفى به شاهداً على بلاغة صاحبه وتمكنه من اللغتين العربية والإنكليزية .

وكم كان إعجابي شديداً أيضاً بقاموس المورد لدى ماعلمته من تصديره أن عدد مفرداته أو مواده entries كما سماها المؤلف ، لايقل عن مائة ألف مادة . فذكرت بعد علمي بذلك أن المعجم الانكليزي العربي المدرسي الذي وضع بين أيدينا خلال سنوات الدراسة الابتدائية والثـــانوية في المدارس الأميركية في لبنان ، وهو قاموس ابكاريوس (١) ، لم يكن يزيد عدد مفرداته على ٢٥ ألف مفرداً ، وقلت في نفسي ما أوفر حظ المثقف العربي — وقل الطالب العربي على الأقل — في هذا العصر حين يتاح له في دراسته اللغة الإنكليزية أن يستعين بقاموس البعلبكي الكبير ، عوضاً عن قاموس ابكاريوس الصغير ، وكم كنت أشعر بالخيبة في دراستي للجغرافية والتاريخ والعلوم الطبيعية والرياضية حين اضطراري على مراجعة قاموس ابكاريوس للتفتيش عن المعنى العربي لإحدى الألفاظ الإنكليـزية ، فلا أجد فيه غير المعاني البعيدة عن المعنى الذي افتش عنه ، أو لا أجد اللفظة المطلوبة بين ألفاظه فلا أرى بدأ إذ ذاك من مراجعة معجم ويبستر للتفتيش عن ضالتي المنشودة فاذا وجدت اللفظة المطلوبة وعثرت بين معـانيها على المعنى الذي أريده ، وهذه المعاني قد تكون في بعض الأحيان كثيرة تحتاج في قراءتها وفهمهـا إلى الوقت والدأب ، لرحت بعد ذلك افتش عن اللفظة العربية المقابلة لمعنى اللفظة الإنكليزية الذي وُفّقت في العثور عليه ، وإنما كان التفتيش كما هو واضح ، فيما كانت تعيه حافظتي من المفردات العربية ، وجل هذه المفردات

(١) طبع هذا القاموس لأول مرة في المطبعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٠٣ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقتبس من كتابات بعض مشاهير المتأخرين من أمثال جرجي زيدان وفرح أنطون وجبران والريحاني وطانيوس عبده وسواهم .

وعلى ذلك فاني بعد هذا البيان الذي يجاو حقيقة الدراسة للغة الإنكليزية في الحقبة الممتدة من أول الحرب العالمية الأولى إلى نهاية الحرب العالمية الثانية لايسعني إلا أن أغبط دارسي اللغة الإنكليزية في هذه الآونة ، وبخاصة الطلاب الجامعيين الذين يدرسون اللغة الإنكليزية وآدابها ، لأن لديهم سفراً مطولاً هو معجم البعلبكي يستطيعون الرجوع إليه لتقصي المعاني العربية لمعظم الألفاظ الإنكليزية التي تعترضهم خلال الدراسة ، بدون أن يكلفوا أنفسهم مشقة الرجوع إلى المعاجم الأميركية أو الإنكليزية . وإني إذ أغبط المثقفين والطلاب لأن لديهم مرجعاً غزير المادة يستطيعون اعتماده في تعلمهم اللغـــة الإنكليزية ، لأغتبط أيضاً لأني في كل يوم تقريباً أقلب صفحات هذا المعجم لاستقصاء المعاني العربية أو التحقيق في المعاني العربية التي قد أجدني في حاجة إليها خلال الترجمة من الإنكليزية إلى العربية .

غير أني شأن كل باحث مدقق ، ونزولاً عند رغبة المؤلف بإبـــداء ما يخطر للمراجع من الملاحظات على منهج تأليف المعجم وعلى ما بين دفتيه من الثروة اللغوية استميح المؤلف عذراً إذا أنا أبديت له الملاحظات التالية :

١ — كثيراً ما يلحق المؤلف أل التعريف بالأسماء الموصوفة وربما كان ذلك تمييزاً لها عن الصفات ، فهو في الصفحة الأولى من المورد يورد لفظة « الحِظَار » بأل التعريف لمقابلة لفظة abatis الانكليزية ، وبعدها بلفظة واحدة يذكر لفظتي « مَجْزَر ؛ مَسْلَخ » بدون أل التعريف لمقابلة لفظة abattoir ، فهو إذن في إيراد الأسماء الموصوفة ، يهمل أل التعريف أحياناً ويلحقها بها أحياناً بدون أن يكون لذلك سبب هام يقتضي هذا الإلحاق . وحبذا لو تخلى

عن أل التعريف تخلياً تاماً جرياً على المنهج المتبع في معجم الكاريوس ومعجم الأب بلو اليسوعي، وهو معجم فرنسي عربي ، ومعجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات لمؤلفيه الأساتذة خاطر وخياط والكواكبي وهذا أيضاً فرنسي عربي ، إلا في أحوال خاصة يفضل فيها تعريف الاسم بدلاً من بقائه بحالة التنكير . وليس بمنكر أن أل التعريف تلحق دوماً بالأسماء الموصوفة في المعاجم العربية وحتى بالصفات أيضاً ، وربما كان ذلك أحد الأسباب التي دعت المؤلف إلى هذا الالحاق . ولكن الفرق جسيم بين التأليف في الحالة الواحدة وبينه في الحالة الثانية ، لأن أسلوب التأليف في المعجم العربي يقتضي أن يكون الكلام في سياق واحــــد وأن تكون فقراته المتتابعة معطوفة إحداها على الأخرى فلا مَحالة من إلحاق أل التعريف حتى بالصفات . قال المعلم بطرس البستاني على الصفحة الأولى من قاموسه محيط المحيط « الأُبابُ الماءُ والسرابُ والأُباب معظم السيل والموج » . وقال أيضاً « الآبِدة الداهية يبقى ذكرها أبداً ج أبَدٌ وأوابدُ . والأوابد أيضاً الوحوش والقوافي الشُرَّد . الأَبدُ الدهرُ والدائمُ والقديمُ الأزلي والولَد الذي أتت عليه سَنَة ج آباد وأبود » وهكذا إلى آخر صفحة من صفحات معجم البستاني وإلى آخر مفرد من مفرداته .

وعلى نقيض ذلك فإن مؤلفي المعجم الطبي المذكور آنفاً أسقطوا أل التعريف من كل الأسماء الواردة في المعجم فقالوا عضلة لمقابلة كلمــة muscle وقالوا عضلة صُدغية في ترجمة muscle temporal بدون أل التعريف ولم يقولوا العضلة الصُدغيّة بأل التعريف مع أن اسم هذه العضلة خاص بها دون سواها من العضلات فهو أحرى باستلحاق أل التعريف من كلمة عضلة ذات المعنى العام أو الدلالة العامة .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

٢ – ويصطلح المؤلف في ترجمة الأفعال على صيغة المضارع بدلا من الماضي الذي هو الأصل في بناء الفعل وهو الصيغة الأصلية التي تقابل صيغة الـ infinitive في اللغة الانكليزية وسواها . فهو يقول على الصفحة الأولى في ترجمة كلمة abandon « يتنازل عن ، يهجر ، يترك الخ . . » وربما كان الأفضل ما جرى عليه مؤلفو المعاجم الأخرى الانكليزية العربية والفرنسية العربية من استعمال صيغة الماضي لمقابلة الأفعال ، وربما كان الأفضل من هذا وذلك أيضاً استعمال الماضي والمضارع معاً مع الاهتمام باثبات حركة عين الفعل في كلتا الصيغتين لما لهـــذه الحركة من الشأن في تصويب التلفظ بالأفعال .

٣ – أما بشأن البوادىء التي تدخل على الألفاظ الانكليزية فيمكن أن تقسم قسمين همـا البوادىء بخاصّة prefixes وهذه تكون عادة من الحروف أو الظروف اللاتينيـة أو اليونانية نحو البوادىء في الكلمات abduct أي أبعَدَ و abscess أي خُرّاج و subcutaneous أي تحتَ الجلد الخ ... والقسم الثاني هو الصيغ التركيبية combining forms وهـــذه تكون عادة من الأسماء اللاتينية أو اليونانيـــة نظير الجزء الأول من الكلمتين oropharynx أي البلعوم الفموي و nasopharynx أي البلعوم الأنفي . غير أن مؤلف المورد لا يفرق بين هذه الصيغ فهو يسميها جميعاً بوادىء (الصفحتان ١٩٤ و ٧١٨ من المورد) وهب أن تسميتها كذلك جائزة ، فما تفعل حين تعترضنا كلمة مركبة من ثلاثة أجزاء مثل sternocleidomastoid أي العضلة القَصَبِيَّة التَرْقُوية الخُشَّائِيَّة وماذا نسمي جزأها الثاني أي ‒cleido‒ الذي لا يمكن اعتباره بادئة لأنه الجزء المتوسط من الكلمة فلا هو بادئة ولا هو لاحقة . لذلك نرى أن الأفضل في التفريق بين هذه الألفاظ المستعملة في

بناء الكلمات المركبة أن نسمي ما كان منها من قبيل الأسماء بالصيغ التركيبية أي بترجمة اسمها حرفياً عن الانكليزية ، وأن يقتصر في إطلاق كلمة البادئة على الأدوات والحروف والظروف وما أشبه .

٤ — وفي المعجم الكثير من الألفاظ المعربة كلفظة اسْقُوبة التي عربت بها لفظة succubus ولفظة السُّكُتاش لمقابلة لفظة succotash والصَّنْفَرة أو السَّنْفَرة لمقابلة sandpaper أو emery paper وغير ذلك . وإني أظن أنه لاحاجة إلى أمثال هذه المعرّبات إذ أن الناس يتعذر عليهم الاقبال على استعمالها فلا ينقضي عليها بعض الوقت حتى تعود من الألفاظ المماتة . وقد عرب المجمع العلمي العربي بدمشق فيما مضى كلمة chocolate بكلمة شَكْلُولات على وزن فَعْلُولات فهل استعمل الناس اللفظة المعربة في الكلام أو الكتابة ، إنهم لايزالون يقولون ويكتبون شوكولا أو شكولاته أو شكولاتا أو ما اقترب من هذه الكلمات في هجائه ولفظه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥ — ثم إن في بعض ألفاظ المعجم العربية شيئاً من نقص الايضاح أو عدم التفريق فيما ترمز إليه من المعاني الانكليزية فكلمة solder الفعل ترجمت بكلمة « يَلْحُم » ، وكذلك كلمة weld ، مع أن هناك فرقاً بين اللفظتين إذ أن الأولى تفيد معنى وصل قطعتي المعدن بالالتحام والثانية تفيد معنى وصلها بالحرارة وبدون وساطة اللحام ، فلا بد إذن من التفريق بين المعنى الانكليزي لكل من اللفظتين فيما يقابله بالعربية .

٦ — وقد يكون في المعجم قليل أو كثير من الأخطاء في اللغة العربية نفسها ، فقد جاء على صفحة ٤٦٠ في ترجمة Indian club ما نصه « أداة خشبية قاروية الشكل يُتَرَيَّضُ بها » ، والصواب يُتَروَّضُ لأن الفعل راض واوي وليس في صيغة المضارع المجهول يُتروّض شيء من الاستثقال لقلب الواو ياء . وجاء على صفحة ٢٤٨ في ترجمة كلمة dark « مظلم ، داكن ، قاتم

الخ ... ، والصواب أدكن ومؤنثه دكناء لأن لفظة داكن على وزن فاعل لم ترد فيا اطلعت عليه من المعاجم العربية (محيط المحيط للبستاني صفحة ٦٦٩). ثم إن المؤلف يقول على الصفحة ٦٥ من المعجم في ايضاح التعبير artificial horizon «حين يتعذر عليهم رؤية الأفق الحقيقي»، والصواب تتعذر لأن الفاعل رؤية مؤنث . ويقول على نفس الصفحة في تعريفه اللغة الآرية « اللغة التي تحدّرت منها معظم اللغات الأوروبية .... واشتقت منها معظم اللغات الأوربية » والصواب تحدّر واشتُقّ لأن فاعل تحدّر مذكر وكذلك نائب فاعل اشتُقّ .

٧ — وقد يذكر مؤلف المورد القليل أو الكثير من الألفاظ العامية لمقابلة نظائرها الانكليزية مع وجود مايقوم مقامها من الألفاظ الفصيحة فهو يستعمل كلة غامق لمقابلة كلة deep وفاتح لمقابلة كلة light مع أن الكلمتين عاميتان ، وقد استعمل الشيخ إبراهيم اليازجي كلة مشبع لترجمة كلمة deep، وكذلك فعل الأب بلو في معجمه الفرنسي العربي فذكر كلة مشبع لمقابلة كلة foncé التي لها نفس المعنى .

وذكر صاحب المورد كلة مستديم في ترجمة كلة constant وهي عامية في هذا الاستعمال وفي المحيط استدام اللازم غير ثابت عند العرب لأنه مُتَمَدٍّ ومعناه طلب دوامه ولا يعني دام . لذلك كان الأصوب ترجمة كلة constant بالدائم أو الموجود بصورة دائمة .

على أني فيا يتعلق بالتنبيه على الخطأ اللازم لاستعمال لفظة مستديم ، لا أخال أنها ستستعمل على وجهها الصحيح بل إن استعمالها كفعل لازم سيستمر إلى ما شاء الله لأنها كالفعل تبَقّى الذي تعده كتب متن اللغة فعلاً متعدياً في حين أن أكثر الناس لايستعملونه إلا فعلاً لازماً فيقولون

مانبَقّى من الشيء أي بقي والشيء المُتَبَقّي أي الباقي حتى أن صاحب المورد نفسه أثبت كلة مُتَبَقٍ لمقابلة كلة residual التي تفضل ترجمتها بالباقي . والغريب في أمر هـذه الألفاظ التي شاع استعمالها الخاطئ حتى طغى على استعمالها الصحيح أنه ما من وسيلة يمكن التوسل بها لحمل الكتّاب وسوام على اجتناب الخطأ في استعمالها . خذ مثالاً آخر على ذلك لفظة استهدف اللازم فانها تعني أصبح هدفاً أو غرضـاً يرمى ومنه قولهم من صنّفَ فقد استهدف أي أصبح هدفاً للنقد . ومنه قول ابن الفارض :

ولقد أقولُ لن تحرَّشَ بالهوى عرَّضتَ نفسَكَ للبلا فاستَهدِفِ

أي اجعل نفسك هدفاً . أما الاستعمال الشائع فيُعدّي هـذا الفعل ويجعل معناه رمى هدفاً معيّناً أو رمى نحو هدفٍ معيّن فيقولون مثلاً أن هذه الخطة تستهدف إصلاح هذا الأمر ، وما إلى ذلك . فاذا نحن نبّهنا على هذا الخطأ فلا اخال أننا نستطيع إصلاحه ما دامت إذاعات العالم العربي وغير العربي قاطبة وربما معظم جرائده أيضاً تجعل الفعل استهدف فعلاً متعدياً وتستعمله بهذا المعنى الخاطئ .

٨ — ثم إن في تعريفات بعض المصطلحات الطبية والبيولوجية شيئاً من النقص مثال ذلك لفظة antibiosis فقد ورد ما يقابلها بالعربيـة كما يلي « التضادّيّة : تضادٌ بين مُتَعضّيَيْن يؤدي إلى إتلاف احدهما» وقد جاء في معجم دورلند الطبي(١) ما معناه :

«ان antibiosis هي bacterial antagonism أي التضادّ الجراثيمي وهو عبارة عن اجتماع المُتَعَضّيَيْن متلفٍ أو مؤذٍ لأحدهما أو لهما معاً» . ومن ناحية

(١) الطبعة الرابعة والعشرون الصادرة عن شركة سوندرز للنشر والطباعة في فيلادلفيا سنة ١٩٦٥ .

ثانية فقد جاء في المورد أن antagonism هي بالمعنى الطبي أو البيولوجي التضادّ ، فلماذا نترجم اللفظة الأولى بالتضاديّة بياء النسبة وتاء المصدرية ، ونترجم اللفظة الثانية المرادفة antagonism بالتضادّ بدون الياء والتاء .

وقد اعتبر المورد بعض الألفاظ الطبية أسماء في حين أنها قد تكون أسماء nouns وصفات adjectives في آن واحد مثل anticoagulant أي مانع التخثر فقد جعلها المورد اسماً فحسب مع أن معجم دورلند الطبي يذكر أن اللفظة تعني مانع التخثر أي أنها تكون صفةً وتعني أيضاً المادة مانعة التخثر أي إنها تكون اسماً . والغريب أن صاحب المورد لم يغفل نسبة الإسميّة والوصفيّة إلى بعض المصطلحات الأخرى الطبية نظير antiseptic أي مانع العفونة و antipyretic أي مانع الحمى فقد اعتبرها أسماء وصفات في آن معاً ، وذلك على حد ما جاء في معجم دورلند الطبي وسواه من المعاجم الطبيـة وعلى حد ما ورد في معاجم متن اللغة الانكليزية .

٩ — وقد يضع مؤلف المورد في بعض الأحايين ألفاظاً عربية جديدة لمُسمَّيات انكليزية لها ما يقابلها بالعربية نظير لفظة مُجتَلَد الموضوعة لمقابلة كلمة arena التي تعني ساحة البراز أو حَومْة القتال أو حومْة بدون إضافة . والطريف في هاتين اللفظتين الانكليزية arena والعربية حَومْة أن لفظة arena عَنَتْ في أصلها اللاتيني الرمل أو المكان الرمل ثم أطلقها الرومان على ساحة البراز لأن هذه كانت تفرش بالرمل ، وكذلك كلمة حومة فإن العرب استعملوها في بعض المركبات الاضافية فقالوا حومة البحر والرمل والقتـال وغيره أي معظمه أو أشد موضع فيه . وهم يسمون موضع القتال حومـة لأن الأقران يحومون حوله (محيط المحيط) .

وذكر صاحب المورد أن كلمة premolar وهي السن التي تلي الناب ، تقابلها كلمة "قبطاحن العربية وهذه الأخيرة كما ترى منحوتة من كلمتين هما قبل وطاحن لمقابلة البادئة -pre المأخوذة من -prae اللاتينية ومعناها قبل ، وكلمة molar أي السن الطاحنة أو الرحى وهذه مأخوذة من mola اللاتينية أي حجر الرحى . غير أن العرب أطلقوا لفظة الضاحكة على السن التي تبدو عند الضحك ، أو السن التي تلي الناب . وجاء في محيط المحيط الضاحكة مؤنث الضاحك وكل سن تبدو عند الضحك أو السن التي بين الأنياب والأضراس وهي أربع ج ضواحك . وقال الأصمعي في الفم الأسنان وهي الثنايا والرَّباعيَات والأنياب والضواحك والطواحن والأرحاء والنواجذ . ويقول الأصمعي ويلي الأنيابَ الضواحكُ وهي أربعة أضراس إلى كل ناب من أسفل الفم وأعلاه ضاحكٌ ثم تلي الضواحكَ الطواحنُ والأرحاءُ ثم تلي الأرحاءَ النواجذُ . أما نحن في جامعة دمشق فقد اعتبرنا الأسنان التي تلي الأنيـــاب ضواحك أولى first premolars وسمينا طواحن الأصمعي بالضواحك الثانية second premolars وذلك لما بين الضاحكة الأولى والثانية من التشابه في الملامح التشريحية حتى ليتعذر التفريق بينها أحياناً ، وأطلقنا اسم الأرحاء molars على الأسنان الثلاث الباقية وهي التي تلي الضواحك ، وسمينا أولاها بالرحى الأولى first molar وثانيتها بالرحى الثانية second molar وثالثتها بالرحى الثالثة third molar وهذه الأخيرة هي الناجذ الذي ذكره الأصمعي . وقد سميناها رحى لأنها تحاكي أرحاء الأصمعي في أوصافها التشريحية وكل ذلك موافق للتسمية التي اصطلح عليها الفرنجة (١) . غير أننا احتفظنا بلفظة الناجذ لمرادفة ضرس العقـــل

(١) معجم المصطلحات السنّية الذي وضعه اتحاد طب الأسنان الدولي وأصدره عن لاهاي سنة ١٩٦٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

wisdom tooth المسمى كذلك عند الكثير من الأمم . وعليه وبعد هذا التفصيل التشريحي لايبقى ثمّة وجوب لنحت كلمة جديدة هي القَبْطَاحين هذا ناهيك من أن هذه الكلمة المنحوتة ثقيلة يمجها السمع فلا محالة من عدها ميتة من يوم ولدت .

١٠ — وقد يعمد صاحب المورد أحياناً — وهي أحيان قليلة جداً — إلى التعاريف الطويلة لشرح بعض المعاني أو بعض التعابير الاصطلاحية كما في ترجمته للتعبير الاصطلاحي rule out فقد ترجمه بعبارة صحيحة ولكنها طويلة حيث قال « يعلن أنه غير وارد أو لا مجال للبحث فيه » مع أنه قد يمكن الاستغناء عن هذا التعريف الطويل والاكتفاء بالفعل نفى أو استبعد لا سيما وأن وبستر يرى أن التعبير rule out يرادفه الفعلان exclude أي استثنى و eliminate أي أخرج واستبعد .

١١ — ثم إن المؤلف قد أحسن كل الإحسان بإيراده الكثير من المصطلحات الطبية حتى ما استعمل منها في مختلف نواحي الاختصاص كلفظة bitewing الدالة على الفِلْم الشُّعاعي المُجنَّح الذي يستعمل بعد عَضّ جناحه في تصوير تيجان الأسنان العلوية والسفلية في آن واحد . وقد أحسن المؤلف كل الإحسان أيضاً بإيراده للكثير من الألفاظ مَعَانيها المستعملة في البحوث الطبية . وذلك عملٌ جزيل النفع يفيد منه المشتغلون في ترجمة هذه البحوث . فهو يقول مثلاً إن من معاني لفظة invasive معنى طبي هو « توسعيّ » ، وبخاصة : « نزّاعٌ إلى غزو الأنسجة السليمة » ، ويستشهد على هذا المعنى بقوله invasive cancer cells . ولكنه على العكس من ذلك يسقط بعض المعاني الهامة التي يتوالى استعمالها في الكتابات الطبية مع أنها قد تكون في غاية البساطة مثل كلمة common الكثيرة الاستعمال في وصف درجة تفشي المرض فيقال مثلاً common disease أي مرض شائع ومألوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أو كثير المصادفة والحدوث . وقد جاء في وبستر شرح هذا المعنى بقوله occurring or appearing frequently أي كثير الحدوث او أنه يحدث أو يصادف غالباً وتكراراً . ومع ورود هذا المعنى في وبستر فانه لم يرد بين معاني كلمة common في المورد .

ومن هـــذا القبيل أحد المعاني التي أوردها مؤلف المورد لمقابلة كلمة dull فقد ذكر أن من معاني هذه اللفظة المعنى « غير واضح » . وبما أن هذه اللفظة صفةٌ يغلب استعمالها في وصف الألم فيقال dull pain فقد كان من المفيد أن يُعَزِّز المؤلفُ معنى عدم الوضوح بهذا الشاهد الذي يوصف به الألم بكونه مبهماً أو عميقاً وغير واضح . وذلك ما جاء في معجم كلارفيل الفرنسي الكثير اللغات ، وهو المعجم الذي نقله إلى العربية الأساتذة خاطر والخياط والكواكبي والذي سبقت الإشارة إليه ، فقد قال المؤلف الفرنسي douleur sourde بالفرنسية يقابلها dull pain بالانكليزية . وكذلك فان معجم لاروس الفرنسي الكثير التداول لم يغفل إيراد هذا الشاهد لوصف الألم مع أنه ليس بالمعجم الطبي فذكر بين معاني كلمة sourde المعنى الذي يوصف به الألم بالعمق والإبهام فقال douleur sourde .

ومن هذا القبيل أيضاً عدم إيضاح المعنى البيولوجي الذي يتضمنه الفعل اللازم break في الاستعمال الاصطلاحي break down فقد ذكر المؤلف أن من معانيه « يَحُلُّ » أو « يحلّل » مركباً كيميائياً ، في حين أنه ليس من الضروري أن يكون الجسم المنحل مركباً كيميائياً بل قد يكون أيضاً نسيجاً مرضياً فيقال إذ ذاك في وصف الآفة المنحلة أو المتجـــزأة the lesion breaks down أي أن نسج الآفة يتجزأ أو يتهشّم .

ومن المعاني الطبية التي تحسن الإشارة إليها بين معاني الكثير من كلمات المورد المعنى واقع في الجانبين أو مؤثر في الجانبين لمقابلة كلمة bilateral فقد

ذكر المؤلف جميع معاني هذه اللفظة خلا المعنى المتقدم مع أنه شائع الاستعمال في علمي التشريح والأمراض فيقال مثلا bilateral enlargement أي ضخامة واقعـــة في الجانبين . وقد عبر وبستر عن هذا المعنى بقوله affecting reciprocally two sides أي مؤثر في جانبين متقابلين .

ومما سقط ذكره من المورد لفظة stiffness الاسم مع أن stiff الصفة مذكورة وأن من معانيها « جاسِيء أو صُلْبٌ » . وعليه كان من الضروري أن تذكر كلمة stiffness التي تفيد من الوجهة الطبية معنى جُسأةِ العُضو أو صلابتِهِ ويُبُوستِه . ومما يدعو إلى العجب أن مؤلف المورد أثبت لفظة supraorbital أي فوق الحَجَاج أو فوق المَحْجِر وترجمها باللفظة المنحوتة فوْمحْجِري» ، ولكنه أسقط من المعجم لفظة infraorbital التي تعني تحت الحَجَاج أو تحت المَحْجِر مع أن هذه اللفظة الثانية لا تقل في كثرة استعمالها عن الأولى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما يشبه هذا السهو في التأليف أن صاحب المورد أثبت لفظـــة polymer ومشتقاتها ، وهي لفظة تطلق على المركب الكيميائي ذي الذرات المتماثرة أو المتضاعفة ، والوزن الذري المرتفع ، ولكنه أغفل اللفظة الشقيقة وهي لفظة monomer التي يسمى بها المركب الكيميائي ذو الذرات البسيطة أو غير المتضاعفة ، والوزن الذري المنخفض ، مع أن أول هذين المركبين يتكوّن عادة من اتحاد أو تماثر (تبلمر كما يقول المؤلف) ذرات المركب الثاني (راجع معجم دورلند الطبي في مادّتي polymer و monomer) .

ومن الألفاظ التي أشار المؤلف إلى معانيها العامة ولكنه أغفل الإشارة إلى معانيها الخاصة لفظة artifact (أصلها اللاتيني artis facta ويعني تأثير العمل الفني في الشيء المصنوع أو في مظهره) . فقد ذكر المؤلف من معاني

هذه اللفظة معنيين هما أولاً الشيء الدال على مهارة صانعه والثاني النتيجة الصنعية الناجمة عن عامل خارجي . غير أنه لم يُشر إلى المعنى المألوف في الاستعمال الطبي والدال على الخطأ الحادث في التصنيع المخبري أو على التبدل الطارىء على نتيجة العمل المخبري . مثال ذلك المظهر الكاذب أو الخادع الذي يشاهد أحياناً في الصور الشّعاعية أو المُحَضّرات النسجية ، فاذا أعيد التصوير الشّعاعي أو التصنيع المخبري بعد تعديل طريقة التصنيع أو بعد تغيير المواد المستعملة فيه ، لاختفى المظهر الخاطىء من الصور أو المحضّرات . وعليه فان هذا المظهر الكاذب والطارىء على نتيجة العمل المخبري يشار إليه بالمعنى الخاص للفظة artifact ، وهو المعنى الذي تذكره المعاجم الطبية ويهمله أكثر المعاجم العادية ومنها معجم المورد ومعجم وبستر الجامعي . وإني اخال أن المؤلف في إغفاله المعنى الطبي لهذه اللفظة ذهب إلى ما ذهب إليه معجم وبستر الجامعي ، وكان الأحرى الاقتداء بمعجم وبستر الدولي الذي جعله المؤلف في عداد المراجع التي اعتمدها في تأليفه ، فقد أثبت هذا المعجم المعنى الطبي الخاص للفظة artifact كما تفعل المعاجم الطبية .

وقد يقال رداً على كل ما جاء في هذه الملاحظة أن معجم المورد ليس بالمعجم الطبي لكي يثبت المعاني الطبية لجميع ما ورد فيه من المفردات ولكن الرد على هذا الرد ما أكّدته في صدر هذه الملاحظة وهو أن المؤلف أورد المعاني الطبية للكثير من مفردات معجمه حتى أنه أورد فيه العدد الكبير من المفردات الطبية كما أشرت إليه في أعلاه ، فكان من المفيد أن تذكر فيه أيضاً بعض المعاني الطبية الأخرى التي أغفل ذكرها مع أنها لاتقل في أهميتها وكثرة استعمالها عن المعاني الواردة في المعجم .

١٢ — وأخيراً فانني لن أترك القلم جانباً قبل أن أقول كلمة عن هذه الألفاظ المنحوتة التي تكثر في قاموس المورد نظير دُونْأحْمر أي دُونَ الأحْمر التي ترجمت بها لفظة infrared ، وفَوْبَنَفْسَجِيّ أي فَوقَ البَنَفْسَجِيّ لترجمة لفظة ultraviolet وفَوْمَحْجِري أي فوقَ مَحْجِر العين لترجمة لفظة supraorbital ، وشَمْقَمَري أي شمسيّ قمريّ solunar وحِسِّحَرَكيّ أي حِسّيٌّ حَرَكيٌّ sensorimotor ، وشِرْيانيوَريدي أي شِرْيانيٌّ وريديٌّ arteriovenous الخ . الخ . . . أنا لا أنكر أن في استحداث هذه الألفاظ جرأة كبيرة من مؤلف المورد ولكني لا أظن أن صدى هذه الجرأة سيكون على النحو أو من القَدْر اللذين يشاؤهما المؤلف ، وذلك لأنني أعتقد بأن الأقلام لا تُقبِلُ على تداول هذه الألفاظ المنحوتة لأنها غريبة الوجه واليد واللسان ، ولأنها تبتعد كل البعد عن أصول تركيب الألفاظ العربية . أجل لقد نحت العرب بعض الألفاظ كما هو معروف فقالوا عبشمي ، وقالوا البسملة والحمدلة والحوقلة ولكن هذه الألفاظ المنحوتة على ما أعلم قليل عديدها فلا يتجاوز أصابع اليدين . وعليه فأنا أرى – وربما رأى سواي هـذا الرأي – أن تترك أجزاء هذه الألفاظ المذكورة حرة بدون بترها وحصرها في كلمات منحوتة . وظاهر أن المغالاة في النحت ممكنة وسهلة في اللغات الأجنبية حيث يغترف العلماء والمُعْجَميّون ما شاؤوا من المعين اليوناني اللاتيني لبناء الألفاظ الجديدة ، لا بل ان النحت هو الوسيلة الوحيدة عندهم لبناء الألفاظ المركبة ، خلافاً لما نحن عليه في لغتنا العربية من التقيّد بأحكام لغويّة وبيانيّة لا نستطيع الخروج عليها . وللتمثيل على هذا الرأي الذي أراه أعود فأذكر اللفظة الانكليزية المنحوتة sternocleidomastoid التي تقدم ذكرها في صدر هذا المقال والتي تعني العَضَلَة القَصّيّة التَرْقُوِيّة الخُشّائيّة . إن هذه اللفظة

الإنكليزية مركبة من ثلاثة أجزاء ، فإذا أردنا جمع الألفاظ العربية الثلاثة التي تقابلها في كلمة منحوتة واحدة لقلنا مثــلاً المضلة القَصْتَرْقُشَائِيَّة على طريقة مؤلف المورد ، وتلك لفظة لا تسر الناظرين كما أن موسيقاها لا تُطرب السامعين . ولذلك فإني أخال أن أكثرنا يعرض عن هذا التكلف الذي يغنينا عنه ما في لغتنا العربية من الليونة والطواعية وما في أسمائها من قابلية الإضافة وبناء صيغ النسبة ، هذه الصيغ التي تحبب إلينا الاحتفاظ بالمصطلحات القديمة وتسهل علينا بناء المصطلحات الجديدة .

وبعد فان هذا ما خطر لي تدوينه من الملاحظات على قاموس المورد . وكنت قد أنعمت النظر فيه وأكثرت من مراجعته في الأسابيع الأخيرة خلال قيامي بترجمة مقال طبي من الانكليزية إلى العربية ، فاجتمع لديَّ من هذه المراجعة الملاحظات التي كشفتها وأوجزتها فيما تقدم ذكره . ومع أنها ليست كل ما يمكن قوله في مجال الملاحظة على مواد المعجم ، فانها مهما كثرت لا تعدُّ شيئاً مذكوراً إذا هي قيست بالحسنات الجُلّى التي يطفح بها معجم المورد ، والتي تجعله خير معجم إنكليزي عربي أخرج للناس . هذا وان المؤلف قد وعد في تصديره لمعجم المورد بأنه سيوالي التحقيق في أصول الألفاظ حين اقتضائها هذا التحقيق لتكون الطبعات القادمة أكثر شمولاً وأغزر مادة من الطبعة الحالية . وإني لموقن بأن تحقيقه سوف لا يقتصر على أصول الألفاظ ، بل سيتناول الألفاظ الجديدة والمعاني الجديدة للألفاظ الراهنة وذلك من شأنه أن يرفع معجم المورد إلى درجة الكمال التي يتَّسم بها معجم وبستر الدولي وسواه من المعاجم الأجنبية المطوّلة .

الدكتور ميشيل الخوري
أستاذ في جامعتي دمشق وبغداد سابقاً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعجم العربي

نشأته وتطوره

كتاب في جزأين صفحاته ٨٣٥ للدكتور حسين نصار المدرس بكلية الآداب في جامعة القاهرة
منشورات مكتبة مصر – دار مصر للطباعة ١٩٦٨

سبق لهذه المجلة أن وصفت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في مجلدها السابع والثلاثين (ص ١١٥) بقلم العالم الجليل الأستاذ عبد الله كنون ، وصفاً وفتى الكتاب ما هو أهل له من التقدير ، ومنح المؤلف « إضافات قيمة أفاد منها » في طبعته الثانية هذه وقد أشار إليها شاكراً في مقدمة الطبع .

لا أعيد شيئاً مما نشر عنه في هذه المجلة ويحسن بالقارىء الرجوع إليه ، لكن لا مندوحة لي عن تذكيره بأن الكتاب دراسة تاريخية نقدية خطوطها العريضة ثلاثة :

١ – الرسائل اللغوية على الموضوعات

٢ – المعاجم

٣ – المعاجم التي نحتاج إليها

والدراسة متأنية صابرة جاهدة تستحق مع الشكر والتقدير العناية بها وبالنواحي التي أطافت بها ، وكلها ذو خطر من الواجب الاهتمام به ؛ ولم يسعني الاعتذار حين كلفني السيد رئيس المجمع الكتابة عن هذه الطبعة ، فرأيت بعد الإشارة إلى ما كتب عن الطبعة الأولى وبيان نظرتي إلى هذه الدراسة أن أعرض ما بدا لي من ملاحظ بالترتيب :

ص ١٦ — « واعترف القرآن للعرب بهذه القدرة اللغوية قال تعالى : (ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون) وقال : (فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لُدّاً) ...

... ومثال ذلك الرسول الكريم ... فكان يقول بصـــدد تعليل فصاحته : (أنا أفصح العرب ، بيد أني من قريش وأني نشأت في بني سعد ابن بكر) ...

.. كانوا يدفعون صبيتهم إلى أدبائهم وشعرائهم ليعيشوا معهم وينشؤا على تفوقهم اللغوي . مثال ذلك زهير بن أبي سلمى الذي عاش مع خاله بشامة ابن الغدير الشاعر فخرجه شاعراً » .

هذه النقول من صفحة واحدة يتخللها ظاهرة واسعة الشيوع في الدراسات الحديثة هي تحميل النصوص فوق ما تحمل ، وتجاوزها في الاستنباط إلى أبعد منها ، فلا يوقف حيث وقفت ؛ فالآيتان ليستا اعترافـــاً بالقدرة اللغوية وشتان مابين اللدد في الخصومة والقدرة اللغوية . ، والحـديث على فرض صحته لا يشهد لقول المؤلف (إذ أرسل [الرسول] الى البادية في طفولته لهذا السبب) وقد ضعفه المحدثون . وليس في ترجمة زهير ما يؤيد (انهم كانوا يدفعون صبيتهم إلى أدبائهم وشعرائهم ليعيشوا معهم وينشؤوا على تفوقهم اللغوي) إنما هي حال زهير الخاصة أن كان خال أبيه سيد غطفان وحكيمها وكان شاعراً .

ص ١٨ — أحكام عدة عن زواج الموالي هي موضوع نظر وتحتاج إلى تمحيص ، ويحسن أن يرجع فيها إلى كتب الفقه والأحكام ، وما كان (الأغاني) و (العقد الفريد) يوماً ما مرجعاً في مثل هذه الأمور .

ص ٢٢ — « بل تعلم بعض العرب أنفسهم الفارسية ونظموا بها شعراً وتشبهوا بالفرس في أزيائهم واحتفالاتهم . نفهم ذلك من خبر الشاعر العربي يزيد بن ربيعة بن مفرغ مع عبيد الله بن زياد » وليس في الخبر المشار إليه ما فهمه ، وكل الذي فيه أن الغلمان الذين خاطبوا يزيد بالفارسية أجابهم بها جملة بجملة ، وهو شيء يستفيده عادة من أقام حيث أقام يزيد فلا نظم شعر ولا تشبه في الأزياء والاحتفالات .

ص ٥٩ — في كلامه عن (الفائق) للزمخشري قال : « ولا يعرض للمجاز وما إليه ، مما بني عليه الأساس . ولعل سبب ذلك أنه ألف الأساس بعد الفائق . » وهذا تعميم فيه نظر إذ لا تعدم في الفائق تعرضاً للمجاز ، ففي كلامه مثلاً على مادة (ختل) جاء في شرح المراد من الحديث (وأن تتخذ السيوف مناجل) :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المناجل المجاز ، أي يؤثرون الحرث على الحرب .

ص ١٠٣ — « ومن المؤرخين من سلبه (أي ثعلباً) الكتاب جملة فنسبه إلى الحسن بن داوود الرقي أو يعقوب بن السكيت » .

قلت : يحسن إثبات ما اشتهر عند المطلعين من كثرة نقد القدماء فصيح ثعلب حتى حملوه على إنكار نسبة الكتاب إليه [١] .

ص ١٦٥ — في كلامه على كتاب الفزاري الإسكندري أقحم ثلاثة أسطر . (وألف محمد بن أبي القاسم بن بايجوك البقالي .. الخ يحسن تأخيرها إلى ما بعد انتهاء كلامه على كتاب الفزاري في الصفحة التالية .

(١) في أصول النحو ص ١٩٣ (مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٤) .

ص ٢٠٠ — س ١٤ (أبواب السالم) وأعني به هنا ما فيه حرف علة واحد أو همزة واحدة) ، أطلق (السالم) وهو يريد (غير السالم) كما هو ظاهر فلعل كلمة (غير) سقطت في الطبع ، إلا أن ذلك تكرر .

ص ٢٥٦ — في كلامه عن الخليل وكتاب العين : (بل أورد أشياء من لغة المعاصرين له في إقليمه العراق ، أو بلدته البصرة خاصة ولو كانت لا تعرف في البادية مما يدل على تسامحه وتحرره من القواعد المتزمتة) !! ؟

ولغة معاصري الخليل في البصرة عربية وما أثبته منها في العين لا يخالف القواعد ، ومن الذي قال إن على صاحب المعجم ألا يثبت إلا ما كان يعرف في البادية ؟! وأيّ كان فكلمة (تسامح) و (تزمت) وأمثال لهما مما تستعمل في عصرنا في غير محلها ، تصان عنه دراسة موضوعية جادة عن (المعجم العربي) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٢٥٨ — فيها نقل عن ابن الأنباري في قياسية النحو استقاه المؤلف من (الاقتراح) للسيوطي وكان ذلك سائغاً في الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦ أما في الطبعة الثانية فلا ، إذ أن (الاقتراح) منتزع انتزاعاً من كتاب لابن الأنباري اسمه (لمع الأدلة) (١) وقد نشرته الجامعة السورية سنة ١٩٥٧ ونقل السيوطي تجد أصله في ص ٩٩ من لمع الأدلة ، ولم يعد (الاقتراح) مصدراً أصيلاً بعد نشر الأصل (لمع الأدلة) .

ص ٢٧٨ — (يكفي أن يذكر أمام المتأخرين كتاب العين حتى تنهال الشتائم والتهم جزافاً ، وأقرب مثال لذلك الأشموني الذي قال عن لفظ انفرد به الخليل : « ... لم يسمع إلا من كتاب العين فلا يلتفت إليه » ومن

---

(١) في الكتاب (رسالتان لابن الأنباري) الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة) مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٧ بتحقيق سعيد الأفغاني .

الطبيعي أن يشاركه الصبان بحشيه في شتائمه قال ؛ « قوله (إلا من كتاب العين) أي المحشو بالخطأ » .

في هذه الأسطر مثال آخر على الظاهرة التي أشرنا اليها في كلامنا على ص ١٦ : المبالغة في تحميل النصوص ما ليس فيها فكلمتا (لا يلتفت إليه) و (المحشو بالخطأ) خطأ ، ولكنها ليستا (شتائم تنهال) ولا تهمـاً تكال (جزافاً) .

ح ٣ : ص ٤٤٤ في كلامه على ابن فارس في مقاييسه : (فهو يقدم الأصل أو الأصول ثم يبني الفروع عليها ويختم المادة بالشواذ) . ولكن هذه الطريقة اضطربت عليه فمادة (عق) أصلها الشق ولكنها تطورت إلى ثلاثة فروع واضحة أولها ما زال محتفظاً بمعنى الشق صراحة ، وثانيها ما يـدور حول الشعر الذي يولد به المرء ، والثالث ما يدور حول عقوق الوالدين . ومن الطبيعي أن يتناول الإنسان صبغ كل فرع منها على حدة ولكن ذلك لم يحدث في المقاييس) .

قلت : لا اضطراب ، فقد أشار ابن فارس في أول كلامه على المادة بقوله : (العين والقاف أصل واحد يدل على الشق وإليه يرجع فروع الباب بلطف نظر ، قال الخليل : أصل العق الشق وإليه يرجع العقوق وكذلك الشعر ينشق عنه الجلد) . ولا يزال الأصل ملحوظاً في كل الفروع حتى دون لطف نظر ، وإذاً لا اضطراب ...

ص ٥١٦ — (ويبدو أن النسخة المطبوعة من الصحاح فلها شيء من التصحيح ، إذ ورد فيها البيت الأول والثالث ، ورواية (سموا من صالح) لا البيت الأول وحده ، ولا الرواية التي ذكرها الصغاني .)

قلت : لعل نسخة الصغاني فيها التصحيف لا أن النسخة المطبوعة من الصحاح صحفت .

ص ٧٥٥ — (وكان المثل من المهموز من أعظم الأمور إثارة لحيرتهم واضطرابهم حتى تخلص كثير منهم بجمع المثل الواوي والياء والمهموز معاً ... والحق أن هذه مشكلة أخرى ربما تفوق غيرها في الصعوبة ..)

ربما صح هذا الوصف في المراحل الأولى لتأليف المعاجم ، أما اليوم فمن الإسراف إطلاق مشكلة على مثل هذه الأمور وقد تيسر للباحث الفصل في الواوي واليائي ، بل تيسر ذلك لمن قبلنا وفصلوا كلاً عن الآخر ، والخطأ في بعض كلمات ممكن إصلاحه ، فليس مشكلة ما حلوه منـــذ أزمان متطاولة .

ص ٧٥٦ — كان من أثر الدعايات السيئة التي أغرق فيها غيرنا كثيراً منا حتى صار يردد أن لغتنا نحوها وصرفها ومفرداتها وحروفها كلها مشاكل في مشاكل ، أن تسممت ناشئتنا في عقيدتها في لغتها ، ولولا أنهم يعرفون لغة أجنبية يجدون فيها ما هو أبعد مما يعد أولئك في باب المشكلات لأسرع ذلك في إهمالهم لغتهم مرة واحدة ، وليس هنا موضع بيانه ، وكان من ذلك التيار : الدعاية المريضة في أثر دراسة اللغات السامية الميتة وتصحيح العربية عليها ، وذلك عكس ما يقضي به المنطق وعلم اللغة العام ، أذكرني بذلك قول المؤلف (وحصروا [حروف الزيادة] في عبارة (سألتمونيهـــا) ولكن البحث المقارن بين اللغات السامية جميعاً يهزأ من هذا الحصر ويرى أن الممكن زيادة غيرها من الحروف وقد حدث هذا فعلاً في العربيـــة وأخواتها . وأترك هذا البحث المقـــارن إذ لا أستطيع أن أقوم به لعدم معرفتي بالساميات » !! .

والمؤلف يعرف أن حروف (سألتمونيهــا) هي الزيادات المطردة في الكلمات لسان خاصة ، وأن الأقدمين من علماء اللغة فرقوا بينها وبين حروف مزيدة سماعاً ، فوصفوا ذلك الواقع اللغوي وقرروه ونبهوا على هذه الألفاظ المعدودة القليلة ، مستغنين كل الاستغناء عما يسمى بـ البحث المقارن بين اللغات السامية الذي يهزأ) .

ص ٧٨٤ — ارتباط العربية بالدين (ارتباطاً شديداً أسبغ عليها القداسة فكان في ذلك نفعها وضررها . . أما ضررها فلأن هذه القداسة جعلت المسلمين والعرب يتمسكون بها بصورة واحدة (؟) منها ، فتأخرت عن حاجيات العصور الحديثة ولم تستطع أن تجاريها حتى نادى كثيرون بهجرها تماماً) .

لم أفهم المقصود بالصورة الواحدة منها إذ لم يشرحها المؤلف ولا بسط الصور الأخرى التي كان يجب أن يتمسك بها العرب والمسلمون . أترك ذلك وأتساءل عن آخر الفقرة : (وتأخرت عن حاجيات [كذا] العصور الحديثة) وهي شبهة يتلقفها ناطق عن آخر : هل كان ينتظر هؤلاء الكثيرون أن يجد الكيميائي والفيزيائي والميكانيكي في القاموس المحيط ولسان العرب مصطلحات لما جدّ في ديار المخترعين بعدها بقرون ؟ ثم من هم كيميائيونا وفيزيائيونا وميكانيكيونا الذين اخترعوا ولم يجد لهم علماء اللغة مسميات لمخترعاتهم وأجهزتهم وأجزائها ؟ ما تأخرت اللغة ولكن أرباب الألسنة الطويلة في غير طائل تأخروا وانحطوا وتكاسلوا إلا عن اللغو . ولا يقال إن اللغة تأخرت حتى يعجز المهندسون منا والعلماء المتخصصون الذين درسوا لغتهم كما يدرس الأجنبي لغتـه ثم تخصصوا وحاولوا وضع المصطلح . أما حين يتصدى المختص المؤهل فسيجد كل شيء ممهداً وقد حصل ذلك فعلاً في آخر المئة الماضية في القاهرة وساحل الشام ، وفي الخمسين سنة الماضية

في دمشق حيث لبت اللغــة حاجات الإدارة والجيش وكليات الجامعة (في الطب والحقوق والعلوم والتجارة والزراعة) ، لبتْ حين بذل المحتاج الجهد ولم يقعد يسوغ كسله بأن الماضين لم يهيئوا له .

إن تأخرنا هو في إعداد أنفسنـا لنكون مؤثرين في عصرنا في العلوم والفنون والابتكار ، ومتى أردنا بجد وصدق هذا الإعداد وجدنا لغتنـا سابقة أمامنا.(١) فما تقديسنا لغتنا أخرنا ، ولكن أخرنا إهمالها وقبول الدعايات المغرضة فيها وانسياقنا على أذيال مخططيها ومروجيها .

ص ٧٨٥ — (ووضع ابن سيده في مقدمة محكمه منهجاً يعتبر ثورة في عالم التأليف اللغوي العربي ... ولو طبقه عليه لأغنانا عن كثير من التخبط والاضطراب وكثير مما نريد أخذه عن الغربيين اليوم ، ولكان معجمه فذاً بين معجمات العربية) .

قلت : خير من (لو) هذه أن يقوم نفر منا بتطبيقه على (المحكم) في طبعة علمية ذات نهج سليم محكم ، وحسب ابن سيده أن وضع الخطة وليكن التطبيق من نصيبنا . وعصرنا ميسر فيه كل شيء .

* * *

لست أرى ما رأى المؤلف من تسمية (منشورات اليسوعيين في بيروت) بالمعاجم في دراسة علمية من خصائصها تحديد الأسماء والصفات ، وكان حسبه أن يشير إلى هذه الأعمال التجارية التي نظر حين تأليفها إلى ماخطط لمدارس اليسوعيين في حاشية تنوه بأثرها في إفساد اللغة ، أما أن تسمى

(١) انظر بسط قضية اللغة العربية وما أثير حولها من حرب خفية في عصرنا الحديث في كتابي (حاضر اللغة العربية) — مطبوعات معهد الدراسات العالية بالقاهرة ١٩٦٢ .

مدرسة !! وتقرن بالمعجم الوسيط فهذا ظلم كبير . ولن أستشهد إلا بأقوال المؤلف نفسه في وصفها ، وإنصافه كفيل برفع الحيف في طبعة قادمة إن شاء الله .

في كلامه على (أقرب الموارد) وزياداته على القاموس المحيط قال (ص ٧١٨) :

« وأخذ بعضها الآخر (يعني الزيادات) من معجمي جوليوس Golius وفريتاج Freitag ومحيط المحيط وقطر المحيط للبستاني . وكان جيوليوس وفريتاج قد اعتمدا في معجميها على بعض كتب الأدب المتأخرة التي لايستشهد بلغاتها ولا تعنى بالتزام الفصحى ، فأدخلا في معجميها كثيراً من الألفاظ المولدة والعامية ، فتسربت إلى معاجم بطرس البستاني والشرتوني ، ففقدت هذه المعاجم تقدماً مرّاً . وخاصة من الأب انستاس ماري الكرملي الذي كان يقف لها بالمرصاد » .

وإشارة المؤلف إلى أنها لم يقصد بتأليفها إلا غرض خاص لطائفة معلومة مما يبعدها عن صفة المعجم الذي يكون عاماً عادة ، جاء في ص ٧٣٠ :

« وآخر الظواهر فيها عنايتها بالألفاظ والمعاني المسيحية أو التي لها دلالات خاصة عند المسيحيين . وكان ذلك أمراً طبيعياً لهم لأنهم جميعاً مسيحيون نشؤوا على تربية مسيحية دينية وألفوا معاجمهم لمدارس مسيحية دينية هي مدارس اليسوعيين » .

وعرض المؤلف لنقد بعض هذه المنشورات الذي نشره اليازجي فقال :

« .. ونكتفي هنا بالإشارة إلى كتاب تنبيهات اليازجي على محيط البستاني الذي يخرج الباحث من دراسته بأن البستاني وقع في الأخطاء التالية :

التصحيف ، وتفسير الألفاظ بأخرى غير موجودة في موادها ، والخطأ في التفسير ، وعدمه تماماً ، وسوء عبارته ، والخطأ في ضبط الألفاظ ، والإتيان بمعان لم ينص أحد من القدماء عليها وقد استمد كثيراً من هذه المعاني من جوليوس وفريتاغ ، ومن الآثار المسيحية ، وأتاه كثير من هذا الخطأ من سوء فهمه لبعض عبارات الفيروزآبادي وبعض اصطلاحاته وعاداته في قاموسه .

وكل هذه الأخطاء على وجه التقريب نجده عند أفراد مدرسة اليسوعيين جميعاً .. » اهـ وواحدة مما عدّد المؤلف كافية في إبعاد هذه المنشورات عن صفة المعجم أو أي صفة علمية .

إذا كان ماتقدم يسمى مدرسة فللمؤلف رأيه ، لكن الذي لايجوز بحال أن نقرن هذه الأعمال بالمعجم الوسيط ونقال في المقابلة إن هذا خير من معاجم اليسوعيين ، بين الفريقين فروق صارخة فأين أعمال هؤلاء الموصوفة آنفاً من أعمال مؤسسة دستورها المحافظة على سلامة العربية وتلبية حاجات العصر في ميادين العلوم والفنون .. الخ وجماعتها علماء أعلام ، أعمالهم خلصت للعلم لا لاستهلاك مدارس خاصة أريد الحيلولة بين تلاميذها وبين معاجم اللغة الصحيحة .

* * *

لئن استطعت تعداد ما وقفت عنده من هذا الكتاب ، النافع إن ما راقني منه أكثر ، والأعمال العلمية هي التي تستحق أن يوقف عندها طويلاً ويبذل في سبيل استكمالها كل جهد ، وأرجو أن يطرد نمو هذا البحث واستكماله

في طبعة بعد طبعة والله الموفق (١) .

(١) رأيت ـ خدمة للكتاب ـ أن أشير إلى ما لم يذكر فيه من أخطاء الطبع التي تلفت النظر لغلبة الصحة والجودة عليه :

ص	س	خطأ	صواب
ح	١	جدير بالشكر المشرفين . .	المشرفون
ﺳ	ﺳ	والعاملين	والعاملون
٢	٤	هذا	هذه
١٦	١٧	وينشئوا	وينشؤوا
١٧	١٧	حدا بالمؤرخين إلى	حدا المؤرخين على
٥٤	٤	لا زال	ما زال
١٠٤	٤	أخطئوا	أخطؤوا
١٣٢	٢٢	الألف بائي	الألفبائي
١٢٤	٢٢	بينها	بينها
١٦٢	١٥	الجغرافيا	الجغرافية = ١٦٩ الخ
١٧٠	٩	وصفهم	وصفها
٢٠١	٢٣	الباقين	الباقين
٢١٢	١٩	عقد	عقدوا
٢٢٢	١٤	يعبثون	يعبؤون
٢٢٣	٤	نظام . . بنظام	بنظام . . . نظام
٢٢٩	٩	الرائين	الراءين
٢٣٥	١٤	ممحمح	ممحمح
٢٥٠	٥	هل لا بد	ألا بد
٢٦٢	٦	أقطب	أقب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص	س	خطأ	صواب
٣١٩	٦	الأقصين	الأقصيين
٣٤٤	١١	ههنـــا	ها هنا = ٣٧٠/٥
٣٧٤	٥	لاضطرادها	لاطرادها
٣٨٦	٥	لا يتعارض ... مع تحريه	لا يتعارض ... هو وتحريه
٤٢٨	٦	اتفق مع الخليل	اتفق هو والخليل
٤٤٦	٢	ثلاث أصول	ثلاثة أصول
٤٤٩	٩	بواسطتها	بوساطتها
٤٥٤	٩	والمزاد	والمزيد = ٥٣٩ .. الخ
٤٧١	٢٠	تميزه عن	تميزه من
٤٨٦	١٩	عربي	غير عربي
٥٠١	٩	اللغويين	اللغويون
٥٤٠	٢٢	فأجفئوا	فأجفؤوا
٥٦٤	٣	على جميع صيغ ومعاني كتابي العين والجمهرة :	على جميع صيغ كتابي العين والجمهرة ومعانيها
٥٨٦	١٧	المعاني الثلاث	المعاني الثلاثة
٦٤١	١٣	الملقات السبعة	الملقات السبع
٦٧٧	٧	حدا به إلى	حداه على

سعيد الأفغاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأعلام العربية

(دراسة لغوية اجتماعية) للدكتور ابراهيم السامرائي

٩٤ ص من القطع الوسط - مطبعة أسعد - بغداد ١٩٦٤

ما ضم بلد مختلفين في الجنس أو العقيدة أو الحضارة إلا كان بين فئاته أخذ وعطاء وتأثر وتأثير، في الأخلاق والعادات والمواضعات، لا فرق في ذلك بين غالب ومغلوب ووطني ومحتل. واللغة، هذه الظاهرة الاجتماعية لاتتأبى على الناموس العام، فما زالت اللغات الأوروبية الغربية مثلاً تحمل طوائف من كلمات أصولها عربية تسربت إليهم من مئات السنين، ومازالت لهجاتنا الدارجة في البلاد العربية عليها آثار من التركية والكردية والفارسية، ثم الإنكليزية والفرنسية والإيطالية في عصرنا الحديث.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذه الرسالة محاولة من صاحبها، أثبت فيها عدداً من الأعلام التي يسمّى بها في العراق، بين طوائفه المختلفة من مسلمين ونصارى ويهود وصابئة، استقراها الباحث، وأشار إلى ظاهرة حديثة تسربت فيها أعلام مما يسمي به المسلمون إلى بقية الطوائف، كما أثبت أعلاماً سجلها من تونس والجزائر، ثم تطرق إلى ما يشيع في إيران من أعلام عربية الأصل على أكثرها الطابع الذهبي، وهو يأمل أن تتيسر له مادة أخرى يكمل بها هذا الاستقراء الذي لا بد منه في الدراسات اللغوية الاجتماعية التاريخية، على حد تعبيره.

ولا ريب أن الخطوة الأولى إلى تلك الغاية هو الاستقراء والتسجيل، يعقبها خطوة ثانية تتميز بها مدلولات الظواهر التي تدرس، وينظر بعدها ما يمكن أن يستنبط منها من أحكام اجتماعية تاريخية.

هذا وقوله ص ١٥ « وهذه المسألة اللغوية [يعني تعبيرهم في الشمال الإفريقي عن ابن الحاج بـ بلحاج] عربية قديمة فقد سمع (بلحارث بن كعب وبلعنبر وبلهجيم) وغيرها » موهم ، فلا شك أن الباء في الأعلام الأخيرة مختصرة من (بنو ، بني) على حين باء (بلحاج) مختصرة من ابن .

وأخشى أن يكون خلل في قوله ص ٥٠ « دراسة الأعلام الحديثة ... تؤلف جانباً لغوياً لا بد من الاضطلاع به والتبصر فيه ليكون ذلك معيناً على فهم العربية الفصيحة » فالمتبادر إلى الذهن العكس .

وربما كان شيء من التعميم غير الصحيح في حاشية (٧) ص ٥٣ : (حمد الله) من أعلام الإيرانيين وهو غير معروف عند العرب » ! ! ففي دمشق مثلاً عدد من البيوت ألقابها آل حمد الله

كما توقفت عند قوله ص ٧٣ « سبتي : من الأعلام الشائعة بين المسلمين في عصرنا هذا » ويحسن أن يحدد المكان ، فما أذكر أني سمعت به في الأعلام الشائعة .

وفي بعض أخطاء الطبع ما يحير القارئ كقوله ص ٧٥ : (سمحه) وهي من أعلام اليهود الشائعة الاستعمال ، وهي من مادة عبرانية وهي صفة مؤنثة تعني في العربية (فرحة) . ا هـ فهل يريد : تعني في العبرانية (فرحة) العربية ، كما هو الظاهر من القرينة ؟

والعرب ترسم (سورية) بالهاء لا بالألف كما ورد في ص ٨ وكذلك إفريقيـــة المرسومة بالألف خطأ في ص ٢٧ . وصواب (ابن أصيبعة) في ص ٤٠ هو : ابن أبي أصيبعة .

أرجو أن يوفق الله المؤلف الفاضل إلى بلوغ ما يأمل فيما ينفع .

س . ا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طب الحبشة ونباتاتها

المؤلفات الطبية الحبشية

تأليف ستيفان ستره لسين

نشرته الأكاديمية البولونية للمؤلفات الشرقية عام ١٩٦٨

هذا الكتاب تبلغ صفحاته نحو (٨٠٠) صفحة مطبوع على ورق جيد بقياس ١٦٫٥ × ٢٤ سم². عالج فيه المؤلف في مقدمة بلغت نحواً من (١٠٠) صفحة ، البحث عن الطب والسحر عند الأحباش ، وتوسع توسعاً كلياً في الكلام عن اللغة الحبشية وكتابتها ولهجاتها ، وذكر المراجع التي اعتمد عليها ، كما تحدث عمن عالج الموضوع من علماء آخرين ، ثم استطرد في الكلام عن بعض المخطوطات الطبية ، فخصص لكل من المخطوطات الست التي كانت ترجمتهـــا الافرنسية تحتل الجزء الأكبر من الكتاب ، صفحات يتحدث فيها عن أوصاف المخطوطة ومكان وجودهـــا ومؤلفها ولمن كتبت ، وتجد المؤلف يصرف جهده لوصف اللهجة التي كتبت بهـا المخطوطة ، ويستعين بصور الكلمات الحبشية التي لفتت نظره ليتحدث عن تهجيتها وعن موضوع الرسالة ولماذا خصصت ، ويذكر الأمراض بأسمائها الافرنسية ، فإن لم يعرف اسم المرض كتب اسمه بأحرف افرنسية كما يلفظ بالأمهرية أو الغيزية ، وإليك مثالاً لذلك : يقول في وصف مخطوطة (أبا يوحنس) أي (الأب يوحنا) ما يلي :

إن القسم الثاني من هذه المخطوطة (الوريقات ٥١ — ١٠٠) تحمل عنوان « كتاب الكتاب لكل أمراض الجسم » تحوي الكلام عن الجراحة.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومعالجـــة الأمراض العامة (الكسور والقطوع والمضات وال ميزه ، والكسلاسينا ، والجرب ، والجروح ، والجذام الخ .....) فنجد هنا كلتي الميزه والكسلاسينا أمهريتين .

ويتحدث عن التكرار في المواصفات وكثيراً ما يستعمل نصوصاً كاملة مكتوبة بالأحرف الأمهرية . ثم يتحدث المؤلف في الفصل الثالث عن مشاكل كتابه ولهجات المخطوطات فيستعرض كل حرف من حروفها فيتوسع في الكلام عن ذلك الحرف وأشكاله المستعملة في كل لهجة من لهجات الحبشة ، مستعيناً بكلمات مرسومة طبق الأصل ، ثم ينصرف إلى تهجية الأحرف فيوزعها إلى أحرف حلقية وشفوية وسنية ، ويمضي طويلاً في التحدث عن ذلك فتبلغ الصفحات التي خصصت لذلك (٦٠) صفحة ، ويتحدث خلالها عن الكلمات المستعارة من لغات أخرى يستعملها بالعربية فيتحدث عن الألفاظ التي اقتبستها الأحباش من العربية وأماكن وجودها في المخطوطات كالمصطكي والصبر والزبيب والسفرجل والهيل والخيار والراوند والنيل ولسان البحر إلخ ......

ثم ينتقل إلى الإغريقية واللاتينية فيستعرض ما اقتبس من هاتين اللغتين من ألفاظ وأسماء ، ثم اللغة التيفرينيا ، ثم لغة الأغاو وخلاف ذلك من لهجات ولغات ، ثم ينهي مقدمته في التحدث عن اللغات الخليطة بين الأمهرية والغيزية ، وملخص القول : إن تلك المقدمة ذات قيمة كبيرة لكل من يحاول الترجمة من اللغات الحبشية كالأمهرية والغيزية ، فقد جمت فأوفت وتحدثت فأفاضت ، واعتباراً من الصفحة ١٠٣ حتى الصفحة ٥٨٠ يترجم لنا المؤلف المخطوطات الست التي عثر عليها ، فيخصص الصفحة اليسرى لصفحة من صفحات النص المخطوط مصورة بعناية والصفحة اليمنى لترجمة

تلك الصفحة ، وقـــد ذيل كل صفحة من صفحات النص بحاشية تذكر مقابلة بين كلماتها والكلمات المختلفة في النصوص الأخرى .

ويبتدىء بكتاب الحميات حسب المخطوطة (ك) فيستغرق ذلك (٤٤) صفحة ثم يخصص (١٢) صفحة لتصوير المخطوطة (ل) ثم يترجم المخطوطة (ث) وهكذا إلى أن يتم له ترجمة المخطوطـات الست حسب الخطة ذاتها ومنتهجاً النهج ذاته . ثم يخصص ما تبقى من الكتاب لتصوير مخطوطات أخرى غير مترجمة .

والخلاصة إن الكتاب المذكور هو كتاب ترجمة مخطوطات حبشية عن الطب قام بترجمتها إخصائي باللغات واللهجـات الحبشية غير طبيب ، ولذلك فهو لا يعرف النباتات الطبية وأسماءها العلمية ، وكثيراً ما نجـــده يستعمل الكلمات الحبشية للنباتات ، وهذا ما يجعل إمكانية الاستفادة من تلك الترجمة محدودة بالنسبة للأطبـاء والمشتغلين بالطب القـديم . وقد اعترف المؤلف في صدر مقدمته بأن الموضوع يحتاج إلى لجان مؤلفة من أطباء ونباتيين بالاضافة إلى علماء اللغات الحبشية ليكون العمل تاماً .

ولعل الأجزاء الأخرى من هـــذه المجموعة القيمة ستتحفنا بمعلومات أكثر وضوحاً وأكثر فائدة سواء للأطباء أو للنباتيين .

حسن السقا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجمل تاريخ الأدب التونسي

من فجر الفتح العربي لافريقية إلى العصر الحاضر

تأليف : حسن حسني عبد الوهاب

عدد صفحاته ٣٥٨

طبع بمطبعة المنار بتونس ١٩٦٨ م

ظهر هذا الكتاب لأول مرة بتونس سنة ١٩١٨ م بعنوان المنتخب المدرسي من الأدب التونسي . وبعد مضي نحو ربع قرن على الطبعة الأولى ، طبع طبعة ثانية بالقاهرة سنة ١٩٤٤ م . ثم بعد نفاد الطبعة أعادت طبعه مكتبة المنار بتونس ، بعد أن استبدل اسمه ، وضم مؤلفه اليه طائفة وافرة جديدة من الأدباء ، خلت الأولى والثانية من تراجمهم .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد قسم المؤلف تاريخ الأدب التونسي إلى أربعـــة أدوار رئيسية ، يفصل بين كل واحد منها حادث مهم يحمل في تاريخ البلاد انقلاباً عظيماً في السياسة والاجتماع والعلم والأدب والفن ، وهي :

الدور العربي ٢٧ — ٣٠٠ هـ = ٦٤٧ — ٩١٣ م . والدور العربي البربري الأول ٣٠٠ — ٦٠٠ هـ = ٩١٢ — ١٢٠٤ م ، وفيه ثلاثة عصور : العصر العبيـــدي ٢٩٦ — ٣٦٢ = ٩٠٩ — ٩٧٣ م ، والعصر الصنهاجي ٣٦٢ — ٤٥٠ = ٩٧٣ — ١٠٥٨ م . وعصر الطوائف ٤٥٠ — ٦٠٠ هـ = ١٠٨٥ — ١٢٠٤ م .

والدور الثالث هو الدور العربي البربري الثاني ٦٠٠ — ٩٥٠ هـ = ١٢٠٤ — ١٥٤٣ م . ويبتدىء مع ظهور الدولة الحفصية التي تدخـــل الأسبان في شؤون البلاد واستيلاء الترك عليها .

والدور الحديث ، وفيه عصران : العصر الحسيني الأول ١١١٧ — ١٣٠٠ هـ = ١٧٠٥ — ١٨٨٢ م ، والعصر الحسيني الثاني وفيه ظهرت النهضة الأدبية الأخيرة ويمتد حتى قيام الجمهورية التونسية .

وقد سعى المؤلف بقدر المستطاع أن يجمع في هذا المجمل عدداً من الأدباء القدامى المحترمين ، فبلغ عددهم ٩٣ أديباً بين ناثر وشاعر ، وهم :

عبد الله بن الزبير ، عقبة بن نافع ، موسى بن نصير ، الحسام بن ضرار ، الأغلب التميمي ، سليمان الغافقي ، عبد الرحمن بن زياد ، ابراهيم ابن الأغلب ، داود القيرواني ، أسد بن الفرات ، الامام سحنون ، أبو العباس بن الأغلب ، عبد الملك المهري ، أحمد بن سوادة الأغلبية ، بكر ابن حماد ، عبيد الله المهدي ، أبو بكر اللؤلؤي ، أبو العرب التميمي ، القائم بأمر الله ، أبو القاسم الفزاري ، ابن الرايس ، محمد بن هاني ، علي بن الأيادي عبد الله بن أبي زيد ، ابن عبدون الوراق ، عبد الكريم النهشلي ، عبد الرحمن الفرلسي ، محرز بن خلف . ابراهيم الحصري والكاتب الرقيق ، ابن الربيب ، ابن غانم الكاتب ، علي بن أبي الرجال ، ابن خلوف الحروري ، علي بن حبيب ، عبد الواحد بن فتوح ، ابو طاهر التجيبي ، ابن أبي حديده ، الحسن بن رشيق ، محمد بن شرف ، علي الحصري ، عبد الله الشقراطسي ، أبو الحسن الحداد ، ابن تميم بن المعز ، أبو الفضل بن النحوي ، ابن بشير المهدوي ، جعفر بن شرف ، ابن فرحان القابسي ، أبو زكرياء الأول ، أبو المطرف بن عميرة ، أحمد بن اللياني ، أبو عمرو بن عربية ، محمد بن أبي الحسين ، عنان ابن جابر ، أحمد التيفاشي ، ابن السماط المهدوي ، أبو الفضل التيجاني ، عبد الله التجاني ، ابن حُسَيْنية ، محمد الظريف ، عبد الرحمن بن خلدون ، الشهاب بن خلوف ، أبو الفتح ابن عبد السلام ، محمد الرشيد باي ، علي

الفراب، الشيخ الشافعي ، محمـــد الورغي ، خليفة الشرمق، ابن سعيد الحجري، حمودة بن عبد العزيز ، محمد ماضور ، محمد الأصرم ، الطاهر بن عاشور، محمود قابادو ، ابن أبي الضياف الباجي المسعودي، محمد السنوسي ، أبو القاسم الشابي ، الطاهر الحداد، عبد الرزاق كرباكة ، مصطفى آغة، سعيد أبو بكر، الشاذلي خزندار ، محمد أبو رقيبة ، محمد الخضر بن الحسين، العربي الكبادي ، والسعيد الخلصي .

وقد ترجم لهؤلاء، ثم ذكر بعض آثارهم من شعر ونثر ، وذيل كتابه ببعض التعليقات المفيدة أوضح بها ما كان غامضاً ، تغمده الله برحمته وإحسانه، وجزاه خير جزاء .

عمر رضا كحالة

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

الأصول العربية للدراسات السودانية

جمع وإعداد وتنسيق : يوسف أسعد داغر

عدد صفحاته ٢٦٢

طبع في مطبعة النجوى بيروت ١٩٦٨ م

عهدت منظمة اليونسكو إلى واضع هذا الكتاب ، العمل خلال أربعة أشهر تبتدىء في ٨ كانون الثاني ، وتنتهي في ٨ أيار ١٩٦٧ م، في وزارة التربية والتعليم في السودان ، كخبير للتوثيق التربوي .

وقد أتاح له رئيس العمل أن ينقب في مكتبة جامعة الخرطوم عن المراجع الخاصة بالسودان ، فتجمع لديه مجموعة كبيرة تقرب من ألفي مصدر في الدراسات السودانية ، من كتب وضعها أو ترجمها سودانيون ، أو كتبت

عن السودان في الخارج ، أو نشرت في السودان في الفترة الواقعة بين ١٨٧٤ — ١٩٦٧ م .

كما تضم هذه المجموعة — مئات المقالات والبحوث المنشورة في المجلات العربية الكبرى ، أو في المجلات السودانية التي ظهرت في السنوات الأخيرة ، مما استطاع الوصول اليه ، ولم يتعرض للأبحاث والمقالات التي نشرت في الصحف اليومية أو الأسبوعية .

وأما خطة العمل في هذه المجموعة فقد وضع جامعها تحت كل موضوع معين المصادر التي تعود اليه ، وأثبتها وفقاً للترتيب المعجمي لأسماء مؤلفين أو كاتبيها ، وإلا فبعنوان الكتاب أو المقال ، ان كان غفلاً من اسم المؤلف .

وإذا شاء الباحث أن يتعرف إلى الكتب أو المقالات والأبحاث التي وضعها المؤلف ، فعليه أن يتتبع الأرقام المثبتة بعد اسمه مباشرة في الفهرس الخاص بالمؤلفين ، إذ لكل كتاب أو مرجع رقمه المسلسل الذي يميزه ، كما أورد اسم المؤلف تبعاً للشهرة أو الكنية أو اللقب الأشهر في حال غموض اسم الأسرة .

وبالختام نشكر الأستاذ واضع هذه الأصول على ما قدم ويقدم من بحوث أصيلة تعين الباحث والمؤلف في عملها متمنين له متابعة العمل والبحث .

ع . ك

ARCHIVE

كتاب الطبقات

عن أبي عمرو خليفة بن خياط

رواية: موسى بن زكريا التستري

لمحمد بن أحمد الأزدي

القسم الثاني: عدد صفحاته ٤٦٧

تحقيق: سهيل زكّار

بلغ عدد من ترجم له في هذا القسم ١٤٢٦ مترجماً، وقد ذكرهم المؤلف على طبقات وهي من قريش، ثم من المهاجرين من قريش، ثم من أبناء المهاجرين من قريش، فمن سكن مكة من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم من أهل الطائف من أصحاب النبي ﷺ، ثم من أهل اليمن من أصحاب رسول الله ﷺ، فمن أهل اليمامة من أصحاب رسول الله ﷺ، فمن أتى مصر من أصحاب الرسول وشهد فتح مصر، فمن أتى الشامات من أصحاب الرسول ﷺ، فمن أهل الشام بعد أصحاب الرسول ﷺ، فمن أهل العواصم، فمن نزل الجزيرة، فمن أهل الموصل، فمن أهل خراسان، فمن أهل الري، فالمدائن فواسط، فمن نزل بغداد وتأهل بها من المحدثين، فتسمية من حفظ عنه الحديث عن رسول ﷺ من النساء.

وقد وضع للكتاب فهارس للطبقات والمترجمين والأعلام والقبائل والأرهاط والأمم والأماكن والأحاديث النبوية، مما أماط اللثام عما حواه هذا الكتاب من أبحاث جديرة بالعناية والتقدير.

وقد علق المحقق في صلب صفحات الكتاب تعاليق مفيدة، ذكر في بعضها المراجع التي اعتمد عليها في تحقيق الكتاب مما يدل على جهد مشكور وفقه الله إلى المزيد من العمل على إحياء تراثنا العربي الجليل.

ع. ك

العصا في حياتنا وتراثنا

تأليف عبد القادر عيّاش

عدد صفحاته ٩٦

طبع : دير الزور ١٩٦٨ م

هذا بحث طريف ومفيد عن العصا قد بحثه مؤلفه بحثاً دقيقاً فشمل نواحي متعددة ، فقدم له توطئة ، ثم ذكر الأسماء القاموسية للعصا التي وردت في اللغة العربية ، منذ عصر الجاهلية فذكر ألفاظاً كثيرة لأشكال وأجناس من العصي ، استمر استعمالها في اللغة ، من قبل الشعراء والكتاب والأدباء والعلماء في كل العصور إلى اليوم في تعابير وتشابيه ومجازات وأمثال وحكم بمفرداتها وجموعها ومشتقاتها وتصاريفها بمختلف المعاني ، وقد رتّب المؤلف هذه الألفاظ على حروف المعجم .

ثم أورد الباحث مراتب العصا وما إليها ، فالأسماء المحلية لها ، فشجر العصي والعيدان ، فنقوشها وزينتها ، فالاتجار بها ، فالعصا في التاريخ ، فاستعمالاتها ، فالجلد ، فالعصا في عادات العرب ، فجناياتها ، فالعصا في الفكاهة والنوادر والقصص ، فالعصا في الشعر العربي القديم ، ففي الأمثال القديمة ، فضرب الأمثال بها في الشعر العربي القديم ، فالعصا في آيات القرآن الكريم ، ففي الحديث النبوي ، فتسمية الأشخاص بأسماء العصا ، فالعصا في الأدب العربي الحديث ، ففي الأمثال الشعبية ، فالعصا في ألعاب الكبار ، ففي ألعاب الصبيان ، فالعصا في الفنون والمتاحف ، فالعصا في الاغاني الشعبية في الفرات .

وبالختام نشكر المؤلف على رسالته الصغيرة بعدد صفحاتها ، الكبيرة بما حوته من أبحاث تدل على الجهد الذي بذله في جمع مادة بحثه وتنسيقه ، فجزاه الله كل خير .

ع . ك

ARCHIVE

ديوان

كمال نصرت

عدد الصفحات (٣٧٦ صفحة من القطع المتوسط طبع في بغداد عام ١٩٦٨)

يضم هذا الديوان شعر أحد الشعراء العراقيين المعاصرين ، وقد قدّم له إبراهيم الوائلي الأستاذ بكلية الآداب من جامعة بغداد . وفي الصفحة الأولى صورة للشاعر تحتها بيتان من نظمه ، وقد أشار صاحب المقدمة إلى تأثر الشاعر نصرت بالرصافي و ر طريقته في الأداء ، ونحن نؤيد صاحب المقدمة الموفقة في رأيه الناقد ؛ ان شعر الشاعر منصرف إلى الفكرة والموضوع وإنه قليل الالتفات أو الاهتمام (بالموسيقى التعبيرية التي تنسجم في إيقاع رتيب) على حد تعبير الأستاذ الوائلي كما نؤيد رأيه في ملاحظة بعض التناقض عند الشاعر حين يطوّح به اليأس فيتمنى الموت ، وحين تعود إليه قوة ذاته فيصف نفسه بالتحمل ومغالبة الدهر والأيام ، ويلي التقديم مقدمة أخرى للأستاذ عبد القادر البرّاك لم تضف شيئاً إلى الديوان لولا بعض عبارات المديح التي أملاها على الكاتب وفاؤه للشاعر لا نقده العلمي الصحيح ، وبعد هذه المقدمـــة الثانية ، قصيدة بائية الطول للشاعر جميل أحمد الكاظمي في تقريظ الديوان ، لم تزدنا تعريفاً ولم تكوّن عندنا رأياً خاصاً ، ثم أبيات أخرى للشاعر عبد الهادي البغدادي ، وهي ذات معنى عام يصح أن توضع بين يدي كل ديوان ، وأخيراً تأتي ترجمة الشاعر بقلم محمد علي حسن وقد تحدث فيها عن أصله ونسبه وحياته ودراسته والوظائف التي شغلها والترجمة تعطينا معلومات مفيدة عن حياة الشاعر حسب السنين .

ثم يأتي شعر الديوان ، وهو موزع على أبواب هي الوطنيات ، السياسيات ، الاجتماعيات ، الإخوانيات ، الوصف ، المراثي ، الهجاء ، الغزل ، ثم عدد من القصائد جعل لها الشاعر عنواناً (ديوان سميَّـة) وهي موجهة إلى مغنية عراقية معروفة . ثم مجموعة أخرى عنوانها « السمراء » وهي مغنية عراقية أخرى ألمع إلى اسمها في القصيدة الأولى من هذه المجموعة . ومجموعة شعرية ثالثة عنوانها « عذراء المستشفى » وأخيراً المتفرقات ، ولقد تعددت مقاصد الديوان وفق اختلاف الموضوعات وتباينها ، وشعر الشاعر بسيط في لفظه وفي مضمونه . وهو لا يدلك على ثقافة واسعة ، كما يدل على أن الشاعر اعتمد على فطرته الأدبية وعلى مجالسة الأدباء والإفادة منهم وخاصة الزهاوي والرصافي ، أما الصور الشعرية والمعاني الجديدة والخيال البعيد فألوان تجدها نادرة في هذا الديوان .

أحمد الجندي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ديوان محمد العيد محمد علي خليفة

عدد الصفحات (٦٠٣) من القطع المتوسط

من مطبوعات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

ومن منشورات وزارة التربية الوطنية بالجزائر لعام ١٩٦٧

يشتمل هذا الديوان الشعري الكبير على مقدمة صغيرة بقلم وزير التربية الوطنية الجزائرية وعلى تقديم بقلم (رائد الأدباء ورئيس العلماء الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيم رحمه الله) ، ويلي ذلك كلة بقلم الأمير شكيب أرسلان ، ثم خاتمة شعرية عنوانها « خاتمة ثناء وابتهال » ثم تبدأ القصائد مبوبة حسب

الموضوعات ، المتسلسلة على الطريقة الآتية (أدبيات وفلسفيات ، إسلاميات وقوميات ، أخلاقيات وحكميات ، اجتماعيات وسياسيات ، اللزوميات ، الإخوانيات الثوريات ، الذكريات ، المتفرقات ، الألغاز ، الأناشيد) .

وينتهي الكتاب إلى جدول كبير يبلغ ثماني صفحات يشير إلى الخطأ المطبعي الذي ورد في الكتاب ، وهو يدل على كثرة الأخطـــاء ، وفي الصفحة الأخيرة من الغلاف ترجمة لصاحب الديوان مع صورة صغيرة له بلباسه الجزائري الوطني ، ومن الاطلاع على هذه الترجمة ، تتبيّن الطابع الديني العربي الذي التـــزمه الشاعر وهو الطابع الذي ظهرت آثاره في قصائده الكثيرة التي ملأت الديوان .

أما شعر الديوان ، فمن الشعر العربي الذي أفاد أسلوبه من القراءات الدينية ولا بدع فالشاعر من تلامذة جامع الزيتونة في تونس ، ويلاحظ قارئ الديوان أن القصائد طويلة وأن نفس الشاعر غير قصير ، كما أن أكثر هذه القصائد قيل في مناسبات خاصة وعامة ، كالحفلات والاجتماعات الدينية والوطنية وأبرز ما في هذا الشعر أسلوبه الصحيح ، وإن كان بسيط المعاني غير معتمد على الصور البراقة ، والخيال الشعري الذي يهتم به الشعراء الجدد .

أ . ج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأمثال البغدادية المقارنة

الجزء الثاني

عدد الصفحات / ٣٩٠ / من القطع المتوسط

من تأليف العميد المتقاعد عبد الرحمن التكريتي

من مطبوعات مكتبة المثنى ـ بغداد لعام سنة ١٩٦٧

هذا هو الجزء الثاني من كتاب « الأمثال البغدادية المقارنة » ويعني العنوان أن المؤلف ، أو المحقق ، قد جمع أمثال أحد عشر قطراً عربياً وقارنها بالأمثال العراقية المماثلة ، وهي على حد قوله ، أول محاولة لمقارنة الأمثال العربية ، وقد سبق أن أهدانا المؤلف الجزء الأول من سفره ، ويبدأ هذا الجزء بتنبيه أشار فيه صاحبه الأمثال إلى المراجع التي استعان بها على وضع كتابه ، وقد رتب الأمثال على الحروف الأبجدية بادئاً جزءه هذا بحرف « التاء » وطريقته أنه يأتي بالمثل العراقي فيثبته بالخط العريض الأسود مع وضع رقم لكل مثل ، ثم يشرح بعده لماذا يضرب هذا المثل ، ويلي ذلك تعقيب يبين المثل الذي يؤدي معناه في قطر عربي آخر ، ويبدأ هذا الجزء بالرقم (٥٨٣) وينتهي بالمثل ذي الرقم (١١٨٥) وفي الصفحات كلها حواشي تبين المراجع التي يمكن الرجوع إليها استزادة للاطلاع .

والعمل الذي قام به العميد التكريتي عمل شاق ومضن ، وهو يسد ثغرة علمية في الثقافة العربية الحاضرة .

أ . ج

ديوان ابن الدهّان الموصلي

حققه عبد الله الجبوري في / ٢٨٠ / صفحة

من القطع المتوسط عام سنة ١٩٦٨ م وطبع في مطبعة المعارف ببغداد

هذا شاعر وُلد في الموصل سنة ٥٢١ هـ على وجه التقريب وتوفي في حمص سنة ٥٨٢ هـ فهو عراقي سوري . وقد قدم المحقق للديوان بمقدمة ذكر فيها تعدد أسماء الذين حملوا هـذا اللقب ، ووصف مخطوطة الديوان وصفاً مسهباً كما تحدث عن أهمية شعر الشاعر . أما اسم الشاعر المفصل فهو : مهذّب الدين عبد الله بن أسعد أبو الفرج الموصلي الشافعي .

لم يلتزم المحقق الترتيب الأبجدي في نشر قصائد الديوان فقـد بدأه بقصيدة عينية . وأكثر الديوان من شعر المديح الذي يتخلله الغزل كما كانت عادة الشعراء في عصر الأيوبيين وهو عصر يعتبر في نظر الناقدين عصر انحطاط للشعر ، ولكن شعر هذا الشاعر على ما تخلله من تكلف وصناعة غير خالٍ من الإحساس الشعري وإن كان التقليد قد أخذ بجانبيه وران عليه . وفي القصيدة العينية التي بدأ بهـا الديوان أبيات مشهورة رددها المغنون وتأنق في تلحينها الملحنون وهي :

قل للبخيـــلة بالسلام تورعاً   كيف استبحت دمي ولم تتورعي

وفي قصائد الديوان المطولات التي تذكرك بعهود الشعر الأولى كالقصيدة اللامية التي وردت في الصفحة (٣٥) فقد بلغ عدد أبياتها (٧٤) بيتاً وكذلك قصيدته الحائية التي وردت في الصفحة (٥٩) وعدد أبياتها (٨١) بيتاً وهما في مديح السلطان صلاح الدين الأيوبي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويبدو أن الشاعر كان معجباً بالسلطان مأخوذاً بانتصاراته الرائعة مما أثار شاعريته وحفزها على الإسهاب ، وكان يتعالى عن التكسب بالشعر في زمن كان التكسب فيه مهنة فهو يخاطب القاضي الفاضل ، رجل الأدب في عصره فيقول له :

وفاءً لحق الود لا تابعاً مني ولا بائعاً شعراً ولا طالباً جدوي

وهي مزية تحفظ له فتشكر .

ولكن التقليد الذي ملك عنان شاعريته قد حجب عنه الآفاق الشعرية الصحيحة فخرج شعره بسيطاً مصنوعاً لا يحرك القارئ إلا في موسيقاه اللفظية وعباراته المنغومة . أما المعاني الجديدة وأما الصور واللمحات الأخاذة فنادرة في هذا الشعر الذي جنى عليه عصره كما جنى على الشعراء غيره .

ويختم المحقق الديوان بستة من الفهارس المفيدة ، ثم قائمة خاصة بالكتب التي حققها الأستاذ الجبوري .

وهذا الديوان مفيد لأنه أحيا شاعراً مغموراً ، ولأنه يعطي صورة من صور عصره الأيوبي كما يذكر القراء بقوة الشعر ومتانته وجزالته .

أ. ج

http://Archivebeta.Sakhrit.com

آراء وأنباء

انتخب مجمع اللغة العربية في الجلسة التي عقدها بتاريخ ١٧ ذي القعدة ١٣٨٧ هـ وفق ١٥ شباط ١٩٦٨ م ، الأستاذ عبد الهادي هاشم عضواً عاملاً فيه ، وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٧٥٤) المؤرخ في ١٣٨٨/١/٨ وفق ١٩٦٨/٤/٦ .

وقد دعا المجمع الأستاذ المنتخب لاحتلال المقعد الشاغر بوفاة المرحوم الأستاذ عز الدين علم الدين التنوخي ، وعقد لاستقباله جلسة علنية بتاريخ ٧ صفر ١٣٨٩ هـ وفق ٢٤ نيسان ١٩٦٩ م .

وفي جلسة الاستقبال ألقى الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع خطاب الترحيب بالعضو الجديد ، الذي أجابه بخطاب تحدث فيه عن حياة سلفه وآثاره .

وفيما يلي نثبت نصّ الخطابين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خطاب الدكتور عدنان الخطيب

في حفلة استقبال

الأستاذ عبد الهادي هاشم

[في ظهيرة يوم من شتاء سنة ست وأربعين وتسعمئة وألف ، كانت الشمسُ تبدو مثقلة وئيدة الخطى ، حينَ بدأت « عناية الله » ، واسمها بالفرنسية « Providence » ، ترفعُ مراسيَها وهي تتحرك ببطء نحو الغرب ، مبتعدة عن رصيف ميناء بيروت .

كانت الباخرة تحمل على ظهرها ، فيمن تحمل من السفّار ، نفراً من أبناء الشام ، وقفوا على سطحها ، والبشر يطفح من وجوه أكثرهم ، فقد جرى الزمان بما يشتهون بآخرة ، وأبحروا نحو بلاد فيها ما يرغبونه من علم ومعرفة .

كان هؤلاء السَفْر ، يلوحون بمناديلهم كعادة المسافرين ، تحيةً لأهل لهم وصحاب وقفوا على الرصيف ، تنسكب الدموع من عيونهم ، ساخنة هادئة تحمل معنيَين ، دمعُ فراق لأحبة ينأون ، ودمع إشفاق لهؤلاء الذين ركبوا البحر ولما يطهر ماؤه مما زُرع فيه من صواعق تزهقُ الروحَ باللمس الرفيق .

لقد كانت « عناية الله » أول سفينة تقصد إلى أوربة بعد أن أذيع في الناس ، نظافة البحر مما بثَّ المتحاربون في دروبه ، خلال حرب ، خمد أوارها ، قبل أن تنفجر . وكانت العناية المبذولة في الكشف عن هذه

الخبايا في البحر ، أضيق من أن تحيط بكل شيء ، وما زال الناس في الفينة بعد الفينة ، يسمون عن قرابين قدمتها هذه الألغام طعاماً شهياً لما ضمّ البحر بين جنباته من أحياء . كان من بين هذه الضحايا براءة ما اجترموا ذنباً ، فاصطلوا بالنار ، بعد أن قدّر لسعيرها الذي أججه الطامعون ، أن يهدأ ، فلا جرم ، تسكبُ الدموع عن حبّ ، وتسكبُ الدموعُ من إشفاق .

ما كادت الباخرة تبعدُ قليلاً ، حتى أخذ جرسٌ فيها يقرع على شكل خاص ، فَسُرّ المسافر ، بأنه دعوةٌ إليهم كي يجتمعوا على السطح ، وبدأ المسافرون يتحلقون حول الرّبابنـة وهم يرشدونهم إلى ما يجب عمله ، إذا ماز'زلت الباخرة بهم من لغم مستّنه ، ويعلمونهم كيف تلبسُ أدوات العوم ، إذا أهيب بهم : أن ألقوا بأنفسكم إلى الماء .

كان المسافرون يستمعون بقلوبهم إلى هذه الإشارات تُلقى عليهم بالفرنسية ، وتلفتّ الرّكب من أبناء الشام أو أكثرهم إلى رجل يحسنُ فهم الفرنسية ينطقُ بها أهلُها ؛ فوجدوه فتىً يكبُرُهم سناً ، سبق له أن أمضى زمناً في فرنسة ، وعاد إلى دمشق ، بعد أن تزود بكثير مما يجهلون ، ثم لما لفت الحربُ الدنيا حالت بينه وبين ما يشتهيه من عودة إلى أوربة ليعُبَّ مما كان نهل ؛ فإذا به حين أتيح له السفر من جديد ، يلقى رفاقاً كانت الحربُ حجزت أكثرَهم عن متابعة الدراسةِ التي منّى نفسه بها .

أخذَ الفتى يترجمُ لرفاقه ما كان يلقى عليهم بيُسرٍ وطلاقة وإيجاز ، تركتْ له أثراً طيباً في نفوس ركبٍ تفاوتت أسنانهم واختلفت دراساتهم ، واتفقوا في غاية واحدة ، هي الرغبة الصادقة في أن يكتب لهم أن يردُوا منابعَ للعلم والثقافة لم تكن سبلُها ميسرةً لهم من قبل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأنس الفتى برفاقه وأنسوا به ؛ كان يقصُّ عليهم من أنباء باريس ما تهفو إليه قلوبهم ، وكانوا يستزيدونه شرحاً ، فيجيب كلاً إلى سؤْله بتفصيل وافٍ دقيق يلذ للجليس الاستماعُ اليه ، ولو كان لا يعنيه من أمره شيء . كان في أحاديثه يبينُ عن ثقافةٍ أدبيةٍ واسعة ، وذاكرة قوية تحسن أن تُملي ، يزينُه تواضع جَم . فإذا به في مركز الريادة بين الركْب ، ساعدَه في ذلك خلقٌ رضيٌّ ، وصدرٌ رحْبٌ ، وعقلٌ راجحٌ ، وأريحيّةٌ كريمةٌ ، وصنعةٌ مارسها فملَكتْ عليه جانباً من طباعه ، كان مدرساً على التعليم مذ كان يَفَعاً سنواتٍ طوالاً ، فتعود مصادقةَ طلابه وأهليهم ، في المدينة وفي القرية ، فليس بِدْعاً أن يغدو في عشيات صديقاً لنفرٍ من الشباب الجامعيين ، كانوا رفاق سَفَرٍ طويل .

كان يقف إلى جانب الفتى المعلم ، فتىً آخر يبدو أصغر منه بسنوات قد لا تجاوز الثلاث ، كانا ابني حيٍّ واحد من أحياء دمشق القديمة ، واتفق أن أمضيا بعض دراستهما في مدرسة واحدة ، يوم لم يكن من ثانوية في دمشق إلا « مكتب عنبر » . كانا يلتقيان حيناً في باحة المدرسة ، وفي الدروبِ المؤدية إليها حيناً آخرَ ، وكان أقصى ما يربطهما تحية عابرة يتبادلانها إذا ما التقيا في درب ضيّق .

كان الفتى الأول ، رجلَ أدبٍ واجتماع ، موفداً من وزارةِ المعارف للتعمقِ في دراسةِ اللغاتِ القديمةِ ، وكان الثاني رجلَ قانون وإدراة . يشغَلُ منصباً قضائياً ، إنه موفدٌ من وزارة العدل لدراسة النظم القضائية في البلاد الأوروبيّة المختلفة ، وبحكم صنعته هذه ، كان متئداً في خطواته متمهلاً في أحكامه ، لايتكلم إلا بمقدار ، يحب النكتَـة ويحسن الاستماع إليها ، ولكنه يندر أن يلقيها إذا اتسعت حلْقة المستمعين إليها .

ARCHIVE

وجد الفتى القاضي نفسَه ، إلى جانب رفيق عرف صورته وجهل طويته ، فاذا به يجد رفيقاً عاليَ التهذيب ، عفيف اللسان لين العريكة ، متسمحاً في صلاته مع الآخرين ، فحين أتيح له أن يلتقي به على انفراد يمتع طرفَه بمنظر الشمس وهي تتكوَّرُ في البحر ، انتابه شعورٌ أنيس مدّ الحديثَ بينهما حتى وجدا نفسيهما ينشدان مع شاعر دمشقَ الكبير :

ما له في عِظَمِ الشأنِ قرينْ كلُّ جبّارٍ بدانيه مهينْ
سِمَةٌ ليس لها من غايةٍ حسَرتْ عنها عيونُ الناظرين
أنا إنْ أوجستُ منه خيفةً خافه قبلي أمير المؤمنين
يملأُ العينَ فتنضي فرَقاً ويهولُ النفسَ حتى تستكين
كلَّ يومٍ تسجدُ الشمسُ له فكأنَّ الشمسَ بالبحر تدين
ترتمي في حضنـه محمرَّةً خجلاً كالرَّودِ في حضن خدين

وكانا إذا نظرا إلى أمواج البحر تتلاحق مرتفعةً منخفضةً ، رددا مع الشاعر قوله :

أثري ، أمواجُه أنفاسُه رُدِّدت بين شهيقٍ وأنين
جحفلٌ يركب منها جحفلاً يتمادى كجنود زاحفين

وكانا إذا اجتمعا ضحى يستمتعان بدفء الشمس ، ويمتعان ناظريهما بمجال حوْم الطيور ، تلتقط ما تخلفه الباخرة من طعام ركابها ، أو إذا ذكرا حنينها إلى مراتع الصبا ومدارج الطفولة ، أنشدا مع الشاعر :

وطيورُ البحر في أسرابها تتهادى كشراعات السفين
قلت للسّرب ، وقد أقبلَ من أفقٍ ؛ قلبي به عانٍ رهين
أيّها القاطعُ عرْضَ البحر هلْ لكَ عهدٌ بروابي قاسيون

ثمَّ مهوى القلب داراتُ الهوى — منزل الأهل ، حِمى المستضعفين
بأبي الشامَ وأمي ، إنهـــا — كعبةُ الآمالِ والحصنُ الحصين

* * *

وفي يوم غامت شمسه ، وتجمَّعَ السفَّار يصطلون بالقرب والحديث ، انضمَّ إلى السفْر الدماشقـــة أحد رجال السلك السيامي في بلدٍ عربيٍ شقيق ، وقد أنس بظَرْفهم وتهذيبهم ، وأنسوا بعلمه وثقافته ، فإذا بـه يدعوهم إلى مائدته عشيّة اليوم التـالي ؛ ولكنَّ البحرَ هاج ضحوةً ، وكانت الباخرة تمرُّ في مضيق « مسينا » ، وصخِبَ موجـه ، واضطربت السفينة ، ثم غدت على ضخامتها ، وكأنها طفلٌ عُصبت عيناه بغمامة يسعى وراء لِداته ، فإذا بالسفّار يُهرعون إلى مضاجعهم مرضى بدوار البحر ، فأخذ أفراد الركْبِ الشامي ، ينسل الواحدُ منهم تلوَ الآخر ، وما كادت ساعةُ الغروب تأزفُ ، حتى كانت قاعة الاستقبال قد أقفرت إلا من ثلاثة ، صاحب الدعوة والصديقين وهما يتساءلان عن الدعوة ، إن كانت ما تزال قائمةً ، فأجاب صاحبها : هي قائمة ما دمنا ثلاثـة على الأقل . ولم تمض بضعَ عشرةَ دقيقة ، حتى اعتـذر العلم ، فران صمتٌ مطبقٌ ، ثم قام السياميُّ وقام القاضي ، دون أن ينبسا ببنت شفَةٍ ، لقد مضى كلٌّ منها متجلداً نحو مقصورته .

وعندما بدأت السفينة تلقي مراسيَّها في « مرسيليا » ، كان كلُّ رفقة السفَر شعر بأن المتعة التي نعِم بها أربت على مشاق السفر الطويل ، وكان أكثر الركْب شعوراً بهذه النُّعمى ، ابنا الحيِّ الدمشقي الواحد ، فقـد شعرا بأن آصرةً ربطت بين رجلين فجعلت منها صديقين أخوين .

ولا ينسى القاضي يوم نزل من الباخرة ، ليلحق بقطـار باريس ، أن اليابسةَ كانت تميد من تحت قدميه ، فقد حمل معه شيئاً من دوار البحر ، وأن ساعد صديقه العلم كان عوناً دفع عنه أذىً كثيراً .

وحمل القطار الصديقين إلى باريس حتى إذا بلغاها ، سلك كلٌ منها مسلكاً وما اجتمعا بعدئذٍ ، على ندرة ما اجتمعا ، إلا على ودّ صافٍ وحبّ مقيم] .

★ ★ ★

أيها الزميل العزيز .

هذه صفحةٌ من « ذكريات » كتبتها في يوم غبر ، ثم جاء يوم في سنة أربع وخمسين وتسعمئة وألف ، وكنتُ أولى منصب « نائب عام » في وزارة العدل ، فإذا بي أسجل في هامش : [في هذا اليوم زرتُ الصديق الأستاذ عبد الهادي هاشم ، مهنئاً بتوليه منصب الأمانة العامة لوزارة المعارف ، وقد ذكرنا رحلتنا على السفينة « عنـايةـالله » فنعمنا دقائق برجْع الذكرى وانتشينا بالحديث عن أيام لا تنسى] .

وإذا كنتُ يا صديقي ، بدأت حديثي الليلة بذكرياتنا فلأصل الحديثَ بالقول : إني أملتُ يوماً أن تكون في استقبالي في هذه القاعة ، إذا ما قيض لي الدخولُ إلى هذا الصرحِ العظيم ، فقد كبرتني بسنوات ، وكنتَ ذا سابقةٍ في خدمة العربية ، والعمل على تحقيق أغراض هـذا المجمع الذي نفاخرُ العربَ به ، وكان من حقّ سابقتك ، أن تكون سابقاً في الدخول إليه ، ولكن الرياح كثيراً ما جرت بغير ما تشتهي السفن ، على انها قد تجري أحياناً بأسرعَ مما كان يؤمل ذو حظ من السفّانين ، وما كان الحظ ليغبر يوماً من فضل السابقين في علم أو معرفة . لقد حالفت الرّيحُ سفينتي فأرستها مجلية ، وها هو ذا حظي يجري الليلة بما أشتهي فأمنح من قبل الرصفاء شرف استقبالك باسمهم .

★ ★ ★

سيدي الأستاذ الرئيس

أيها الزملاء الأعزاء

سادتي المحترمين

يسعدني في هذه الأمسية الزاهرة بمشاركتكم ، أن أقدم إليكم واحداً من رجال يعتز مجمع دمشق بأن يضمهم إليه ، فيقوى بهم على حمل العبء الذي نهض له خمسين عاماً ما ناء به ، عبء خدمة الضاد أم اللغى لسان الذكر المبين . وبأمثال هذا الزميل الجديد يستمر مجمعنا الغالي مجاهداً في سبيل تحقيق أغراضه ، ملقياً الأضواء على تراثنا المجيد ، محيي الأقبية المهملة والقاعات المجهولة ، ساعياً لجعل العربية الخالدة ، لغة العصر الحديث تساير علومه وفنونه .

لقد ولد رصيفنا الجديد عبد الهادي هاشم ، في حيّ من أقدم أحياء دمشق ، سنة ثلاثين وثلاثمئة وألف للهجرة ، الموافقة لسنة اثنتي عشرة وتسعمئة وألف للميلاد ، في أسرة شامية عُرف كثير من رجالها بمزاولة التجارة ، كما عُرف بعضهم بالانصراف إلى طلب العلم أو الانقطاع إلى العبادة .

بدأ الزميل تحصيله الأولي ، كما كان يفعل أكثر أبناء الأسر الشامية العريقة التي تسكن داخل دمشق وحول جامعها الأموي الكبير ، في « المدرسة الجقمقية » يوم كان على رأسها علامة دمشق وأحد رواد نهضتها المعاصرة وأصحاب الفضل على كثير من شبابها المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي .

ومن الجقمقية تحول زميلنا إلى مدارس أهلية وأجنبية تلقى فيها تحصيله الثانوي ، إلى أن أنهى هذا التحصيل في « مكتب عنبر » ثانوية دمشق الحكومية الفريدة .

ومن « الجامعة السورية » جامعة دمشق الوحيدة ، حصل الزميل على شهادة « مدرسة الأدب العليا » ، وكان أول متخرجيّ دفعته . وحالت الوظيفة بينه وبين إتمام دراسة « القانون » التي بدأها ، فانتسب إلى « سلك التعليم » واضطر إلى العيش سنوات عديدة بعيداً عن داره في دمشق .

وفي سنة ست وثلاثين وتسعمئة وألف أوفدت وزارة المعارف زميلنا إلى باريس ، فتتلمذ لكبار المستشرقين فيها ، وانعقدت أواصر الصداقة بينه وبين كثير منهم ، وفيها درس شيئاً من علوم الفلسفة والتربية والألسن وألم إلماماً وافياً ببعض اللغات السامية ، ومنها اللغة الحبشية القديمة (الجعز) ، ثم عاد إلى دمشق في بداية الحرب العالمية الثانية ، فسُمّي أستاذاً للعربية في المدارس الثانوية ومديراً لدار المعلمين ، حتى إذا ما وضعت الحرب أوزارها ، أوفد إلى سويسرة ليتم فيها دراسة اللغات السامية والحامية ، فتمكن من المصرية القديمة ومن العبرية ، ونال في هذه جائزة « باومان » عن دراسة وضعها عن الفيلسوف اللغوي اليهودي ، سعاديا غاوون المعروف عند العرب بـ « سعيد بن يوسف الفيومي » ثم اختارته منظمة « اليونسكو » آنذاك ليكون خبيراً ثقافياً لها في القطر الليبي الشقيق ، بعد إعلان استقلاله سنة ١٩٥٢ م ، فأقام فيه مدة عامين ، كان خلالها خير سفير بين شقيقين ، يحمل الحبّ والودّ بين جنبيه ، كما يحمل رسالة الفكر بين يديه .

ولما عاد الزميل عبد الهادي هاشم إلى دمشق ، تولى فيهـا وظائف كثيرة علمية وإدارية فكان محاضراً في كلية الآداب بجامعة دمشق ، ومديراً للتعليم الثانوي والتعليم الريفي ، فرئيساً للجنة التربية والتعليم ، فأميناً عاماً لوزارة المعارف ، ثم تولى بعدها مديرية دار الكتب الوطنية بدمشق « المكتبة الظاهرية » ، ثم مديرية إحياء التراث العربي القديم في وزارة الثقافة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وزميلنا اليوم أمين عام مساعد للشؤون الثقافية في وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ، ويتولى تدريس « فقه اللغة » في كلية الآداب بجامعة دمشق ، وهو عضو في اللجنة الوطنية السورية لـ « اليونسكو » وعضو في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

وإلى جانب هذا قام زميلنا الأستاذ عبد الهادي هاشم بتمثيل سورية على خير ما يكون التمثيل ، في كثير من المؤتمرات العلمية والتربوية ، ولا سيما في مؤتمرات « اليونسكو » و « جامعة الدول العربية » و « مكتب التربية الدولي في جنيف » ، كما شارك في تحرير كثير من المجلات الأدبية والتربوية ، وحاضر في أكثر من مدينة عربية ، وحقق بعض المخطوطات من تراثنا ناشراً ذلك في مجلة مجمع دمشق ، كما أعان بعض الباحثين في تحقيقاتهم لمخطوطات عربية قيمة ، وقد سبق لمجمعنا أن نشر تحقيق رصيفنا لكتاب فقيد العربية الكبير أستاذ الجيل المغفور له سليم الجندي المسمى « الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره » وهو في ثلاثة أجزاء ضخام .

* * *

سادتي :

هذه اللمة سريعة عن الأستاذ عبد الهادي هاشم ، الذي أجمع أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق على اختياره رصيفاً لهم ، خلفاً للزميل الراحل فقيد العربية الاستاذ عز الدين علم الدين التنوخي ، يشدون به أزرهم ويتابعون معه خدمة العربية وآدابها .

وإني باسم المجمع أدعو الرصيف الكريم إلى خطاب مجمعي يحدثنا فيه عن سلفه الراحل أجزل الله ثوابه .

دمشق في ١٣٨٩/٢/٧ هـ — ١٩٦٩/٤/٢٤ م

عدنان الخطيب

خطاب الأستاذ عبد الهادي هاشم

في حفلة استقباله

سيدي وزير التعليم العالي ، سيدي وزير الثقافة ،

سيدي الأستاذ الرئيس ، سادتي أعضاء المجمع سدنة اللغة وحماتها .

أحسنتم بيَ الظن فارتضيتموني لكم رصيفاً ، وأخذتم بضبعي ، منعمين متفضلين ، فأحللتموني في مجمعكم الكريم منزلة سامية تجاوز الأماني وتفوت المطامع ، منزلةً ما كانت عنقي تتطاول إليها ، لمرفتي بنفسي وشعوري بنقصي ويرحم الله امرأً عرف حده فوقف عنده . وإني لموقن أنه لم يرفعني إلى مزاملتكم إلا عين راضية نظرتم بها إليّ ، ونفسٌ سمحة عالية تجاوزت عن عجزي واحتسبت تجني لهذه اللغة الشريفة وإخلاصي لها واعتدادي بأدبها وحرصي على تراثها ففسحت لي مكاناً بينكم ، وأرجو ألا تكونوا على ذلك فيما بعد من النادمين .

ولئن لم أكن أطمع في أن أغدو في يوم من الأيام من أعضاء المجمع فما ذلك لأني غريب عنه أو بعيد منه ، فأنا من معينه ارتويت ، وبرجاله اقتديت ، ألِفتُ رحاب المجمع منذ أكثر من أربعين سنة ألزم قاعاته وأشهد محاضراته وأتلمذ لأعلامه وأتخرّج بمن شرُفتُ بصحبته منهم أو حظيتُ بزاملته فيهم ، وكنتُ أجد في ملازمتي المجمعيين الخالدين شرفاً أزهى به واعتزّ ، وأرى في عشرتهم غذاء الروح ومتعة العقل وراحة النفس ، وما أزال أذكر الفرحة التي غمرتني يوم اختارني الأستاذ الرئيس محمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كرد علي منذ خمسة وعشرين عاماً لأشارك في التهيئة لمهرجان المعري الألفي ، ولأكون في إمرة الرجل النبيل الأمير جعفر الحسني في الإعداد للمهرجان والعمل لإنجاحه .

كما أذكر بالفخر والشكر ذلك اليوم الذي وقف فيه طه حسين منذ أكثر من اثني عشر عاماً في حفل افتتاح مؤتمر المجامع العلمية الأول في دمشق يتوجه على رؤوس الأشهاد إلى رئيس الجمهورية السورية المرحوم شكري القوتلي طيّب الله ثراه بقوله :

« ولا بدّ أن يُرَدّ الحق إلى أهله ، ولا بد من أن استأذن فخامتكم في إشارة موجزة إلى تاريخ التفكير في عقد هذا المؤتمر ، وأولُ تفكير في عقد هذا المؤتمر إنما كان في اجتماع اللجنة الثقافية للجامعة العربية في جدّة ، وكان الفضل فيه لممثل سورية العظيمة ، في ذلك الوقت كان الزميل عبد الهادي هاشم يمثل سورية في اللجنة الثقافية ، فهو الذي أوحى إلينا بهذه الفكرة ، ولا غرابة في هذا ، فما رأيتُ إلى اليوم أحـــداً كالسوريين لا ينسى العروبة ومجد العروبة ومستقبل العروبة ، ما رأيتُ أحـــداً كالسوريين يذكر هذا ويستصحبه في حلّه وترحاله ، يفكر فيه كما يفكر في نفسه ، فالعروبة جزء مقوّم لكل عقل سوري ، وجزء مقوّم لكل قلب سوري ، وجزء مقوم لكل ذوق سوري . كان الذي أوحى إلينا بالتفكير في هذا المؤتمر رجلاً من رجال سورية ، فكان من الطبيعي أن يكون عقد أول مؤتمر للمجامع العلمية في مصدر التفكير فيه : في دمشق مهد العروبة وعاصمتها .... وهناك مزية خاصة لدمشق ، فمجمعها

العلمي الموقر هو أولُ المجامع العربية وجوداً وأشدُّها نشاطاً وأخصبُها إنتاجاً وأعظمُها تأثيراً في حياة اللغة العربية الحبيبة وأقدرُها على إحياء التراث العربي القديم ؛ نتخذه في كل هذه الأشياء مثلاً ونموذجاً ، ونطمع في أن نسير في إثره ونطمع في أن نصنع صنيعه ونقتدي برجالاته من زعماء العروبة وأعلام البيان . »

اعذروني أيها السادة إذا أطلتُ الاستشهاد بشيء من خطاب عميد الأدب العربي في هذا العصر ورئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة اليوم ، فقد فعلتُ ذلك لأعيد إلى الذاكرة رأي كرام زملائكم في مجمعكم وتقديرهم رجاله وإكبارهم جهاده .

قلتُ لم تنقطع صلتي بالمجمع ، بعُدتُ أو قربتُ ، ولكنَّ انضرَ أيام عمري وأعودَها عليَّ بالخير واليمن تلك الأعوام التي قضيتُها في حرم المجمع ، على رأس دار الكتب الظاهرية ، فقد كنتُ ألقى الأستاذ الرئيس (خليل مردم بك) رحمه الله ، كل يوم ، لا المذاكرة في قضايا الادارة فقد كان أمرها سهلاً ميسوراً ، ولكن للمداولة في مسائل أدبية ولغوية ، وللقاء الأفاضل من الوافدين على المجمع لزيارة رجالاته ، ولما حلَّ العلامة الأمير مصطفى الشهابي في نيابة الرياسة خلفاً للمرحوم الأستاذ المغربي كان يخصني بوده ويُشركني في بحوثه ، وقد ذكرني بلقاءاتنا الماضية يوم زرتُه رحمه الله الزورة الأخيرة قُبيل وفاته بيومين .

★ ★ ★

ولئن أتيح لي شرف لقاء أكثر أعضاء المجمع من قبل ، فإن صلتي بالمرحوم عز الدين التنوخي الذي أحللتموني محله بعد انتقاله الملأ الأعلى كانت أوثق وأقوى ، فقد كنتُ أعرفه وأنا في ريِّق الشباب من خلال ما أتقف

وزجم وحقق وحاضر ، فلما سُمّيتُ منذ ثلاثين عاماً أستاذاً للعربية في ثانوية حمص خلَفتُ فيها الأستاذ التنوخي وسرتُ على نهجه ، وكنتُ أزوره عند مقدمي إلى دمشق وأستهدي برأيه فيحتفي بي ويصفيني وده وإخاءه ، وكان تواتر اللقاء يزيدني إعجاباً بأبي قيس ومحبة له ، ويكشف لي كرُّ الأيام فضائل وشمائل في نفسه وخلقه وعلمه لا يكاد يعرفها أخص خلطائه .

ثم ازدادت صلتي به توثقاً أيام كنتُ في المجمع ، فكانت لجنة المطبوعات تعقد اجتماعاتها في مكتبي ، وكان التنوخي أحد أعضائها ، وكانوا يبيحون لي أن أخوض في الحديث معهم وكأني أحدهم ، ويُشركونني في عملهم وإن لم أكن منهم . ثم لما تحولتُ عن المجمع إلى وزارة الثقافة كان الفقيد يتعاهدني بالزيارة بين الفينة والفينة ، فأرد تحيته وأقصد إلى مكتبه في المجمع وإلى داره في ضاحية المزة (أو دمشق الجديدة كما كان يحلو له أن يسمّيها) وكنت في الحالين سعيداً منتبطاً لما كان يفيض فيه من طلي الحديث وحلو النادرة وبارع الرواية وحاضر النكتة ، ولما كان يلقى به مجالسه من كرم الترحيب ورفع الكلفة والانبساط الوقور دون ما تبذّل ولا إسفاف . ولا أزال أذكر آخر لقاء بيننا وكان قُبَيْل وفاته بلواذ أسبوع وكنا نتحدث فيه عن (معاني الشعر) للاشناندانى وما صنعه في تحقيقه ، وكان يومها مفترّ الثغر منشرح الصدر يتدفق بشراً ونشاطاً ، وما كنتُ أعلم أنها آخر مرة ألقاه فيها في هذه الفانية . على أن صلتي لم تنقطع بالتنوخي بعد وفاته ، فقد عكفتُ على العناية بكتاب الأشناندانى واستكمال تحقيق أصله ولَحَقه وذيله والتقديم له ، وأرجو أن يظهر الكتاب إلى الأسواق بعد أسبوع أو أسبوعين .

★ ★ ★

تقضي سنة للمجمع حميدة بأن يتحدث الخلف من أعضائه في حفل استقباله عن سلفه ، وكنتُ أحسب الأمر هيناً يسيراً ، وأن معرفتي بأبي قيس وبجمل آثاره قمينة بأن تجمل الأمر على طرف الثمام ، وما كنتُ أدري أن شدة القرب حجاب وأن العين لا ترى جارتها ولا تحسن وصفها وأن أجهل ما يكون المرء عندما يحسب نفسه عالماً ، وأن ترجمة مَن بعُد من الغرباء قد تكون أسهل وأيسر من ترجمة مَن دنا من القرباء ، وهـــذا عذري إذا لم ترضوا سيداتي وسادتي عما سأسوقه في ترجمة الفقيد ووصف بعض آثاره .

يُنْمَى عز الدين علم الدين التنوخي إلى أسرة يذكر بعض العارفين أنها كانت قد اتخذت العراق مسكناً منذ مئات السنوات ، ثم هاجر بعض أبنائها إلى الشام وأقاموا في سواحله وعلى جباله الشم يشتركون مع أهلها في رد عادية الصليبيين عن الثغور الشامية . ثم انتهت تلك الحروب واستقر أبناء هذه الأسرة في لبنان وتكاثر نسلهم وغلبوا على أرجاء واسعة من الجبل . فلما وقعت الواقعة في عين دارة سنة ١٧١١ م / ١١٢٢ هـ بين القيسيين وعلى رأسهم الأمير حيدر الشهابي واليمنيين وأمراؤهم بنو علم الدين وانجلت عن هزيمة اليمنيين وقتلِ الكثيرين منهم نزح مَن سلم من آل علم الدين إلى دمشق واتخذها موطناً له .

وقد ولد الفقيد عز الدين بدمشق حوالي سنة ١٨٨٩ م في أسرة كادحة عاملة تصنع سروج الخيل وتتفوّق في هذه الصناعة فتصير إليها مشيختها ويسمى والده (شيخ السروجية) فإذا لقي الوالد وجه ربه حل محلّه في المشيخة ابنه وهو أخو عز الدين .

نشأ الفتى عز الدين في هذه البيئة ، ولكن نفسه عزفت صغيراً عن الرضى بأدنى المعيشة ، وتطلعت إلى مجد مؤثل مؤمل . فبعد أن أنهى الدراسة

الابتدائية في المدرسة السباهية والاعدادية في المدرسة الرشدية تحوّل عن دمشق إلى يافا وعنها إلى الأزهر في القاهرة يدرس على شيوخه مجمل معارف عصره ، وقد عاش التنوخي في مصر عيشة شظَف وقَشَف يتبلّغ بالقليل ، وينصب ويتعب من أجل الحصول عليه ، ثم عاد إلى دمشق قبيل إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ولم يبلغ العشرين من العمر ، فتصدّر للتدريس والإقراء في جامع بني أمية ، وأقبل الناس عليه ، ورضُوا عن طريقته في الوعظ والإرشاد ، ودعوته إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد أعانه على امتلاك قلوب طلابه طلاقة لسان وحلاوة حديث وبعدٌ عن الجمود والتطرف ، ودعوة معتدلة لإصلاح في شؤون الدين والدنيا متزن متئد ، وعلم غزير اكتسبه من الأزهر ومن دروس علاّمتي دمشق يومئذ جمال الدين القاسمي وعبد الرزاق البيطار .

وكان جو الشام متلبداً بالغيوم : حكومة تركية طائشة توجس من بنيه شراً ، وتضمر لهم أذى وتنكيلاً ، وتتربص للايقاع بمن أبوا منهم الاقامة على ضيم يراد بهم وببلادهم ، وأنِفوا من الاستكانة إلى ظلم أولئك الطورانيين الناصبين ، فقامت جمعيات سرية عربية تدبّر للخلاص مما تعانيه البلاد وكان التنوخي فيما يبدو ضالعاً معها مشاركاً في بعضها .

وتوفده جمعية أهلية مع بعض الشباب الشاميين إلى فرنسة لدراسة الزراعة في (غرينيون) ، فاذا أتم عز الدين دراسته عرّج في طريق عودته على القسطنطينية يتصل فيها بالجمعيات العربية السرية ، وينتسب إلى بعضها كالمنتدى الأدبي ، ثم يهبط بيروت لينهض بتعليم الزراعة في مركزها الزراعي سنة واحدة ، وما تلبث أن تنشب الحرب العالمية الأولى ويساق التنوخي إلى مدرسة ضباط الاحتياط في دمشق ، وقبل أن تتم دروسها يفرّق جمال باشا قائد الفيلق الرابع طلاب المدرسة العرب ، ويعيّن التنوخيّ في

حلب ، ولكن الضابط الصغير يتبيّن الغدر في نفوس الأتراك فيفارق دمشق خفية إلى جبل الشيخ ومنه إلى بادية الشام فإلى الجوف (وهي دومة الجندل) ثم ييمم شطر العراق فالحجاز لينضم إلى الشريف حسين عندما أعلن ثورته على الأتراك . وهنالك يسميه الشريف (وزيراً للزراعة في واد غير ذي زرع) كما يقول التنوخي . ثم يلتحق بجيش الأمير فيصل ويدخل دمشق ثانية بعد أن حرّرها الجيش العربي .

وكانت تلك الفترة مباركة على الأمة التي أخذت تنشئ الحياة يومئذ ، وتمدّ لغد باسم مشرق يذكّر بالأمس البعيد الوضّاء .

وشارك التنوخي مع بعض علماء الشام حينئذ في بعث العربية ونشرها وتعليمها ، وتألف من صفوة هؤلاء العلماء المجمع العلمي العربي في حزيران عام ١٩١٩ وكان عز الدين في عداد هذا الرعيل الأول .

ثم يسهم التنوخي من بعد في تأليف جمعية (الرابطة الأدبية) ويشرف على إصدار مجلتها ، ولكن السلطة الفرنسية — وقد غزت جيوشها البلاد الشامية بالحديد والنار — لم ترُق في عينها الرابطة ولا مجلتها ، فأمرت بحل الجمعية وحجب مجلتها سنة ١٩٢٢ وكمّت الأفواه وكسرت الأقلام وبثت في البلاد الهلع والفزع .

ضاقت السبل أمام هذا الشاب التنوخي في بلده ، فلما دعاه ساطع الحصري إلى العراق — وكان قد رافق فيصلاً الأول إليه — ولى وجهه شطر بغداد وأخذ يدرّس في دور المعلمين الأولية والعالية وينشر المعرفة ويبصّر الناشئة بلغة الجدود وتراثهم المجيد الخصب ويضع لطلابه كتباً في العلوم واللغة والأدب لايزال الناس يذكرونها ويشكرون مساعيه في تأليفها .

ثم يغالبه الحنين إلى مسقط رأسه فيعود في أوائل العقد الرابع إلى دمشق وينصرف إلى المجمع وعمله فيه ردحاً من الزمن ، ويشارك في

محاضراته وندواته ، ويسهم في مهرجان المتنبي سنة ١٩٣٦ ، ثم يُسمّى بُعيد ذلك مدرساً للعربية في ثانوية حمص وينقلب بعدها في وظائف كثيرة إدارية وتعليمية في السويداء ودمشق ؛ إلى أن يوكل إليه تدريس علوم الآلة في كلية الآداب ويظل قائماً بها إلى أن يحال إلى التقاعد عام ١٩٥٣ وهو على أتم مايكون نشاطاً وحيوية . فيتفرغ أو يكاد للعمل في المجمع وفي مجلته ، ثم ينتخب عام ١٩٦١ عضواً في المجمع العلمي العراقي ، وأخيراً يسمى نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي في دمشق أواخر العام ١٩٦٤ بعد وفاة العلامة الأستاذ المغربي . فكان يقضي سحابة نهاره في المجمع ويروح أصيلاً إلى مزرعة له في ضواحي دمشق كان قد اقتناها لما عاوده الحنين إلى الزراعة . ومن هذه المزرعة يذهب إلى لقاء وجه ربه راضياً مرضياً فجر يوم الجمعة ٢٤ من حزيران ١٩٦٦ (٦ ربيع الأول ١٣٨٦ هـ).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

كان المرحوم التنوخي رضيّ الخلق كريم النفس جمّ التواضع عفّ اللسان قريباً إلى القلب ، وكان متمسكاً بدينه معتزاً بقوميته مجاهداً في سبيل أمته بسيفه وقلمه ، جاهداً في الحفاظ على لغتها وتراثها . وكان وافر النشاط يعمل في المجمع والمزرعة والمشروعات الخيرية والاجتماعية لا يصرفه واحد منها عن غيره .

وكان إلى ذلك قوي الذاكرة حاضر البديهة جميل النكتة .

وقد قضى حياته الطويلة جلداً دءوباً على الدرس والبحث والعلم والعمل حتى غدا حجة في العربية مشاركاً في علوم أخرى كثيرة ، وحتى خلّف لنا ثروة ضخمة من الآثار النافعة والتصانيف القيمة . وقد نُشر في حياته

منها أكثر من عشرين كتاباً ورسالة بين مؤلف ومترجم ومحقق في شتى ضروب المعرفة .

فأول ما ألف رسالة فلسفية سماها (الفتح المبين) في شرح عينيـــة ابن سينا الرئيس :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلل وتمنع

وقد طبعت هذه الرسالة في مصر أيام كان التنوخي يدرس في الأزهر ولم تجاوز سنه الخامسة عشرة فيما يبدو .

ثم نشر في العراق كتاباً في مبادىء الفيزياء في جزئين ترجمه عن الفرنسية لفرنان مايير ، ثم ترجم قصة قلب الطفل في جزئين أيضاً ، وأصدر كتاب دروس الإنشاء مقتبساً من كتاب موريس غربنو ثم والى في دمشق تحقيق بعض التآليف الأدبية واللغوية ومنها :

كتاب المنتقى من أخبار الأصمعي للربعي وكتاب تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي وكتاب بحر العوّام فيما أصاب فيه العوامّ لابن الحنبلي . ثم أخرج لطلابه في الجامعة ثلاثة أجزاء فيها شرح (إيضاح القزويني الدمشقي) في البلاغة وكتاباً سماه (إحياء العروض) وشارك في وضع (المعجم العسكري) الفرنسي العربي والانكليزي العربي ثم نشر تحقيقه المتقن لكتـاب الابدال لأبي الطيب اللغوي في جزئين كبيرين وكتاب المثنى وكتاب الإتباع وكلاهما لأبي الطيب نفسه ثم نشر كتاب الابدال للزجاجي وحقق مقدمة النحو لخلف الأحمر كما نشر الجزء الثالث من شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع ابن حبيب الأزدي .

ويتوفاه الله قبل أن يفرغ من تحقيق كتب أخرى كان يعتزم نشرها ، ومنها كتاب (معاني الشعر) للأشناندانى في أصله وتكملته وذيله ، وكتاب

(الدلائل في غريب الحديث) لقاسم بن ثابت السرقسطي، وكذلك كتاب (منتهى الطلب) لابن ميمون فيما يذكر صديقه العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي .

هذا إلى عدد جم من الرسائل الصغيرة والمقالات والقصائد التي كان ينشرها في مجلات كثيرة كالمجلة السلفية ومجلة الزهراء ومجلتي التربية والتعليم في بغداد والشام ومجلة الرابطة الأدبية ومجلة الثقافة ومجلة المجمع العلمي العربي ، ومن عجب أن آخر مقالة له نشرت في صدر عدد مجلة المجمع الذي نعاه فيه .

قضى التنوخي ستين سنة كاملة (من ١٩٠٦ إلى ١٩٦٦) يؤلف ويترجم ويحقق في أنواع شتى من المعرفة ، ولوددت أن أتحدث عن خصائص كلٍّ من مؤلفات التنوخي وأن أذكر موضوعه ومنهج التنوخي فيه لو كان الوقت مسعفاً ، ومع ذلك فلا أحب أن يفوتني الحديث ولو موجزاً عن ثلاثة من تصانيف التنوخي هي كتاب الابدال وكتاب تهذيب الإيضاح وكتاب مسند الربيع بن حبيب ، ففي هذه النماذج دلالة واضحة على نهج التنوخي رحمه الله في التأليف والتحقيق ، وبيان لطول باعه في علوم كثيرة لا يتاح لغيره الإلمام بها مجتمعة ، بلهَ إتقانها والتمكن منها .

★ ★ ★

فأول هذه التصانيف التي اخترتُ كتاب (الابدال) لأبي الطيب عبد الواحد ابن علي اللغوي الحلبي المتوفى سنة ٣٥١ ، وقد نشره التنوخي في جزئين يقعان في قرابة ألف ومائتي صفحة ، ووطّأ له بحديث ضافٍ عن الإبدال اللغوي والنحوي وحدودهما ، وبسط قواعد الإبدال اللغوي وضرب الأمثلة عليها ، ثم انتقل إلى الكلام على القلب الشعري وعلى تعاقب الفصحى والعامية ، وعلى التعاقب بين العربية واللغات السامية ، وعلى تولد اللغات من اللثغات ، وشرح ذلك كله شرحاً علمياً لا تكاد تقع على مثله عند المعنيين المتفرغين

أمثل هذه البحوث ، وانتقل بعد ذلك إلى بيان أثر قلة الإعجام في التصحيف ، وإلى مباحث شتى تتصل بالترادف والتعاقب . ثم أخذ يقارن بين المتقدمين والمحدثين في هذا العلم ويرجّح المحدثين .... وهو في خلال ذلك يسوق آراءً في هذه الظاهرة اللغوية الصوتية : ظاهرة الإبدال ، يحاول فيها أن يفيد من العلم الوضعي المستحدث اليوم في تعليل ما رواه العرب سماعاً ولم يحكموا تعليله . ثم عرّف التنوخي بمؤلف (الابدال) أبي الطيب اللغوي وانتقل إلى الحديث عن مخطوطة اشتملت على الكثير من كتب أبي الطيب ، وساق الأدلة على أن عزو الكتاب الذي نشره إلى أبي الطيب عزو صحيح . أما نص الكتاب فقد ضبطه بالشكل الكامل المتقن ، وهذا الضبط في الشكل أمر لا مندوحة عنه في كتب اللغة ، ولم يدع التنوخي كلمة لغوية في هذا السفر الضخم إلا شرحها ، معتمداً أوثق المراجع وأوسع المعاجم ، حتى جاءت حواشي الكتاب أضعاف متنه . ويبدو أن أبا قيس كان يودّ المضي في العناية بالكتاب فوق ما فعل ، فهو يقول (في مقدمة الابدال ص ١٢) :

« ولوددتُ مهلة من العمر لأشرح ابدال أبي الطيب اللغوي أو فائت ابداله مما جمعته من كتب اللغة على طريقته ، محصّصاً لها وباحثاً عن أصولها وفروعها وذاكراً آراء فقهاء اللغة فيها من المتقدمين والمحدثين . »

ولا شك أنه لا يقوى على نشر هذا الكتاب وضبطه وتخريجه والتعليق عليه إلا الراسخون في العلم ، فتحقيق كتاب لغوي ليس بالأمر اليسير ولا سيما كتاب لم تصل إلينا منه إلا مخطوطة واحدة . وهذا الكتاب يعالج زاوية عسيرة من اللغة ، وقد وفق المحقق في التعليق على الكتاب بما يستوجب الحمد والثناء . ويكاد المرء يجد في كل صفحة منه ما يحسبه صنيع لجان مجتمعة لا فرد متوحّد . وكان التنوخي يعلم أن عمله هذا مجازفة قد يكبو فيها

جواده فقال في المقدمة : فقلَّما خلا تحقيق كتاب ، من مباينة لوجه الصواب ؛ والتنزه عن الخطأ معوز ، والكمال لغير الله معجز .

★ ★ ★

أما الكتاب الثاني الذي أود التحدث عنه فهو (تهذيب الإيضاح) .

والحق أن التنوخي لم يكن يرضى بالاقتصار على علم واحد من علوم الأوائل ، بل كان يود الإحاطة بها جميعاً ، ويتطلع إلى إتقانها كلها وتجديدها وتيسيرها ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وعلوم البلاغة ، كما صنعها المتقدمون ، عسيرة المطلب وعرة المسلك ، قل العارفون بها ، المتمكنون منها ؛ على أنه لا غُنية عنها لمن يودّ فهم أساليب عصور طويلة من تاريخ أدبنا ، وأنماط كثيرة من تفكيرنا ، وجوانب عديدة من ثقافتنا . وأشهد أن التنوخي كان في هذا الميدان من أبرع مَن عرفنا في علوم البلاغة كلها ، ومن أقدرهم على تبين خصائصها ونقائصها .

ولما نيط به تدريس طلاب جامعة دمشق علوم البلاغة اختار من كتب المتقدمين كتاب (الإيضاح) للقزويني الدمشقي المتوفى عام ٧٣٦ هـ فشذبه وهذبه وشرحه وعلق عليه في أجزاء ثلاثة يسَّرت لطلابه معرفة أصول هذه العلوم وأذاقتهم حلاوة درسها وفتحت عيونهم على طريقة في فهم البلاغة ما كانت تتاح لهم لولا كتاب التنوخي هذا .

ولا شك عندي في أن خدمة أبي قيس (لإيضاح) القزويني خدمة جليلة محمودة ، ولا أكتمكم أنني كنتُ قد قرأت منذ سنوات طويلات (مفتاح العلوم) للسكاكي و (تلخيص المفتاح) للقزويني ، و (مختصر تلخيص المفتاح) للتفتازاني ، و (مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح) لابن يعقوب المغربي و (عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح) لبهاء الدين

السبكي و (الايضاح لتلخيص المفتاح) للقزويني ، و (حاشية الدسوقي على شرح السعد التفتازاني لتلخيص المفتـــاح) ، كل هذه المفاتيح والشروح والحواشي المتعلقة (بايضاح) القزويني لم تَسُنَّ لي أبواب البلاغة ، ولم تُنِرْ لي ظلماتها ، وكنتُ أجد في نفسي انصرافاً عن القزويني وزهـداً بما ألّف ، فلما رأيتُ كتاب التنوخي قلت : وهذا مفتاح آخر لن يزيد الباب إلا إرتاجاً . ولكني مضيت في قراءته فأدركت وهمي ، وعرفتُ أنه كم ترك الأول للآخير وكم فات السابقَ ما أدركه اللاحق ، فقد يسّر التنوخي علومَ البلاغة وأضاء مجاهلها ، بمرهف ذوقه ودقة فهمـــه وسعة حفظه وسلاسة شرحه واستحضاره الشواهد المبينة الواضحة ، واستكثاره من النصوص المحكمة المتخيّرة ، وتعليقاته المفيدة النافعة . وقد أعانه ذلك على أن يذيّل كل باب بأمثلة كثيرة متخيرة جميلة نسوقها لتدريب القراء وتمرينهم والأخذ بيدهم لإدراك وجوه الجمال في التعبير وضروب البلاغة في الأداء . وليس لنا أن نقتضي التنوخيَّ وضعَ أسس جديدة لعلوم البلاغة واستكمال ما فات القزويني وغيره منها ، ليس لنا ذلك ، لأنه في هـذا المقام شارح للكتاب لا مؤلف . ويبدو أنه كان يود أن يصنع شيئاً من ذلك ، ولكن لم يقيِّض له قصر الزمن بلوغ غرضه .

★ ★ ★

كان التنوخي - كما سبق القول - متعدّد جوانب المعرفة ، متّسع آفاقها ، فقد بدأ حياته العلمية بدراسة شيء من اللغات الأجنبية كالفرنسية والتركية والفارسية ، ثم انصرف إلى تعمق العربيـــة والعلوم الدينية في الأزهر ، ثم عكف على دراسة العلوم الزراعية في فرنسة ، ثم اتجه إلى العلوم الوضعية في العراق ، وعاد لتدريس علوم الآلة في دمشق ، واشتغل

بتحقيق عيون تراثنا المجيد في اللغـــة والأدب والنحو . على أن من آخر الكتب التي حقق ونشر كتاباً في الحديث يثق به الاباضية من الخوارج ، عنيتُ به الجزء الثالث من (شرح الجامع الصحيح مُسْنَدِ الإمام الربيع ابن حبيب بن عمرو الفراهيدي الأزدي) وقد طبع بدمشق عام ١٩٦٣ م . وأنتم تعلمون أيها السادة أن هذا الجامع الصحيح هو عمدة الاباضيـــة في الحديث ، لا يعدلون به شيئاً من كتب السنة والشيعة ، وأن لهذا الجامع شأناً — وأي شأن — عند الباحثين ، لأنه لم يُسْلَم لنا من كتب الخوارج الأولين غيرُه في بابه . وقد توفر التنوخي خرّيج الأزهر على تحقيق متن هذا الجامع وشرحه ، ووطأ له بمقدّمة أرّخ فيهـــا أوّلية تدوين الآثار والأخبار والأحكام عند المسلمين ، ثم أفاض في بدء تدوين الحديث وشرح رتب الصحيح من أحاديث الرسول والأسانيد الثلاثية ورجالها ، ومقـام مسند الربيع بن حبيب ، وجلا ثلاثيات الربيع وكيف أن أحاديثها في مسنده من أصحها رواية وأعلاها سنداً ، وقد ترجم لرجال هذا المسند : لأبي عبيدة التميمي وجابر بن زيد الأزدي والبحر عبد الله بن عباس . وجابر هــذا هو — كما تعلمون — أصل المذهب الاباضي في عُمان والمغرب ومن أصحاب عبد الله بن عباس .

وكأن التنوخي كان يخشى أن يُرمى بنصرة المذهب الاباضي — وهو الجاهر بسنّيته المعتزّ بها — ، فقال في مقدمة الكتاب : « وما آثرت تخريج أحاديث المسند والشرح ، ولا سيما مارواه الشيخـان ، إلا لتطمئن قلوب اخواني ابناء السنة بأن مسند الربيع الذي بُني عليه المـذهب الاباضي هو صحيح الأحاديث ، وأكثرها مما جاء في الصحيحين ، وجابر بن زيد ممن روى عنهم البخاري وغيره ، لكيلا يقع الناظر في هذا الكتاب فيما وقع

فيه خصوم الاباضية أو من لم يعرف حقيقة مذهبهم وعقيدتهم فيظنهم من الخوارج الغلاة . »

أما تحقيق التنوخي لهذا الجامع الصحيح فيدلّ على تمكن من علم الحديث قلّ في عصرنا من يضارعونه فيه ، فهو يقابل ما جاء فيه بكتب أهل السنة ويشرح وينقد ويترجم للرواة ويعدّل ويجرّح ، وقد يعدل إلى شيء من العربية يعينه على إيضاح الغامض وتقويم المنآد .

ومن الطريف أن آخر تعليقة للتنوخي في هذا الجزء من الكتاب عادتْ به إلى ما اعتاده رفاقه وطلابه منه حين كانوا يسمون أحاديثه الطلة الحلوة ، وأستميحكم العذر في تلاوة هذه التعليقة الأخيرة عليكم لصلة ما فيها ببعض أعمال مجمعكم ، ولتصورها جانباً من جوانب العزّ التنوخي رحمه الله . فقد جاء في تعليقه على شرح الحديث الشريف : « مَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة » :

« يقول الشارح : نكّره (نكّر علماً في قوله : يلتمس فيه علماً) ليندرج فيه القليل والكثير ؛ فيضيف التنوخي : كما نكّر العلم في قوله تعالى : هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ليكون شاملاً لجميع العلوم النافعة ، فليس مقصوراً على الفقه والنحو والصرف وحدها ، بل يطلق أيضاً على العلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء وعلم الحِيَل (الميكانيك) وعلى كل علم يقوى به المسلمون والعرب ويعينهم على اختراع الأسلحة الحديثة الذرّيّة التي يقاتلون بها الأعداء من المستعمرين ، ويدافعون بها عن حوزة الوطن والدين ، وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ صدق الله ؛ لا يستوي عالم وجاهل ولا دارع عالم وأعزل غافل ؛ ولو أن شاعرنا العربيّ الشدّاخ عاش في عصر العرب المسلمين هذا لقال :

أبَيْنا فلا نعطي السلاطينَ طاعةً ومستمراً إلا الصّروخَ المضرّما
ولا نتنضي هـــذا الحسام مجرّداً ولا نرتضي ذاك الوشيـج المقوّما

ثم يضيف التنوخي المجمعي : الصّروخ وزن فعول هو الصاروخ الذي يصعد بتضريم النار إلى السماء ، وبيتا الشدّاخ بن عوف الكناني هما :

أبَيْنـــا فلا نعطي مليكاً ظلامةً ولا سوقةً إلا الوشيجَ المقوّما
وإلاّ حساماً يبرقُ العينَ لمحُهُ كصاعقـةٍ في غيث مزنٍ تركّما .»

هذا ولا أعلم أن للتنوخي كتباً أخرى نشرهـا في الحديث النبوي ، ولكنه كان في أواخر أيامه معنياً بكتاب (الدلائل في غريب الحديث) لقاسم بن ثابت السرقسطي ، فقد عرّف به في مجلة المجمع في مطلع العـام ١٩٦٦ م في مقالة ضافية جميلة ، واشتغل بتحقيق الكتاب ، ولكن وافاه الأجل قبل الفراغ منه . وقد عزم المجمع على إتمام تحقيقه ونشره .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وصفوة القول كان التنوخي حافظاً للكثير من الأحاديث النبوية ، واقفاً على معانيها المستفادة منها عارفاً بمظانّها ورواتها قادراً على تنخّلها وتبيّن صحيحها من موضوعها .

وهذا جانب آخر يدل على فضل الفقيد واتساع آفاق علمه .

★ ★ ★

وبعدُ فما يجمُل بي أن أجتزئ بالإلماع إلى آثار التنوخي وأغفل الحديث عن صاحب هذه الآثار ، ولكن استيفاء هذا الحديث يشغَل من وقتكم فوق ما يتسع له صدركم ، فاسمحوا لي أيها السادة بأن أقتصر على كلمات قليلات أقولها في التنوخي المجدِّد والتنوخي الشاعر والتنوخي اللغوي .

★ ★ ★

عُرِف الأكثرون من رجالاتنا في فاتحة عصرنا هذا بالمحافظة والوقوف عند ما وقف عنده المتقدمون فهم لا يميلون للتجديد إلا بقدر ، ولا يرضَوْن من الاصلاح إلا بما تشتد الحاجة إليه ؛ ولئن غلبت نزعة التجديد — ولو إلى حد — عند بعض رجال السياسة والفلسفة والاجتماع والثقافة والفكر والأدب ، فإن نزعة التجديد هذه كانت تطرق على استحياء وخفر أبواب اللغويين ولا تلجها إلا بحذر وتردد ، تقدّم رجلاً وتؤخر أخرى . وكانت دواعي الإصلاح والتجديد في بادئ الأمر وافرة غزيرة ، ولكن عوامل البيئة المحافظة ، وغلبة الثقافة التقليدية ، والخشية من التردّي في مَوامي المنبتّ كانت تدعو إلى القصد في التجديد والتغيير ، ومن أجل ذلك كانت صدور رجال اللغة مثلاً تحرج بتقبل الدخيل والمولّد ، وتحجم عن مجاراة ما استنّه أبناء اللغات الأخرى في المستحدث من الألفاظ الدالة على المستجدّ من المعاني . وتفسير ذلك عندي أن الأمة العربية كانت في مطالع هذا القرن في معركة حياة أو موت ، وأن مقوّمات النصر في هذه المعركة لضمان بقاء الأمة كادت تنحصر يومئذ في الحفاظ على اللغة ، فزوال اللغة مؤذن بزوال الأمة ، وبقاء أبنائها ببقاء لغتهم ، فكانت صدور علمائنا تضيق بالمولد والدخيل وتود الرجوع إلى المأثور الأصيل . فلما اطمأنّت الأمة إلى وجودها وبقائها (أو لمّا خُيِّل لها ذلك) انسعت صدور علمائنا ، فرضوا بتسنية أبواب اللغة وبالاجتهاد فيها ، وغدا علماؤنا أقلّ تزمتاً وتصلباً ، وأصبحوا أميل إلى التيسير والتجديد ، وقد يختلفون في تعيين الحد الذي ينبغي لهم أن يقفوا عنده ، وقد يغلو أحدهم فيجاوزه بأشواط أو يتصلب بعضهم فلا يبلغه إلا من بعد ، ومردّ ذلك اختلافهم في التقدير وتباعد نظرتهم في الأصلح والأمثل .

ويروعنا أن نجد التنوخي ـ وقد ولد في القرن الماضي ونشأ نشأة أزهرية في بيئة دينية وتكوّنت ثقافته ونفسيته في هذه الفترة الأولى ـ يروعنا أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نجده ، عمرَه كله ، منادياً بالتجديد ، راضياً به ، داعياً له ، ما أعانه عليه إعداده الفكري وتفتحه الذهني وتقديره الشخصي ، فهو يقول مثلاً في واحد من أوائل كتبه وقد نشره في العراق عام ١٩٢٧ :

« وما زالت هذه الصناعة (صناعة الإنشاء) تتبع في تهذيبها وترقيتها سير العلوم وتكامل الصنائع حتى أوشكت أن تبلغ بين الفرنجة تمامها ، ونحن لم نزل على تركة أسلافنا جامدين ، وسادّين أبواب الاجتهاد في الفقه بأنواعه : فقه اللغة وفقه البيان والتبيين وفقه الآداب الرفيعة وفقه الصنائع المفيدة وفقه السلم وفقه الحياة بحذافيرها أي فقه الدين والدنيا معاً . »

ويقول في مقدمة كتاب آخر أصدره بعد أكثر من ثلاثين سنة : « ولو توفّر لسلفنا الصالح من وسائل دراسة الأصوات السمعية والآلية وعلم أمراض الكلام والاطلاع على اللغات السامية ومقارنة اللغات القديمة والحديثة كما توفرت لفقهاء اللغة في ديار الغرب في هذا العصر ، لرأينا من حلّ مشكلات الابدال واستبطان أسرار لغتنا العربية ما هو مقطع الصواب » .

ويقول في موضع آخر (مقدمة الابدال) :

« ثم ماذا كان علينا لو اتفقنا بأبحاث علماء التجويد الحديث Phonologie من الغربيين ، بعد أن نضجت على نار الاختبار مباحثهم الصوتية ... ... إن أساتذة اللغة المحدثين الذين كتب لهم الاطلاع على المباحث الصوتية الحديثة ودرسوا علم الأصوات اللغوية وتطور الأصوات في اللهجات العربية القديمة والحديثة ثم تابعوا سير الدراسات اللغوية في ديار الغرب وتطوّر أصوات الصبيان في مراحل النموّ أو درسوا علم أمراض الكلام ، وأبحاث آفات اللثغات وأسباب حدوثها وطرق معالجتها هم لعمري أصدق نظـــراً في أحوال الابدال وأصح أحكاماً على نظائره وأقوى على حلّ مشاكله

واستبطان دخائله ممّن لم يطّلع على غير فن التجويد أو بحث الفصاحة من كتب البلاغة أو آراء ابن جني وأتباعه وغيرهما .... »

ويقول في مقدمة كتاب آخر (مقدمة الإتباع) :

« ولقد آن لنا أن ندرس لغتنا العامية دراسة علمية .. »

كما يقول في مقدمة (الايضاح) :

« إن البلاغة العربية التي تشتمل على هذه الفنون الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) إنما تبحث عن الجملة والصورة وهما شطر من الأسلوب الذي أغفلته بلاغتنا . والأسلوب لا تخلد الكتابة ولغة الأمة إلاّ به ، ولم تَبْحث معه عن الفكرة والعاطفة والخيال وعن قواها وأنواعها ، ولئن كانت الجملة والصورة قوام جسم البلاغة فالفكرة والعاطفة والخيال روح ذلك الجسم السويّ الجميل ، والتعبير المستوفي لشرائط الحسن إذا ما خلا من روحه أشبهَ التمثالَ الذي استوفى نحّاته شرائطَ الإتقان ولكنه ظلّ مع ذلك جامداً بارداً لفقده الروح والحياة .

ثم إن لهذه الفنون أو الفصول الثلاثة من البلاغة أنواعاً أدبية أخرى Les genres littéraires لها بها اتصال وثيق ، وبمجملها يتم بيان الإنسان كالوصف والخطابة والقصة والرسالة والبحث والمناظرة ، فلها بلاغات فنية خاصة ، وعسى أن نوفق يوماً لإتمام البحث عنها في رسائل أو كتب مستقلة تدل طالب البلاغة الإنسانية على أصولها وأساليبها وشرائط الإتقـــان والإحسان فيها . »

والتنوخي في كتابه (إحياء العروض) يشير الى النزعات الاتقادية في العروض وغلبة سلطان التقليد وتحكّمه في أصحاب هذا العلم ، وينعى عليهم موادعتهم له ورضاهم به ، كما يجاهر بإنكاره على الجامدين جمودهم ويقول :

« والعلماء الاتباعيون لا يعدون ما تستحدثه الحاجة من فروع العلم علماً ، ولذلك لا يعتبرون ما استحدثه الأندلسيون من الموشّحات شعراً ، على أنها أرق فنون الشعر العربي ، ومن أقوى الدلائل على حيويته وخلوده بتطوره ؛ وأمتنا العربية اليوم في حاجة حاقّة إلى هذه الأوزان الموسيقية ... »

هذه النية الحسنة في التماس الإصلاح ، وهذه الدعوة الصريحة إليه هل وَلِيَتْها عند التنوخي جرأة على العمل تعدل الجرأة على القول ، هل حاول التنوخي أن يلج باب الاجتهاد والتجديد في فقه الدين والدنيا كما دعا أكثر من مرة ؟

الحق أنه حاول التجديد والإصلاح ، وحاوله صادقاً ، ولكن البيئة والنشأة والتربية كبحت جماحه وكبّلت يده وحبَست قدمه ، فلم يقوَ على السير إلى غاية الأمد وقنع ببلوغ القليل مما كان يدعو إليه . فهو في تجديده العروض مثلاً لا يزيد على تغيير ترتيب بحور الشعر ، فيبدأ العروض بالمتدارك والمتقارب ثم الهزج والوافر .. وهكذا دواليك حتى ينتهي بالمنسرح ؛ وهو يثبت دوائر البحور ولكنه يذكر أقوال من نقدها . وقد يورد في الحين بعد الحين (ألحوظات) و (نظرات) ترجّح رأي ابن الحاجب أو الزجّاج أو الزمخشري على آراء اخرين من أقرانهم ، أو يجلو قرابة الخفيف والمديد إلى الرمل ، أو المجتث إلى البسيط ، أو المضارع إلى المتقارب . وقد يستشهد بما اختاره من شعر المحدثين ولكنه لايمضي في الشوط إلى أبعد من ذلك ، فلا يحاول مثلاً وضع علم جديد للعروض لا يقوم على أسس الخليل ولكن على أسس من الدراسات الموسيقية والصوتية التي تيسرت لنا اليوم ، ولا يدلي برأيه في هذا التحلل من الوزن الذي عاذ به الناشئون من شعرائنا ، ولا يصرفهم عن هذا الذي يسمى (بالشعر الحرّ) بوضع ما يرضيهم من قواعد طريفة مستحدثة سليمة مقبولة .

ويحاول التنوخي التجديد في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) فيقنع بأن يقلب ترتيبها المأثور المألوف فيقدّم علم البديع ثم يثنّي بالبيان ويختم بالمعاني ، ويضيف إلى شواهد (الايضاح) تمرينات اختارها مما حفظ أو مما نظم ؛ أما إنجاز ما وعد به من التأليف في (البلاغات الفنية) وأساليب إتقانها فلم يقيّض له الوفاء به .

والتنوخي يدعو إلى دراسة اللغة العامية دراسة علمية ، وهي دعوة جريئة لايزال الكثيرون يُصمّون آذانهم دونها ، ويرمون دعاتها بخبث النية وسوء الطوية ، كما يدعو التنوخي إلى الانتفاع بما جاء به علماء الصوت ومقارنة الألسن لتجديد البحث في العربية ، ولكنه في هذا المجال لاينطلق بعيداً ، ولا يزيد على شرح بعض الفصاح بما يقابلها من العامية ، أو مضارعة الألفاظ الدارجة بالألفاظ الصحيحة ، ثم يقف عند هذا لايعدوه .

والحق أن التنوخي كان فيما يدعو إليه من التجديد حذراً متأنياً ، وكان فيما يأخذ به منه أكثر حذراً وحيطة ، لم يكن يصدر في هذا الحذر والحيطة عن مصانعة أو مداجاة ، وإنما كان يخشى استبهام المحجّة وخفاء نهاية المطاف . ولَخَيْرٌ ألف مرة أن نسير الهوينى ولكن على بصيرة ويقين من أن نلقي بأنفسنا في مجاهل لانعرف صيّورنا فيها .

★ ★ ★

إلى جانب التنوخي المجدّد يمكن أن تقال كلمة في التنوخي الشاعر .

وقد أدرك أبناء جيلنا أبا قيس يعلو المنابر ويلقي الشعر بصوته الجهوري الرفيع ، وقرأ الكثيرون شيئاً من النظم الذي كان يطالع به الناس بين الحين والحين . ولكني لا أعلم أن شعره جمع في ديوان برأسه . وقد يجد المتتبّع لآثار فقيدنا في الصحف والمجلات والكتب شعره على ضربين : مقطعات

وقصائد ، أما القطعات القصيرة فتمتاز بسلاسة أسلوبها وجمال نكتتها وخفتها على اللسان وعلوقها بالحفظ ، فمن ذلك قوله وقد نقل مقر عمله إلى دمشق من السويداء بعد أن ضاق ذرعاً بمقامه فيها :

الحمد لله الذي أنقذني ولم أصب
وردني لبلدتي (وسلتي بلا عنب)

ومثال ذلك ما كان يكتبه أو ينشده لإخوانه أو يرتجله لمناسبة عرضت أو نكتة حضرت . وكثيراً ما كان ينثر بعض القطعات في كتبه ولا سيما في أجزاء تهذيب (الايضاح) و (إحياء العروض) ، فهو يؤلف مقطعة لكل من ضروب الوجوه البديعية والبيانية والأعاريض والأضرب الشعرية .

وإلى جانب هذه القطعات القصيرة قصائد يحرص التنوخي فيها على قوة الحوك وشدة السبك ومتانة الأسر وسمو الغرض . ومثال هذه القصائد ما قاله إبان الثورة السورية عام ١٩٢٥ وقد قذف المستعمر المدن والقرى بقنابله المحرقة الفاتكة وقتل الرجال وسبى النساء ومثل بالأطفال :

قف في المنازل نادباً أطلالها ماذا يفيدك أن تطيل سؤالها
قد أحرقت عمداً دمشق فلم تدع تصف الجميلة للورى وجمالها
النار تمطرها العشية وابلاً والعلج ويل العلج جاس خلالها
يا رب آمنة هناك يسربها تغدو لتصلح دارها وعيالها
برزت تصيح وشعرها متفرق سترت به حذر العيون جمالها
وهناك نائحة تنوح لبعلها الـ ـثاوي وتندب بعده أطفالها
الله للأطفال كيف غدت لقى صرعى القنابر بعثرت أوصالها
تشجيك أيدي صبية بترت وأر جلها تئن يمينها وشمالها

• • •

والتنوخي قصائد وطنية واجتماعية كثيرة كقصيدته التي قالها في الجامع الأموي بدمشق عام ١٩٤٥ يستنهض الهمم لجهاد الغاصب والمحتل ، أو قصيدته في العيد الألفي المتنبي . على أن من أجمل شعره ما كان ينشده في الإشادة بالدروز بني عمه ، ومن ذلك قوله :

سل الوغى عن تنوخ فهي تعرفهم   من كل أروع في الهيجاء مشهود
تسلسل الملك فيهم قبل ذي يزن   إلى المناذرة الغرّ الأماجيد
أهل السدير وأصحاب الخورنق والـ   ـخيل السوابق والمهرية القود
أبناؤهم في ذرى لبنان تملكهم   صبابة بالعلى لا الخرّد الغيد
ولم تزل بحمى الفيحاء هابطة   بقية السيف منهم والصناديد
عصابة لو رأى حسان طلعتهم   لقال قول امرئ بالحق معهود
هذي وجوههم هذي أنوفهم   البيض والشم ما شيء بمفقود

★ ★ ★

جانب آخر من جوانب حياة التنوخي الخصبة : التنوخي اللغوي .

وقد يعفّي الزمن على تصانيف فقيدنا في الأدب والشعر والنقد ، وقد تتنكر الأجيال القادمة لصنيعه في مضامير البلاغة والحديث والعلوم ، ولكن ستنقضي أعوام وأعوام قبل أن تُنسى آثار التنوخي في ميدان اللغة .

لقد أحب علاّمتنا لغته وافتتن بها وسعى في إحيائها منذ صباه إلى يوم لقي وجه ربه ، حافظ على تراثنا اللغوي وحقق منه ما استطاع وعلق عليه ونشره نشراً علمياً ، ودعا إلى التآزر في بعثه وحثّ على التكاتف في الإفادة منه ، ثم حاول جاهداً أن يحبّب العربية إلى الناشئة فعمل على تقريبها إلى أفهامهم وتيسيرها على أقلامهم وترويض ألسنتهم بها ، وحضّ على اصطناعها في الدار

والمدرسة في الجامع والمجتمع في الجد واللهو في السرّاء والضرّاء ، وكان القدوة الصالحة لهم في هذا كله .

وقد أعانه على ذلك حافظة واعية وذوق مرهف واطلاع واسع وصبر على الدرس لم يؤتَهُ غيره ، وقد راعني عندما كنتُ في الظاهرية أن التنوخي أشار بخط يده على المخطوطات التي قرأ فوجدتُها تجاوز المئين عدداً وأكثرها عسير القراءة عدا الزمان على ورقه وخطه وحمّل قارئه عناءً وعنتاً لا يحتمله إلا أولو العزم من عشاق العربية المخلصين لها ولأبنائها .

وقد وضع التنوخي لأبناء هذا العصر الكثير من المصطلحات الجديدة شاع بعضها وذاع ، والتزمه الناس في دنيا العروبة كلها قاصيها ودانيها .

نظر يوماً في الدرّاجة وأحصى أسماء أجزائها بالفرنسية ثم وضع لكل من هذه الأجزاء كلمة عربية سائغة ونشرها في مجلة دمشقية وعاش بعض هذه المصطلحات وتناقلها الناس ونسوا من وضعها لهم .

وقبل ذلك عندما كان في العراق وترجم كتاب (فرنان ماير) عرّب كلمة Physique بـ (فيزياء) كما صنع أسلافنا عندما وضعوا كلمة (كيمياء) على وزن سيمياء ، وهي - كما يقول التنوخي - أدق علمياً من كلمة (الطبيعة) التي تشمل علوم الأرض والسماء ، وأخص من (الحكمة) أو (الفلسفة الطبيعيـــة) . وقد انتشرت كلمة (الفيزياء) على ألسنة الناطقين بالضاد في المشرق والمغرب .

وقد شارك أبو قيس في لجنة كان على رأسها الأستاذ المرحوم الأمير مصطفى الشهابي كلفت ترجمة المصطلحات العسكرية بمصطلحات عربية سائغة ، فقامت اللجنة خير قيام بما وكل إليها ، وأخرجت للناس معجمين اثنين قيّمين تستأنس بهما اليوم جميع الجيوش العربية وترضى أكثر ما وضعـــه التنوخي وصحبه من مصطلحات .

وقد وضع المجمع ـ والتنوخي من أوائل أعضائه ـ في مطلع تأسيسه مصطلحات كثيرات فصيحات عرفناها وألفناها اليوم، ولولا التنوخي ورفاقه لكانت ألسنتنا ترطُن ـ في أغلب الظن ـ بما جرى على ألسنة آبائنا منها كالجرنال والكزيطة والدركنار واستاتيستيق ورابور وبول وقوجان وماصه وقاصه وقومسيون ودوسيه وغيرها وغيرها .

كان التنوخي رحمه الله يحرص على ألا تستبدل العربية الخبيث الأعجمي بالطيب من كلمها أو صيغها، وقد كرر الدعوة في آخر مقالة كتبها قبيل وفاته إلى تغليب (تلفاز) على (تلفزيون) إذ أن إقحام أمثال هذه الكلمة بصيغتها الأعجمية سيضعف شأن اللغة ويُدْخل الضيم على شخصيتها وعبقريتها وسيمحو خصائصها التي انفردت بها ورُكِّبَت عليها .

وقد وضع التنوخي ألفاظاً كثيرة رشيقة البنية محببة التركيب خفيفة على اللسان ، ولكن لم يتح لكلها الذيوع ، فقد اقترح مثلاً (المكيني) لما نعبر عنه اليوم بـ (الميكانيكي) فلم تشع وإن كنا نحار اليوم في التعبير عن معناها ، ووضع كلمة (الأصولي) ترجمة لـ (كلاسيكي) و (مكفئل) لـ (بانسيون) ومصطلحات أخرى كثيرة .

ولم يقنع التنوخي باللفظ الفصيح الصحيح يستعمله ويدعو إليه ، وإنما كان ينشر أيضاً الأسلوب الأصيل القويم ، ويدل على ما تسرَّب إلى آثار كتاب عصره من تراكيب قد تكون مفرداتها ـ متفرقةً ـ سليمة قوية ، ولكنها في مجموعها وتأليفها ضعيفة سقيمة ، كقولهم : رحنا صباحاً .. وفصيحها غدونا صباحاً ، أو : فمابه الأستاذ على كسله ، وصحيحها : فعاب الأستاذ كسله ... والتنوخي في هذا يجاوز دائرة العالم اللغوي إلى حيِّز البياني البلاغي فيقول مع صاحب (المثل السائر) : إن أسرار الفصاحة

لا تؤخذ من علماء العربية ، وإنما تؤخذ منهم مسئلة نحوية أو تصريفية أو نقل كلمة لغوية وما هو من هذا المجرى ، أما أسرار الفصاحة والعلم بالموسيقى اللغوي فلها قوم مخصوصون بها .

وبعد فمراد القول في التنوخي رحب فسيح ، ولكن صبركم على حديثي لن يتسع لأكثر مما قدّمت ، فلأجتزئ به ولأتوجه في الختام بالحمد أصدقه وأصفاه ، والشكر أوفره وأوفاه ، إليكم وإلى الزميل الكريم الدكتور عدنان الخطيب فقد أسبغ عليّ من الثناء حلة زاهرة لا تليق إلا بفضله ، وفوّفها بألوان زاهية أخذها من كريم نبله ، ولعلّني أبلغ في مقبل الأيام بعض ما شام فيّ من كفاية وما توسم من اجتهاد .

« ربِّ هبْ لي حكماً وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين . »

والسلام عليكم ورحمة الله .

٢٤/٤/٦٩ عبد الهادي هاشم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

جديرة بالدراسة

(مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر مواد المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تدوينها)

– ٤ –

ع ز ب عَزَبَ : غابَ ، وأعزبَ : بَعُدَ ، وعَزَّبَ بماشيته : بَعُدَ بها يتتبَّع مساقطَ الغيث . العازبُ من الكلأ : البعيدُ المَطْلب وأرضٌ عَزُوبة : بجْراء قليلة الكلأ .

ع س ب العَسْبُ : ماءُ الفَحْل .

العَسْقَبَةُ : جمودُ العيْن في وقت البكاء .

عَسْنَبَتْ الماءَ : ثوَّرَتْه .

ع ش ب العُشْبُ : الكلأُ الرَّطْبُ .

وعَشِبَ الخبْزُ : يَبِسَ .

ع ص ب العَصْبُ : شدُّ فَخِذَي النَّاقة لِتَدِرَّ اللبنَ كالعِصاب ، وناقةٌ عَصُوب : لاتَدِرُّ إلاّ بالعَصْب .

والعَصْبُ : جفافُ الرِّيق ، وعَصَبَ الماءَ : لَزِمَه .

والمَعْصُوب : الجائع الذي كادت أمعاؤُه تَيْبَسُ جوعاً .

ع ط ب العَوْطَبُ : لُجَّةُ البحر ، أو أعمق موضع فيه ، أو المطمئن بين الموجتين .

ع ظ ب عَظَبَ الجلد إذا يَبِسَ .

ع ق ب العُقَبُ : نُوَبُ الوارِدَة ، ترد قِطعةٌ فتشربُ فاذا وردت قطعةٌ بعدها فشربت فذلك عُقْبَتُها ، والعواقبُ الإبلُ تشرب الماءَ ثم تعود إلى المَعْطِن ثم إلى الماء .

وأعْقَبَ مستعيرُ القِدْر : ردَّها وفيها العُقْبَةُ ، وهي مَرَقَةٌ ترد في القِدْر .

المِعْقاب : مسيلُ الماء إلى الحوض ، والحَجَرُ يقوم عليه السَّاقي ، وحَجَرٌ ناتِئٌ في جوف البئر ، والرجُلُ الذي ينزل في البئر فيرفعُها يسمى المُعَقِّب .

التعاقُب الوِرْدُ مرَّةً بعد مرَّة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ع ك ب عَكَبَتِ القِــدْرُ : ثار عُكابُها . والعُكابُ : البُخار وشدَّةُ الغَلَيان .

ع ل ب عَلِبَ النباتُ : جَسَأَ (أي صَلُبَ) . واستعْلَبَتِ الماشيةُ البَقْلَ : أجمَتْه واستغلظَتْه إذا ذَوَى .

عَلِبَ : غَلُظ وصَلُب ولم يكن رَخْصاً . والمكان العِلْبُ : الغليظ من الأرض الذي لو مُطِر دهراً لم يُنبِتْ خضراء .

والعَلَبُ : الصَّلابةُ والشدَّةُ والجُسُوء .

العُلْبَةُ : مِحْلَبٌ من جلد أو خشب يحلبُ فيه ؛ أو هي جِلدةٌ تؤخَذُ من جَنْب جِلْد البعير إذا سُلِخَ ، يُعلِّقها الرَّاعي أو الرَّاكب فيَحْلُبُ فيها أو يَشْرَب بها .

عِلْبِيَةُ : مَوْبَةٌ في بلاد أسد .

ع ن ب العُنْبَبُ : كَثْرَةُ الماء ، ومن السَّيْل : مُقَدَّمُه .

العُنَابة : ماء في ديار بني كلاب .

عَنْكَبُ : ماء بأَجإٍ لبني فَرير بن عُنَيْن .

ع ي ب عَابَ السِّقَاءُ : خَثُرَ ما فيه من اللَّبَن . والعائِبُ : الخاثِر .

غ ب ب غَبَّ : شرب غِبّاً كالغَبُوب . والغِبُّ : وِرْدُ يوم وظِمْءُ آخر .

الغُبُّ : الضاربُ من البحر حتى يُمْعِنَ في الأرض .

الغَبِيبةُ : الرائبُ من اللَّبن .

المُغَبَّبَةُ : الشاةُ تُحلَب يوماً وتُترك يوماً .

ومياهٌ أغبابٌ : بعيدةٌ . يقال ماءٌ غِبٌّ أي بعيد ، ومنه قولُهُم : غِبَّ السلام .

الغَبيبُ : المسيلُ الصغيرُ الضيِّق .

غَبْغَبَ الماءَ إذا جرعه جرعاً شديداً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غ ر ب الغَرْبُ : الراوية التي يحمل عليها الماء ، والدَّلْو العظيمة ، ومَسيل الدَّمع ، وكثرة الرِّيق ، وبوم السَّقْي ، وأعلى الماء أو هو الماء نفسه الذي يقطر من الدَّلو بين البئر والحوض ، وغوارِبُ الماء أعاليه أو أعالي موجه .

أَغْرَبَ الحوض والإناءَ : ملأهما .

غُرَّبٌ : اسم جبل أو اسم ماء عنده ، وكذلك غُرَّبة .

غ س ب غَسْنَبَ الماء : نَوَّرَه وهيَّجه .

غ ض ب مكانٌ غَضْرَبٌ وغُضارِب : خَصْبٌ ، كثيرُ النَّبْت والماء .

غ ي ب الغَيابة في الأصل : قعر البئر ، ثم نُقِلت لكلِّ غامضٍ خفيٍّ .

ق أ ب قَأَب الماءَ : شَرِبَه ، أو أكثر من شُرْبه أو تَمَلَّأَ منـه .
ورجلٌ قَؤُوب : كثيرُ الشُّرْب .
إناء قَوْأَبٌ : كثير الأخذ للماء .

ق ب ب قَبَّ النَّبْتُ يَبِس . وقَبَّت الرُّطَبَـةُ : جفَّت .
القابَّةُ :القَطْرة من المَطر .

ق ر ب قَرِبَ وقَرَّبَ وأقْرَبَ : سار إلى الماء أو كان بينه وبين الماء ليلة . والقَرَبُ : طلبُ الماءِ ليلاً ، أو أن لايكون بينك وبين الماء إلاّ ليلةٌ ، أو هو اللّيلة التي تَرِدُ في صبيحتها الماء .
القارب : طالب الماء ليلا ، أو طالب الماء . والحمارُ القاربُ الذي يَقْرَبُ القَرَبَ ، أي : يُعَجِّلُ ليلةَ الوُرُود ، ومنـه السَّفينةُ الصغيرة .
قَرَبَ : طَلَبَ ، والأصل فيه طلب الماء ، ثم اتُّسِعَ فيه ، فقيل فيه : فلانٌ يَقْرُب حاجتَه ، أي يطلبها . والقُرْبانُ : مايُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى ، أي يطلبون القُرْبَ منه بها .
القَرَبُ : البِئْرُ القَريبةُ الماء .
القِرابُ : الدَّلو قارب أن يَمتلِئَ ؛ وإناء قَـرْبان : قارب الامتلاء .
وأقْرَبْتُ القَدَحَ : إذا قاربَ أن يَمتلِئَ .
القَوْرَبُ : الماء لايُطاقُ كثرةً . وظهرتْ تَقَرُّباتُ الماء ، أي : تباشيرُه .
قُرْبَى : ماء قُرْبَ تَبالَةَ .

(يتبع) عدنان الخطيب

❋❋❋

الرُّباعِيّات والمَثْنَيات

قرأت في الجزء الرابع من المجلد الثالث والأربعين من هذه المجلة البارعة رأياً للأستاذ الدكتور المحقق عمر موسى باشا عنوانه « الرباعيات أو الدوبيتات » استدرك به على الأستاذ الدكتور المحقق علي جواد الطاهري في هذا الفنّ من فنون النظم وتسميته ، وقد رأيت فيـــه بعض النقصان في البحث فوددت إتمامه :

إن « دوبيت » اسم مركب من كلمتين فارسية هي « دو » بمعنى اثنين ، و « بيت » العربية ، لمعناه « بيتان » فتسمية الدوبيت « الرباعيّة » أو « الرباعيّ » وإن كانت شائعة متداولة ، مخالفة للمعنى الأصلي الفارسيّ وموافقة للاصطلاح الذي شاع في دنيا العرب الأدبية ، لأنها استندت إلى « الأشطر الأربعة » لا إلى البيتين ، ولا مُشاحّة في الاصطلاح .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والظاهر لي أن الرباعيّة لم تكن تسمّى دائماً في فنون العرب النظمية هذه التسمية بل كانت تسمّى أيضاً « المَثْناة » وتجمع على « المَثْنَيات » وهي التسمية الأصلية الحقيقية ، قال الجوهري في ث ن ى من الصحـــاح : « وفي الحديث : من أشراط الساعة أن توضع الأخيار ، وتُرفع الأشرار وأن تُقرأ المثناة على رؤوس الناس فلا تُغيَّر . يُقال هي التي تُسمّى بالفارسية (دوبيتي) وهو الغناء . قال (١) أبو عبيد يذهب في تأويله إلى غير هذا » . وورد في مختار الصحاح قول مؤلفه : « قلت : ذكر في التهذيب أن الحديث

(١) هكذا ورد الفعل في طبعة بلاد العجم وهو تصحيف « كان » بدلالة ما ورد في طبعة أخرى ومختار الصحاح .

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنها ـ وفسّره لما سُئل عنه بما استُكتب من غير كتاب الله تعالى ، وقال أبو عبيدة : قيل إن الأحبار والرهبان بعد موسى ـ عليه السلام ـ وضعُوا كتاباً فيما بينهم على ما أرادُوا من غير كتاب الله تعالى فهو المثناة (١) ، فكأن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ كره الأخذ عن أهل الكتاب ولم يُرد به النهي عن حديث رسول الله ـ ﷺ ـ وسنته ، وكيف ينهى عن ذلك وهو من أكثر أصحابه حديثاً عنه » ؟ ! وجاء في الفائق للزمخشري « ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنها ـ من أشراط الساعة أن توضع الأخيار وترفع الأشرار وأن تقرأ (المثناة) (١) على رؤوس الناس لا تغيّر . قيل : وما المثناة ؟ قال : ما استُكتب من غير كتاب الله . قيل : هو كتاب وضعه أحبار بني إسرائيل بعد موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام على ما أرادوا من غير كتاب الله الذي أنزل عليهم أحلّوا فيه ما شاؤوا وحرّموا ما شاؤوا على خلاف الكتاب وقد وقعت إلى ابن عمر كتب يوم اليرموك فقال ذلك لمعرفته بما فيها (٢) » . وذكر المبارك بن الأثير مثل ما ذكر الزمخشريّ وذلك في النهاية وأضاف إليه ما أثر الجوهري في الصحاح من كون « المثناة » الدوبيتي وهو الغناء .

والذي يهمّنا من هذه الأخبار في هذا البحث حالَ الاهتمام هو أن « المثناة » الدالة على الاثنين تُقابل « الدوبيتي » أي البيتين ، وأنها كانت تُغنّى

---

(١) الصحيح أنها « المشنة أو المشنا » بالعين المهملة وأشهرها « مشنة يهودا بن شمعون الثاني أو الناسي « ١٣٥ ـ ٢٢٠ م » وهي جمهرة تفاسير التوراة في الزراعة والأعياد والزواج والطلاق والجنايات والمعاملات والعقوبات والمقدسات وغيرها من رحلة بنيامين (ص ٧٣) وغيرها . وهي الآن تقرأ على رؤوس الناس بقيام دولة إسرائيل كما جاء في الحديث ، فهل ظهرت أشراط الساعة ؟

(٢) الفائق « ١ : ١٥٩ طبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٦٤ = ١٩٤٥ » .

ولشيوع الغناء بها سمّيت «غناءاً»، أما حقيقة الاسم اللغوية فلا تفيد الغناء البتّة، و «الدوبيتي» تصحّف في لغة العامة إلى «الذوبيت» بالذال المعجمة، قال المحبي: «وقد اشتهر باعجام داله وهو تصحيف وهو ثلاثة أقسام يكون بأربع قواف كالمواليات وأعرج بثلاث قواف ومردوف بأربع أيضاً وكله على وزن واحد[1]. والدوبيتي أو الدوبيت أو الذوبيت القديم لا يزال يُغنّى عند عوام العراق الجنوبيين، وقد اعتراه القلب المكاني بعد التصحيف، فصار الذّوبيت إلى «البُوذيت» ثم صار «البوذيّة» بتشديد الياء ومنهم من يسميه «الأبوذيّة»، وقد حارت الظنون واختلفت في أصلها، وهو ما اهتديتُ إليه، ولا يصح الالتفات إلى غير هذه الحقيقة، من مختلقات الأوهام، و «البوذيّة» من وزن الوافر «مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعولُ» ولحنُها مُحزن يشبه البكاء، ويحتوي على النُّدبة أو النسيب أو آلام النوى والفراق، وما أشبه ذلك، وأقبح الأمور عندنا التغنّي بها في الأفراح.

وقد اخترع الفرس دوبيتاً جديداً على وزن «لا حولَ ولا قوّةَ الا بالله» ومن أربعة مصاريع أيضاً، وهو الدوبيت الذي شاع في أوائل القرن السادس للهجرة أو أواخر القرن الخامس في دنيا العرب الأدبيّة، وذكره المرجوّة له الرحمة الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعيّ في كتابه في تاريخ أدب العرب[2]، وبعد أن فسر اسمه المركب قال: «وقد أخذه أدباء العرب عن الفرس ويعرف عندهم بالرباعي واختصّ بالاجادة فيه بعض شعرائهم كعمر الخيام ... ولا نعرف أول من استعمل هذا النوع في العربيّة ولكن نشأته كانت في بغداد ... ونحن نُرجّح أنّ هذا النوع لم يكن في

(١) خلاصة الأثر «٢ : ٢٥١ طبعة القسطنطينية سنة ١٢٩١».
(٢) تاريخ آداب العرب «٣ : ١٧٢ طبعة مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٥٩ = ١٩٤٠».

العربيّة قبل القرن السابع لأننا لم نجده في شعر أحـــد قبل ذلك الزمن ولا وجدنا إشارة إليه ، ولم نجد للشعراء ولعاً به إلا في أواخر تلك المائة وما بعدها ، والرباعي يُعد من المخترعات الحديثة في اللغة الفارسيّة لأن أول من وضعه أبو سعيد بن الخير المتوفّى سنة ٤٦٥ وبعضهم يقول إنه كان موجوداً قبل ذلك ولا يرجع اختراعه إلى تاريخ معيَّن ، غير أن ممَّن عرفوا بنظمه أبا جعفر رودكي [١] الشاعر المتوفى سنة ٣٠٢ حتى افتنّ فيه الخيام وأجاده فاشتهر بما نظمه فيه شهرة بعيدة لأنه ضمّنه أفكاراً سامية وانتقادات مرّة ثم أقبل الأدباء عليه من بعده ، وبعد نقط ثلاث جاء قول الرافعي : « وقد عارضها في العربية سديد الدين الأنباري ، كما ذكر صاحب خلاصة الأثر (٤ : ٣٩٠) ولم يقع لنا شيء من رباعيّاته . وللدوبيت وزن واحد وهو فَعْلُنْ (بسكون العين) مُتَفاعِلُنْ (وتارة يغيّر إلى متفاعيلن) فعولُنْ فَعِلُنْ (بتحريك العين وسكونها) وأمثلته [٢] كثيرة » .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) الصحيح « الرودكي » بالتعريف والذال المعجمة المفتوحة بعد الراء المضمومة والواو الساكنة قال السمعاني في الأنساب : « الروذكي ... هذه النسبة إلى روذك ناحية بسمرقند وبها قرية يقال لها سج (؟) وهذه القرية قطب روذك وهي على فرسخين من سمرقند ، والمشهور منها الشاعر المليح القول بالفارسية السائر ديوانه في بلاد العجم أبو عبد الله جعفر بن محمد بن حكيم بن عبد الرحمن بن آدم الروذكي الشاعر السمرقندي كان حسن الشعر متين القول . قيل أول من قال الشعر بالفارسية هو ، قال أبو سعد الادريسي الحافظ : إبو عبد الله الروذكي كان مقدماً في الشعر بالفارسية في زمانه على أقرانه ... وكان أبو الفضل البلعمي وزير إسماعيل بن أحمد والي خراسان يقول : ليس للروذكي في العرب والعجم نظير . ومات بروذك سنة ٣٢٩ » . قلت لا شك في أن أبا الفضل البلعمي كان شعوبياً فقال ما قال .

(٢) قوله « وأمثلته كثيرة » متناقض الكلمتين لأن « أمثلة » جمع قلة و « كثيرة » تدل على الكثرة فالصواب « ومُثُلُه كثيرة » .

وقد ظهر للقارئ الكريم أن في تاريخ وفاة الروذكي الذي ذكره الرافعي أو ذكره مَن بعده غلطاً في السنين ، أما المُعارض العربي للرباعيات الفارسيّة فهو « سديد الدولة » لا سديد الدين ، كما جاء في خلاصة الأثر ونقله الرافعيّ ، قال الذهبي : « محمد بن عبد الكريم بن ابراهيم بن عبد الكريم ابن رفاعة الشيباني سديد الدولة ابن الأنباري ، كاتب الانشاء بالديوان العزيز ، له معرفة بالأدب والشعر والترسل ، بقي بديوان الانشاء نحو خمسين سنة وناب في الوزارة ، ونُفّذ رسولاً إلى الشأم وخراسان وكان محموداً ذا رأي وتدبير ، وكانت بينه وبين أبي محمد القاسم بن علي الحريري رسائل وقد دُوّنت . سمع عبد الله بن أحمد ابن السمرقندي وهبة الله بن الحُصين وروى عن أحمد بن محمد الخياط وأبي عبد الله محمد بن نصر القيسراني من شعرهما . سمع منه أحمد بن صالح بن شافع وعلي بن أحمد الزيدي والمبارك ابن عبد الله بن النقور وعبد المحسن بن خطلخ الأميري . توفي سنة ثمان وخمسين وخمس مئة وشيعه الوزير والأكابر . عاش نيّفاً وثمانين سنة (١) » .

وقال ابن الدبيثي مؤلف أصل المختصر : « وذكر صدقة بن الحسين الناسخ في تاريخه أن سديد الدولة ابن الأنباري توفي ما بين الظهر والعصر من يوم الاثنين تاسع عشر رجب سنة ثمان وخمسين وخمس مئة وصُلّي عليه يوم الثلاثاء بجامع القصر الشريف وحضر الصلاة عليه الوزير يحيى بن هبيرة [الحنبلي] وأرباب المناصب ودُفن بالجانب الغربي بالمشهد — يعني مشهد الإمام موسى [بن جعفر الصادق] — رحمة الله عليه — وكان من مشايخ الدولة القدماء ، وكان سنّه دون التسعين بسنة أو سنتين ، وكان فيه فضل وأدب .

(١) المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله ابن الدبيثي « ١ : ٧٣ ، ٧٤ » ، طبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧١ = ١٩٥١ .

وقال غيره : مولده يوم الاثنين سادس ذي القعدة سنة سبعين وأربعمائة ـ رحمه الله وإيانا ـ [١] » .

وكنتُ قلتُ في التعليق على ترجمته في «المختصر المحتاج إليه » ما هذا نصه «ترجمه العماد في الخريدة (نسخة باريس ، الورقة ٧) وابن الجوزي في المنتظم ١٠ : ٢٠٦ وابن الأثير في حوادث سنة ٥٥٨ وغيرها لأنه كان من كبار رجال الدولة العباسية وقضى عمره في خدمتها مخلصاً ، وله ذكر كثير في التواريخ والظاهر أن القبور التي كانت في الكاظمية المعروفة بقبور الأنباريين كانت له ولأبنائه على ما نصت عليه التواريخ من موضع دفنهم » [٢] . ثم نشر الجزء الثالث من «الوافي بالوفيات » للصفدي سنة ١٩٥٣ بدمشق وفيه ترجمته «ص ٢٧٩ » وفي سنة ١٣٧٥ = ١٩٥٥ نشر المجمع العلمي العراقي الجزء الأول من خريدة القصر للعماد الاصبهاني الكاتب بتحقيق الأستاذ الكبير محمد بهجة الأثري ، وفيه ترجمته «ص ١٤٠ — ١٤٤ » قال العماد : «وترددت إليه ببغداد وما كان يتعاطى الشعر تغانياً عنه وكنت أهابه وأكبره من أن أستنشده ، لكنني أثبتُ من شعره البيتين والثلاثة على حسب ما أُنشدتُها فمن ذلك رباعياته الخالية للخلب ، السالبة للب فمنها [٣] :

يا قلبُ إلام لا يُفيد النصحُ   دع مزحك كم هوًى جناه المزحُ !
ما جارحة منك خلاها جرحُ   ما تشعر بالخمار حتى تصحو

---

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ٧٤ والورقة ٧٥ » .

(٢) المختصر المحتاج إليه « ١ : ٧٣ » .

(٣) ذكر هذا الرباعي أو هذه الرباعية الصفدي في الوافي بالوفيات « ٣ : ٢٧٩ ، ٢٨٠ » .

ومنها :

الدهر يعوقني عن الإلمام ... مع ما (١) بي إلى التصابي ظامِ
لا تأخذني بما جنت أيامي ... ما ذنب السهم حين يخطي الرامي؟!

ومنها :

يا ريح تحملي من المهجور ... شكواه إلى المعسكر المنصورِ
قولي لمعذّبي شبيه الحُورِ ... ما أنت عن الجواب بالمعذور

ثم ذكر له من رباعياته :

الآن وما روّضه العُمر ندي ... لا تخلِ من الكؤوس والراح يدي
في باقي العمر فُزْ بعيشٍ رغدِ ... إنّ الدنيا إذا مضت لم تعُدِ

فإن كانت هذه الرباعيات من نظم أيام الشباب أمكننا أن نقول إن سديد الدولة نقل وزن الدوبيت الجديد إلى أدب العرب في أواخر القرن الخامس للهجرة أو أوائل القرن السادس كما ذكرنا آنفاً .

وبقي البحث عن حقيقة الرباعيات التي ذكرها الدكتور المحقق عمر موسى باشا مأثورة في رسالة « آداب العشرة وذكر الصحبة والاخوة » لبدر الدين محمد الغزي ، ومذكورة بلسان الجنيد الصوفي الكبير الشهير أهي الدوبيتي القديم أم الدوبيت الحديث ؟ فورودها مقرونة بالطرب والوجد يدل على أنها من المثناة القديمة لا الحديثة ، قال القاضي أبو علي المحسّن بن علي التنوخي المتوفى

---

(١) يستعمل كتاب العصر بدلاً من هذا التعبير « بالرغم من كذا وكذا » وهو ترجمة حرفية للعبارة الفرنسية ... En dépit de وباب المجاز مفتوح في العربية استئناسا واقتباساً إلا أن عبارة بالرغم من كذا تأتي أحياناً مناقضة لقول الكاتب ومُراده وذلك عند استعمالها للنفي كقول بعضهم : « بالرغم من أن الأشغال لم تسمح لي فقلت كذا » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سنة ٣٧٤ : « حضرني أبو أحمد عبد الله بن عمر الحارثي وعندي صوفيّ يترنم بشيء من الرباعيّات ، فلم يستطبه أبو أحمد فقال له على البديهة : يا أخي لا أقطع حديثك إلا بخير [١] » . فالتسمية بالرباعيّة كانت شائعـــة بالعراق في القرن الرابع .

وذكر العماد الكاتب في ذلك الجزء من الخريدة ترجمة الوزير جلال الدين أبي علي الحسن بن صدقة [٢] المتوفى سنة ٥٢٢ هـ وأورد له شعراً قال : « أنشدني له محمود الكاتب المعروف بالواثّد البغدادي بالشام [٣] ، وذكر أنه رآه يكتب بخطه إلى المواقف المسترشدية هذه الأبيات ... وتنسب إليه هذه الرباعيّة :

آتيكِ غداً ولو حماكِ الأهلُ   لا أرجع عنكِ أو يتمّ الوصلُ
آتيكِ ولو سُلّ عليّ النصلُ   السيفُ أو الفِراقُ كلٌّ قتلُ » .

فان صحّ عزو الرباعية إلى الوزير جلال الدين الحسن بن صدقة تأكد شيوع الدوبيت الحديث في الأدب العربي بالقرن الخامس للهجرة ولم يبق مجال تصديق لقول الرافعي بترجيح أنه لم يكن معروفاً عند العرب قبل القرن السابع للهجرة ، وأختم بحثي بتقديمي الشكر الأوفى إلى الدكتور المحقق البارع عمر موسى باشا لاغتنامه إياي فرصـــة الكلام على الرباعيّة والدوبيت والمثناة والمترادفات .

(بغداد)   مصطفى جواد

[١] نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة « طبعة مطبعة أمين هندية بالقاهرة ١ : ٥٤ » .

[٢] خريدة القصر « ١ : ٩٤ ـ ٩٦ قسم العراق » .

[٣] في هامش نسخة المتحفة البريطانية بلندن « وكان مليح الخط توفي بدمشق سنة سبعين » أهـ. يعني « سنة سبعين وخمس مئة » . (وأرقام النسخة ١٨٥٢٤ والترجمة في الورقة ٣١ منها) .

السلطانة رضية الدين
لا
جلالة الدين

ورد في الصفحة ٨٩٤ من الجزء الرابع من المجلد الثالث والأربعين من هذه المجلّة البارعة في نقد كتاب « النساء الحاكمات في الدول الإسلامية » تأليف الدكتورة التركية بحرية أوج أوق « السلطانة جلالة الدين رضية بنت السلطان شمس الدين إيلتُتمش التي تولت الحكم سنة ٦٣٤ في دولة المماليك الأتراك في شمالي الهند » ، والذي علمناه وحفظناه أنها « رضية الدين » لا جلالة الدين ، بَلْهَ أن الاسم الثاني غاية في الغرابة ، فلم نعرف إنساناً لقب بجلالة الدين ، جاء في حوادث سنة ٦٣٥ من كتاب الحوادث « وفيها توفي شمس الدين التمش بن قطب الدين أيبك مملوك شهاب الدين محمد بن سام الغوري ملك الهند وملك بعده ولده ركن الدين فيروزشاه فلم يستقم له الأمر ، وتفرق عنه العسكر فقبضت عليه أخته وملكت بعده وأطاعها الجند والرعية وتلقبت (رضية الدنيا والدين) واستقام لها الأمر [1] » .
واستطرد الفضل بن أبي الفضائل المؤرخ في حوادث سنة ٧٢٥ هـ إلى ذكرها وذكر أسرتها قال : « ولما قتل السلطان شهاب الدين محمد بن سالم الغوري تولى بعده قطب الدين أيبك [مملوكه] مدة قليلة ، ثم تولى الملك شمس الدين ايتمش وأقام أربعين سنة وخلف جماعة أولاد فتولى الملك بعده علاء الدين

(١) كتاب الحوادث الذي سمي غلطاً الحوادث الجامعة « ص ١٠٤ » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم أخوه ركن الدين تترشاه ومن بعدها أختها (رضية خاتون) وأقامت ثلاث سنين وقد ذكر ذلك ابن الساعي في تاريخ بغداد قال : وصل الخبر إلى بغداد أن ركن الدين تترشاه بن شمس الدين ايتمش ملك الهند ولّي بعد وفاة أبيه وذلك في سنة أربع وثلاثين وستمائة للهجرة وأقام سنة فلم يستقم أمره وتفرقت عنه عساكره فقبضت عليه أخته وملكت بعده وأطاعها الجند والرعية واستقام لها الأمر وتلقبت (برضية الدنيا والدين) قال المؤرخ : وتولى بعد رضية خاتون أخوها ناصر الدين وكان متزهداً ملك أربعاً وعشرين سنة [1] ...» وفصل تاريخ الأسرة ابن بطوطة قال : « ذكر السلطان شمس الدين للمش : وضبط اسمه بفتح اللام الأولى وسكون الثانية وكسر الميم وشين معجم ، وهو أول من ولي الملك بمدينة دهلي مستقلاً ، وكان تملكه مملوكاً للأمير قطب الدين أيبك وصاحب عسكره ونائباً عنه ، فلما مات قطب الدين استبد بالملك ... وكان عادلاً صالحاً فاضلاً ... ولما توفي السلطان شمس الدين خلف من الأولاد الذكور ثلاثة وهم ركن الدين الوالي بعده ومعز الدين وناصر الدين وبنتاً تسمى (رضية) وهي شقيقة معز الدين منهم فتولى بعده ركن الدين ... ولما بويع ركن الدين بعد موت أبيه افتتح أمره بالتعدي على أخيه معز الدين فقتله وكانت رضية شقيقته ، فأنكرت ذلك عليه فأراد قتلها ، فلما كان في بعض أيام الجمع خرج ركن الدين إلى الصلاة فصعدت رضية على سطح القصر القديم المجاور للجامع الأعظم وهو يسمى دوله خانه ، ولبست ثياب المظلومين وتعرضت للناس وكلمتهم من أعلى السطح ، وقالت لهم : إن أخي قتل أخاه وهو يريد قتلي معه . وذكّرتهم أيام أبيها وفعله الخير وإحسانه إليهم ، فثاروا عند ذلك إلى السلطان ركن الدين وهو في المسجد فقبضوا عليه وأتوا به إليها فقالت لهم : القاتل يقتل .

---

(١) النهج السديد والدرّ الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد للمفضل بن أبي الفضائل ، نسخة دار الكتب الوطنية باريس ٤٥٢٥ و ٢٠٢ » .

فقتلوه قصاصاً ، وكان أخوه ناصر الدين صغيراً فاتفق الناس على تولية رضية ، ولما قتل ركن الدين اجتمعت العساكر على تولية اخته (رضية الملك) فولّوها واستقلت بالملك أربع سنين وكانت تركب بالقوس والتركش والقربان ، كما يركب الرجال ، ولا تستر وجهها ، ثم إنها اتهمت بعبدٍ لها من الحبشة فاتفق الناس على خلعها وتزويجها ، فخُلعت وزُوّجت من بعض أقاربها ، ووُلّي الملك أخوها ناصر الدين . . . ولما خُلعت رضية ولي ناصر الدين أخوها الأصغر واستقل بالملك مدة ، ثم إن رضية وزوجها خالفا عليه وركبا في مماليكها ومن تبعهما من أهل الفساد ، وتهيأ لقتاله وخرج ناصر الدين ومعه مملوكه النائب عنه غياث الدين بَلَبَن متولي الملك بعده فوقع اللقاء وانهزم عسكر رضية وفرَّت بنفسها فأدركها الجوع وأجهدها الإعياء فقصدت حرّاثاً رأته يحرث الأرض فطلبت منه ما تأكله فأعطاها كسرة خبز فأكلتها ، وغلب عليها النوم وكانت في زيّ الرجال ، فلما نامت نظر إليها الحراث وهي نائمة فرأى تحت ثيابها قباءاً مرصعاً فعلم أنها امرأة فقتلها وسلبها وطرد فرسها ودفنها في فدانه وأخذ بعض ثيابها فذهب إلى السوق يبيعها ، فأنكر أهل السوق شأنه وأتوا به الشحنة وهو الحاكم فضربه فأقرَّ بقتلها ودلَّهم على مدفنها ، فاستخرجوها وكفنوها ودُفنت هنالك وبُني عليها قبَّة وقبرها الآن يُزار ويتبرك به ، وهو على شاطئ النهر الكبير المعروف بنهر الجون على مسافة فرسخٍ واحدٍ من المدينة ، واستقل ناصر الدين بالملك بعدها واستقام له الأمر عشرون سنة ، وكان ملكاً صالحاً ينسخ نسخاً من الكتاب العزيز ويبيعها فيقتات بثمنها [1] ، فهذه طراغوذيا [2] رضية الدين أو رضية الملك .

(بغداد) ✻✻✻ مصطفى جواد

(١) تحفة النظار في غرائب الأمصار المعروفة برحلة ابن بطوطة ٢ : ٢١ ، ٢٢ طبعة مطبعة التقدم بالقاهرة سنة ١٣٢٢ .

(٢) أي تراجيدي كما جاء في تاريخ مختصر الدُول لابن العبري « ص ٣٤ » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

التقرير السنوي (لدورة ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ م)

لمجمع اللغة العربية

يتفق تاريخ عقد هذه الجلسة ، وهي جلسة مجلس المجمع الختامية لدورة عام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ م مع ذكرى مناسبة عزيزة هامة هي ذكرى مرور خمسين عاماً على مولد المجمع العلمي العربي الذي أصبح فيما بعد بمجمع اللغة العربية بدمشق فلقد استقلت سورية العربية عام ١٩١٨ بعد جهاد طويل وولدت مع هذا الاستقلال فكرة إنشاء هيئة علمية رسمية تعنى باللغة العربية التي طغت عليها العجمة خلال العهد التركي الطويل ، وتعمل على حفظها وصيانتها ووضع المصطلحات العلمية والفنية والادارية الجديدة تمشياً مع حاجة عهد الاستقلال الجديد .

وعن هذه الهيئة انبثق المجمع العلمي العربي عام ١٩١٩ م أي قبل خمسين عاماً خلت وضمت إليه دار الكتب الظاهرية وجعل مقره المدرسة العادلية الكبرى بعد أن حررت من واضع اليد عليها ، وبعد أن رممت لتأخذ شكلها الحاضر ، وهذه المدرسة العادلية تعد من أقدم المدارس بدمشق وأشهرها وأجملها ، أنشأها السلطان نور الدين الزنكي وأتمها الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي لتكون تربة له ، والمدرسة العادلية هي الوحيدة بدمشق التي لم ينقطع فيها طلب العلم والتدريس منذ تأسيسها حتى يومنا هذا لقد درس فيها عدد من أئمة العلماء الأعلام منهم ابن خلكان وابن مالك وابن خلدون وغيرهم ، كما أسس المجمع داراً للآثار الإسلامية وعرض في إحدى غرفه ما تيسر له جمعه يومئذ من الآثار المبعثرة جمعها من مختلف جهات سورية ، وكانت هذه المجموعة نواة المتحف الوطني الحالي .

كان من حق المجمع علينا أن نحتفل بعيده الذهبي على نطاق عربي شامل اعترافاً بجميله وخدماته التي أسداها للغة العربية وثقافتها .

إن تأسيس مجمع دمشق مهد السبيل لتأسيس مجامع علمية في أقطار عربية أخرى كالأردن ولبنان ولم يكتب لمجمعي هذين القطرين الحياة الطويلة ، إلا أن مجمع اللغة العربية في القاهرة أصبح سباقاً إلى العمل من أجل الحفاظ على اللغة العربية كما يقوم مجمع علمي آخر في القطر العراقي الشقيق بما يقوم به مجمع دمشق الذي هو أقدم المجامع في العالم العربي .

ولئن فاتنا تحقيق أمنية التكريم على الوجه الذي كنا نرجوه فلا نعدم وسيلة الدعاء له بالبقاء والاستمرار وأن تكتب له السلامة والازدهار على مر الأيام ليستمر في أداء رسالته حتى يتمها خدمة للغة العربية وثقافتها .

وقد يطول بنا الوقت لو أردنا إحصاء جميع ماحققه هذا المجمع خلال سنواته الماضية وإني لأكتفي بإحالة من يرغب في معرفة ذلك إلى مقال الأستاذ الدكتور حسني سبح الذي نشره في عدد مجلة المجمع الخاص الصادر حديثاً ، والذي وزع في حينه ليجد فيه ماينقع الغلة ويطفي الأوار أو أن يعود إلى مجموعة مجلة المجمع التي هي مرآة صادقة وسجل حافل لأعماله منذ تأسيسه .

ولقد صدر من هذه المجلة حتى الآن (٤٤) مجلداً يبلغ مجموع صفحاتها نحوا من (٣٠) ثلاثين ألف صفحة تضم مختلف الأبحاث اللغوية والثقافية والتاريخية والفلسفية والأدبية ، وتعتبر هذه المجلة بحق موسوعة غنية بشتى فروع المعرفة ، كما تعتبر صورة مشرقة اللامح لنشاط المجمع في سبيل دعم النهضة الأدبية واللغوية الحديثة في سائر الأقطار العربية .

إن اللغة العربية شأنها شأن سائر اللغات الأخرى فهي لاتقوم على جهد فرد أو أفراد وإنما هي حصيلة التفاعل العميق بين أفراد أسرتها جميعاً ،

وكذلك خدمتها والسهر على سلامتها فان أمرها يعود على أفراد أسرتها جميعاً لا إلى فئة معينة من الناس .

وتقوم مجلة مجمع دمشق بنشر ما يصلها من علماء العربية في الأقطار كافة وهي ترحب دائماً بالأبحاث القيمة والمقالات الرصينة ، وكثيراً ما نشرت من هذه البحوث وساعد المجمع على طبع بعض ماحققه العلماء من تراثنا القديم الخالد . ولم يغفل المجمع في بدء عهده ناحية هامة كانت وما تزال من أهم أغراضه وهي بعث الوعي الثقافي في البلاد ، فعمل على إلقاء سلسلة من المحاضرات الثقافية تناوب الاستماع إليها الرجال والنساء ، وقد جمع بعض هذه المحاضرات في ثلاثة مجلدات كبيرة ، كما أخذ المجمع في جملة جهوده ، بمراقبة الأقلام وتتبع هفواتها في باب (عثرات اللسان وعثرات الأقلام) فكان لهذه الناحية أثرها الطيب في تهذيب اللغة وتقويم الأقلام .

وطبع المجمع منذ تأسيسه (١٢٥) كتاباً من عيون تراثنا الأدبي القديم وحقق أكثر هذه الكتب أعضاء المجمع وغيرهم من العلماء المرموقين في سورية وغيرها من الأقطار العربية والأجنبية ، يضاف إلى هذا (٤٤) مجلداً من مجلته ، كما أسلفنا القول ، فيكون بذلك مجموع ماطبعه (١٧٩) مجلداً هي من أمهات كتب المراجعة ، وهذا العمل في مجموعه عمل كبير لا سيما إذا علمنا ضعف قدرة المجمع المادية ووسائله القليلة .

لقد عمل المجمع على أن يختار لعضويته أصحاب الكفايات من المؤمنين برسالة اللغة العربية وآدابها فضم إليه خلال مدة وجوده (٢٥١) عضواً بين عامل ومراسل وجلهم من أعلام العرب والمستشرقين ، وقد توفي منهم إلى رحمة الله (١٦٦) عضوا وبقي منهم (٧٥) عضواً مازالوا بحمد الله يعملون وينتجون ، مد الله بعمرهم وبارك أعمالهم .

هذا أيها السادة ، لمحة عاجلة من ماضي مجمعنا ، وإليكم ملخصاً مما أنجزه في الدورة السابقة (١٩٦٧ — ١٩٦٨) .

لقد كان المجمع في دورته السابقة هذه ، قرر بعض الأعمال وعهد إلى مكتب المجمع أمر تحقيقها وقد أنجز منها أو كاد المطبوعات التالية :

١ — ديوان الخالديين ، طبع وتحقيق الدكتور سامي الدهان .

٢ — قطب السرور في أوصاف الخمور لأبي أسحق إبراهيم المعروف بالرقيق النديم القيرواني تحقيق الأستاذ أحمد الجندي .

٣ — التنبية على حدوث التصحيف لحمزة بن الحسن الأصفهاني ، تحقيق محمد أسعد طلس ومراجعة السيدة أسماء الحمصي والأستاذ عبد المعين الملوحي .

٤ — سابق البربري ، شاعر من المغرب عاش في بلاد الشام ، بقلم الأستاذ عبد الله كنون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥ — خريدة القصر وجريدة العصر (بداية شعراء الشام) للعماد الأصفهاني الكاتب تحقيق الدكتور شكري فيصل .

٦ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الحديث) وضع الأستاذ ناصر الدين الألباني .

٧ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الطب) وضع الدكتور سامي خلف حمارنة .

٨ — ديوان ابن هرمة ، جمع وتحقيق الأستاذ محمد النفاخ والدكتور حسين عطوان .

٩ — فهرس المجلدة العاشرة من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . وضع الآنسة ملك هنانو .

١٠ — مجلة مجمع اللغة العربية المجلد (٤٣) لسنة ١٩٦٨ .

ويوجد تحت الطبع :

١ — كتاب التلخيص في أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري ، تحقيق الدكتور عزة حسن .

٢ — نظرة عيان وتبيان في مقاله أسماء أعضاء الإنسان ، للدكتور صلاح الدين الكواكبي .

٣ — كتاب اللامات للزجاجي ، تحقيق الدكتور مازن المبارك .

٤ — ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

المجلة :

صدر من مجلة مجمع اللغة العربية المجلد (٤٤) لعام ١٩٦٩ العددان الأول والثاني في عدد خاص عدد صفحاته (٤٣٨) صفحة اشترك في تحريره أعضاء المجمع العاملون والمراسلون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الانتخابات :

١ — انتخب اللواء الركن محمود شيت خطاب (العراق) عضواً مراسلاً
٢ — الأستاذ ناصر الدين الأسد (الأردن) عضواً مراسلاً
٣ — الدكتور فيصل دبدوب (العراق) عضواً مراسلاً
٤ — الأستاذ الدكتور ناجي معروف (العراق) عضواً مراسلاً

استقبال أعضاء :

استقبل المجمع بجلستين عامتين زميلين كريمين رشحها لعضوية المجمع علمها وفضلها وإخلاصها لمبادئ المجمع وهما الأستاذان : وجيه السمان وعبد الهادي هاشم وكلاهما من الصفوة الممتازة من أعلام الفكر والمعرفة والنشاط .

اتصالات المجمع :

قام الأستاذ الرئيس برحلة إلى مصر والعراق واتصل بمجمعي القاهرة وبغداد وبحث معها أمر تعزيز العلاقات الأخوية فيما بين المجامع الثلاثة والتعاون فيما بينهم عن طريق تبادل المطبوعات وغيرها . وكانت الاتصالات مثمرة ومفيدة تكللت بالنجاح ، وقد تم التبادل في المطبوعات فعلاً .

إهداء مكتبات :

١ — نفذ ورثة المرحوم الرئيس الأمير مصطفى الشهابي وصية مورثهم وسلموا المجمع جميع ما أوصى به المرحوم من كتب وأثاث ومخلفات وتم تسلمها ، وهي الآن قيد التسجيل والإحصاء .

٢ — كذلك نفذ ورثة المرحوم الشيخ حامد التقي وصيته وسلموا المجمع خزانة كتب المرحوم مورثهم ، وذلك بمساعي الأستاذ الزميل الشيخ محمد بهجة البيطار .

٣ — وأهـــدى الأستاذ خالد خليل مكتبـــة المرحوم والده الدكتور خليل خالد .

فلأولئك جميعاً شكر المجمع وتقديره .

إنشاءات :

إن مشروع دار الكتب الظاهرية قد بلغ مرحلته النهائية وسيتم المشروع في وقت قريب وسيجد الرواد القاعة الكبيرة من هذا البناء مجهزة بكل أسباب الراحة .

الوفيـات :

ولن ينسى المجمع في حديثه عن هذه الدورة أن يذكر بالأسف والرحمة الأعضاء الراحلين ممن وافتهم المنية هـذا العام وهم المغفور لهم : الأساتذة ساطع الحصري وحسن حسني عبد الوهاب ومنير القاضي رحمهم الله رحمة واسعة وأجزل ثوابهم .

المؤتمرات :

وقد دعي المجمع المشاركة في مؤتمرات عدة منها ، المؤتمر الرابع لعلوم الرياضيات في بخارست (رومانيا) والمعرض الدولي للمطبوعات العلميـة الذي سيعقده المجمع العلمي في بولون (ايطاليا) .

وقد لبى المجمع دعوة مؤتمر المصطلحات الطبية الذي عقد في الموصل (العراق) ومثل المجمع فيه الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبح ، كما شارك المجمع بشخص رئيسه وعضوه الدكتور شكري فيصل في الحفل الذي أقامه مجمع اللغة العربية في القاهرة تأبيناً المغفور له الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع دمشق ، وأحد أعضاء مجمع القاهرة سابقاً .

كما زار المجمع وفود شخصيات علمية كثيرة منها ، وفد المكتب الدائم للتعريب في الرباط ووفد الصداقة الآزربيجانية .

دار الكتب الظاهرية :

وإليكم في النهاية تقرير مديرية دار الكتب الظاهرية السنوي وخلاصة عن نشاطها وأنواع الكتب والمطبوعات فيها :

إلى الأمانة العامة لمجمع اللغة العربية

نرفع إليكم التقرير السنوي لدار الكتب الوطنية الظاهرية عن عام ١٩٦٨ .